أمنية عصام

عناق وفراق

رواية عن قصة حقيقية

سلسلة الضياع
تمهيد

عندما ننظر إلي تكويننا الجسدي فقد جعل الله العقل والملامح علي رأس جسد الإنسان، وهما مسئولان عن التدبر والتفكّر والتأمل والنظر والسمع والقول والشم، ثم يأتِ بعد ذلك في تكوين الجسد القلب، والأعضاء الداخلية وهما مسئولان عن العاطفة والشعور والإحساس والألم والفرحة. بعدئذ، في نهاية تكوين الجسد تتشكل الأعضاء التناسلية وهي بدورها تقوم بعملية الإخراج والتناسل، وقد أعطي الله لبقية المخلوقات نفس التكوين الجسدي للبشر، فجعل لهم الأجهزة التناسلية للتكاثر والإخراج والأعضاء الداخلية مشابهة هي الأخرى ولا تختلف كثيراً في أداء وظيفتها، ويشعر الحيوانات كما نشعر بالفرح والألم والحب والغيرة والتوتر والخوف والأمان ويعبروا عن مشاعرهم بلغة جسدهم، وميّزنا الله عن سائر المخلوقات بالعقل، وإذا تمعنّا في تكويننا الجسدي أكثر نري أن الله جعل العقل علي قمة البناء الجسدي ثم القلب، وبالنهاية الأجهزة التناسلية، أي أن الإنسان عندما خلقه الله، فقد خلق له كل من القلب والعقل وغيره من الأعضاء، لكن وضعهم بهذا الترتيب حتى يرتقي الإنسان من غريزته الحيوانية إلي إمكانية الشعور بمن حوله والمعني الاسمي ألا وهو الإنسانية، ثم إلي الدرجات الأعلى إرتقاءاً وهي العقل، وإمكانية أن يتدبر الله في سائر المخلوقات وكل ما هو حي وغير حي ليقوم بالرسالة التي نزل وخلق من أجلها ويعمّر في الأرض.

وقد بنيت سلسلة الضياع علي هذا الأساس وتلك الفكرة، وهي الارتقاء، وتضمن المشاكل الاجتماعية والقضايا الإنسانية والفكرية في مجتمعنا ومجتمعات أخري اعتماداً علي شرح القضية بأسلوب أدبي يكسب تعاطف القارئ وإثارة الجدل والتساؤلات، وعرضت أول رواية لهذه السلسلة بأسم «فتاة ليل» ونشرت في فبراير 2016 مع عصير

كتب، والتي أثيرت التساؤلات حول مناقشة تلك الظاهرة الاجتماعية ألا وهي الزنا بعد أن أعطيت لها حلاًّ أخير، لذا، تقبلت النقد والآراء معتمدة علي شرح الفكرة الأساسية للرواية من الجانب النفسي أكثر من كونه اجتماعي.

تنقسم تلك السلسة إلي فرعين من الروايات وهو: روايات عن قصص حقيقية أو أحداث حقيقية مرّت بها الروائية لتقصّها علي لسان الأبطال الذين عاشوها كما كان في رواية فتاة ليل، والفرع الآخر من الروايات يضم روايات عن أحداث غير حقيقية يعرض قضية ويناقش أجزاءها.

وتشمل مواضيع السلسلة الحديث عن القضايا الخاصة بالجنس والعاطفة والعقل بتعمق داخل تفاصيل حياة الشخصيات من كافة الجوانب النفسية والاجتماعية مبحرين مع القارئ من مختلف الأزمنة، لهذا سمّيت بالضياع لتضمنها عرض المشاكل، وأقدم الرواية الثانية لهذه السلسة، عن قصة حقيقية جمعتها الروائية من شخصية حقيقية تعرض أثر عقبات العلاقات العاطفية والإنسانية والتي قد تؤثر علي الإنسان من الجانب العضوي والنفسي.

قد استغرقت جهداً في جمع تفاصيل هذه الرواية ولكن، صاحب القصة الحقيقية أراد أن يخفي معظم التفاصيل وعدم البوح بها في خلال كتابة الرواية، ولا يهم كم من الجهد أو السنين التي جمعت فيها تلك المعلومات عن صاحب القصة، فالمشكلة التي واجهتها مع بطل الرواية أنه يعاني من النسيان أكثر من البشر العاديين ويكرر كلامه كثيراً وطلب أن أكتب بالنفس الطريقة التي يتمتم بها.

عناق وفراق
مقدمة

شعرت بشعور غريب في منطقة الخصر. للوهلة الأولي ظننت أن ذلك الشعور ما إلا رعشة، ولما أطال لثواني متتالية قلت أن ذلك ما إلا تنميل في جسدي، ولكنه كان ذلك احتمالاً بعيداً لأنه كان بمنطقة الخصر، فتجاهلته، ورحت أجلس في الصالة علي صفرة الطعام، وقبل أن أتخذ لي مقعداً تأملت الصفرة لثواني، كانت ممتلئة بورق الرياضيات، وأوراق ملؤها المسائل المعقدة للتفاضل وميكانيكا وهندسة الثانوية العامة، وتخيلت كم العبء الذي أواجه. حالياً، أمر بفترة صعبة، إنها فترة المراجعة للثانوية العامة، وكان ذلك في شهر مايو. من المفترض أنني أقوم بالمراجعة كأغلب طلاب ثانوية عامة ولكن، كنت أذاكر المسائل وأحفظ بعضها للمرة الثالثة والأربعين! لم أنظر لمسألة أقل من أربعين مرة، ولم أكتبها أقل من عشرين مرة حتى أصبح لدي برج من الأوراق لا يوجد فيه جزء مفرّغ للكتابة والمذاكرة، وكنت أواجه مشكلة مع حشرة الورق التي دخلت البيت وبدأت تأكل في ورقي وكنت أسعي للتنظيف مكاني وقتلها ومن ثم وجدت أن الحل

التخلص من هذا الكَم من الأوراق فجمعته في خلال ساعة ووضعته في علبة كرتون كبيرة كانت للتلفاز سابقاً.

لم أطيل النظر إلي الورق الموضوع علي الصفرة ورحت أجلس علي كرسيّ المعتاد الموجه عليه الضوء من المصباح الأبيض الموجود أعلاي، وشرعت بحل المسائل ونقلها من ورق الدروس، وكنت أستغرق ساعات في حل بعض المسائل البسيطة التي سبق وأن حللتها، كان ذلك يثير حنقي ويجعلني أنفر من المراجعة أو المذاكرة بشكل عام لكنني لم أقم من علي الكرسي في خلال تلك الساعات ووعدت نفسي بأن انتهي منهم.

مرّ يوم وكان ذلك قبل الامتحانات بأسبوعين، استيقظت علي صوت والدتي وهي تعلو: «ياسر، استيقظ إنها الثامنة صباحاً، كفاك نوماً لقد اقتربت الامتحانات ويجب أن تقلل من ساعات نومك عن ذلك».

كنت أقضي اثني عشر ساعة في اليوم نوماً وبقية اليوم مذاكرة وأكل و تصفح تويتر، هذه الحياة الطبيعية لطالب ثانوية عامة، قطعت علاقتي بالكثير من الناس خلال هذه الفترة ولم أفكر بالاتصال بأحدهم فالجميع مننا منشغل وكلا الطرفين منا يقدر ظروف الآخر، فلو رفعت سمّاعة الهاتف فأني غالباً ما اسأل عن شيء لا افهمه. وكانت والدتي محقة بأن أقلل من ساعات نومي، لكن لم أدري ما سبب نومي بهذا الشكل مؤخراً، في العادي كنت أنام ثمان ساعات لا أكثر. غلبني النعاس وأنا استيقظ من السرير، فلما دخلت والدتي الغرفة وأزاحت الستار شعرت بوهج في عيني، ففتحتهما لأجد أن والدتي فتحت نافذة الغرفة وقد قررت أن تنظفها من الأوراق والكتب الغير ضرورية، مما جعلني أنهض لألحق بما هو مهم من ورق، فشعرت بيدي ترتعشان، وانتقلت الرعشة من منطقة الخصر إلي البطن وما أسفل البطن. كانت تلك الرعشة تلازمني كلما تحركت، مارست عاداتي اليومية وراجعت علي منهج الرياضيات لأنه الأطول، وفجأة، تذكرت مادة الفرنساوي، يا إلهي كيف نسيت ذلك، لم أفتحها طيلة السنة إلا قليلاً، الرياضيات أخذت كل وقتي. بقيت في حيرة، ولم يبقي لي سوي بضعة أيام قليلة أذاكر فيها كل المواد قبل أن ابدأ بمراجعة مادة اللغة العربية التي قد تستغرق مني عشر أيام أو

أسبوع. بقيت علي ذلك الحال، ألعن في نظام الثانوية العامة ليل نهار، ورغم علمي أن ذلك سيكون بلا جدوى ولكن علي الأقل أنفض طاقتي بطريقة ما.

زادت الرعشة في ساقي، وشعرت بثقل في ركبتي، كأني أحمل وزناً عليها، زاد ذلك الشعور وأنا أسير، فتعرقلت حركتي وبقت أبطأ قليلاً من العادي ولكن بشكل غير ملحوظ إلا أنني كنت أشعر بذلك، وكنت أتجاهل الأمر، ظننته شيئاً عادياً، حتى قبل أن أخلد للنوم، أغلقت نور الغرفة واقتربت من سريري وأنا أعرف أين مكانه والخطوات التي يبعدها عن قدمي بالضبط، فاقتربت ودنوت خطوتين إلي أن بقيت جانبه، وضعت يدي علي غطاء النوم ومررتها فرأيت شرارة كهربية في الظلام، ذهلت من رؤيتها، وبقت عيني متسعتين وأنا أشاهد تلك الشرارة كلما مررت يدي فوق غطاء النوم، لم تكن رعشة، بل كهرباء زائدة في الجسم، وهذا ما قلته لنفسي واقرب تفسير لما أشعر به. خرجت من غرفتي، ودخلت غرفة والدي وأنا أشتكي لهم، وأوصف لهم أعراض ما أشعر به، فقالت والدتي: «ربما من الجوارب التي ترتديها ليل نهار وتسير بها حافياً علي الأرض».

هززت رأسي نافياً ولم أقتنع بما قالته، فطلبت منها: «لا أظن ذلك، اتصلي بخالد ابن خالنا، هو طبيب وقد يعلم ما هذا».

- لا تقلقني عليك.

لم يخطر ببالي أن الأمر قد يكون خطيراً، فطمأنتها: «اتصلي به فقط».

بحثت والدتي عن هاتفها بجانبها، فوجدته علي طرف السرير، وأخذته لتتصل بخالد، استشاري جراحة مخ وأعصاب، أخبرته عما أشعر به، كهرباء ورعشة، وثقل في الركبة، فطلب منها أن يكلمني، وتناولت الهاتف من يدها لأسمع صوته من الناحية الأخرى:

- كيف حالك يا ياسر؟ أخبرني، هل تشعر بمشكلة عند صعودك الدرج؟.
- أنا بخير. . . كلا، ولكن أشعر بثقل.
- حسناً، أخبرني، هل اقتربت امتحاناتك؟.
- أجل.

- أعطني والدتك إذن.

أعطيت الهاتف لوالدتي ولم أفهم المغزى وراء أسألته، ولكن أي أسئلة؟ فلم يسأل سوي سؤالاً واحداً ولا أعتقد أنه قد استدل منه علي شيء. نظرت لوالدتي وقد ابتسمت وأخذت تضحك في المكالمة وتقول بسخرية: «أجل أعلم أنه من قلق الامتحانات».

قد تكون فترة الثانوية العامة من أسوأ فترات حياتي، وهكذا ظننت، لأسباب عديدة، الثانوية العامة تأخذ منك صحتك وأصدقاء المدرسة ووقتك وأحلي أيام عمرك لتعطيك درجات تدخل بها كلية القمة التي تعود وتحل محل الثانوية العامة ولكن علي مدار أربعة سنين أو أكثر. لم أقتنع أيضاً بكلام خالد وكنت نادماً أني طلبت من والدتي أن تتصل به، بالرغم من ذلك لم يكون أمامي شيئاً أفعله وقد تأخر الوقت وشعرت بالنعاس فخلدت للنوم وأنا اسمع نصائح والدتي بألا أتشتت وأركز علي المذاكرة جيداً، فأومأت لها رأسي من تحت الغطاء وأغمضت عيني والرعشة تسير في جسدي.

بعد أسبوع من ذلك اليوم، كان قد مرّ تقريباً أسبوعان علي بدأ الأعراض، وبدأت أشعر بيدي ترتعشان أكثر وأكثر حتى ساء خطّي وبقيت أكتب كطفل رضيع أول مرة يمسك بقلم خشبي، وكنت في التاسعة عشر من عمري وخطي نسخ كالخطاطين، فوجئت بتباعد الحروف عن بعضها ومسكتي للقلم تغيرت فلم أستطيع أن أضغط بأصابعي جيداً عليه واحتجت إلي أن اضغط بكل أصابع يدي اليمني، أما عن قدمي فكنت أمشي بعجز وأعرج عند دخولي للحمام، اشتكيت لوالدتي ولوالدي، فتحركا من مكانهما وأخذاني لطبيب أعصاب في مستشفي قريبة مننا، وطلب مننا أن نجري أشعة مقطعية علي المخ، ولما رجعنا للمنزل مساء ذلك اليوم اتصلت والدتي بخالد فأخبرها أن تذهب لطبيب آخر غير ذلك الطبيب وتري ماذا سيطلب منا، ثم قال ألغو عمل الأشعة المقطعية ليس لها فائدة، فلما ذهبنا للطبيب الذي أخبرنا به، انتظرنا بالخارج نصف ساعة حتى حان دورنا، ولمحت في فترة الانتظار تلك القلق علي أمي، كسي وجهها الحزن وهي تنظر لي، فلم أتفهم سبب ذلك القلق علي، وقلت بنعومة «ما بكِ؟».

قلّبت يديها وهي تقول: «أبداً، لا أعلم ما حل بك فجأة».

- سيكون كل شيء بخير.
- قُل إن شاء الله.

أومأت لها رأسي وقلتها في سري بطمأنينة. بعدئذ، سمعت اسمي ينادي، ياسر سيف الدين، فقمت أنا ووالدتي ووالدي علي مرة واحدة، ودخلنا للطبيب، بدا يسمع مني الأعراض، وسألني نفس سؤال خالد، ثم أضاف إليه:

- عينيك تري بهما جيداً؟.
- أجل.
- ويديك؟.
- خطّي ساء في تلك الفترة فجأة.
- امتحانات الثانوية العامة اقتربت؟.
- بعد أسبوع سيكون أول امتحان.

أومأ الطبيب وزمّ شفتيه في إحباط، ثم قال: «اصعد يا ياسر علي هذا السرير الموجود بآخر الغرفة وأخلع ملابسك لأكشف عليك».

لفقت برأسي من فوق كتفي لأجد في زاوية الغرفة سريراً أبيضاً، بدا صغيراً بالنسبة إلي جسدي الطويل، قمت وذهبت نحوه وخلعت قميصي، ثم طلب مني أن أخلع سروالي أيضاً، نظرت له بتعجب، كان الكشف غريباً عليّ لأول مرة، فقال:

- كشف الأعصاب يكون علي الجسم كله، لذا يجب أن تخلع كل ملابسك.

ترددت بالبداية لأني لا أحب فعل شيء لا أعرف نتيجته. خلعت سروالي ووضعته علي السرير جانباً وفردت جسدي، فوقف الطبيب جانبي ووضع أصبعه في الهواء، ثم قال:

- انظر إلي إصبعي وحرّك عينيك معه.

فعلت ما طلبه مني وبدأ يحرك إصبعه يميناً فتابعته بعيني، ويساراً، وهكذا، ثم جاء بمطرقة حديدية قصيرة وضرب بها علي ركبتي فلم تتحرك ساقي كما توقعت أن يحدث، وضرب بالعصا علي معصمي وعلي مرفقي ثم تابع الكشف، إلي النهاية، طلب مني أن

أنهض وارتدي ملابسي. وبعد دقيقة فعلت ذلك، ورحت أتباعه بخطوات هادئة وجلست علي كرسي أمام مكتبه في حين أطرقت النظر إلي والدتي ووالدي، فكان الجو يخيم بالقلق بينهما، وينتظران قول الطبيب بفارغ الصبر.

تنهد الطبيب، ثم قال:

- يجب أن يكون في المستشفي من الغد.

ابتسمت، وكدت أضحك علي أن أقع علي الأرض لكنني كتمت الضحك، وسمعت الطبيب يتابع:

-هذه أعراض مرض أعصاب يدعي بالتصلب المتعدد، هو يصيب الفتيات غالباً، غير معروف سببه إلي الآن، ولكن يجب أن يأخذ حقن محلول كورتيزون الآن لتختفي تلك الأعراض منه.

فتح أبي فمه معترضاً:

- ولكن الامتحانات اقتربت.

هز الطبيب كتفه في لامبالاة:

- لا اهتم بالامتحانات، المهم الآن صحة ابنك. سيظل بالمستشفي خمس أيام.

وأضافت والدتي: «أيّة امتحانات تتحدث عنها، ابننا أهم من أي شيء!».

* * *

أنا ياسر، ياسر سيف الدين شهاب. رجل أعمال وأعيش حالياً بدبي، كانت إصابتي بهذا المرض منذ عشر سنوات، لما سمعت ذلك الخبر من الطبيب وأنه تم تشخيصي به بعد التأكد من أشعة الرنين علي المخ دخلت المستشفي لخمس أيام، وتناولت محلول الكورتيزون. أذكر في تلك الفترة كثرة الزيارات من عائلتي وأقاربي وأصدقائي ومدرسين الثانوية العامة لي، أتوا ليطمئنوا علي صحتي، وساعات وكانوا يغادرون وكنت سعيد وممتن جداً لزيارتهم، هم من جعلوني أصمد وأغالب فترة المرض وتقبله في البداية.

في خلال الأيام التي كنت أتلقي فيها العلاج بالمستشفي أحضرت لي والدتي كتباً لأذاكرها فطلبت منها أن تحضر لي كتاب الكيمياء، وفي ليلة يوم الخميس كنت جالساً ممداً جسدي علي السرير في راحة ثم رفعت ركبتي ووضعت عليهما الكتاب، وكان في يدي قلماً جافاً فلما كتبت به علي الورقة التي وضعتها جانبي رأيت كيف كان خطي سيئاً للغاية وعجزت عن كتابته، لكني تابعت، وراجعت علي صفحتين ثم شعرت بالملل السريع لأني لم أكن أحب الكيمياء وكانت درجاتي في الامتحانات الشهر دائماً سيئة مما زادني إحباط، فألقيت بالكتاب جانباً ونظرت لوالدتي ثم قلت:

- لا أريد أن أذاكر.
- ولكنك قلت احضري لي الكتب.
- أجل فعلت، ولكن لا أريد.
- حسناً اترك الكتاب الآن، واسترح أو نَمْ.

سبب مرضي كما يقول الأطباء هو القلق والتوتر أثناء فترة الامتحانات. عندما خرجت من المستشفي ظننت أنني قد تعالجت بالفعل، وبدأت تخف الأعراض عن جسدي في خلال أسبوعين ورجع خطّي كما هو كالسابق، وبقيت أمشي في اعتدال، وبعدما انتهيت من شهر الامتحانات ذهبنا للطبيب في استشارة أخري طلبها منّا، وقال أنه يجب أن ادخل جامعة حكومية، فكانت صدمة لي، لأنني خططت أن أدخل جامعة خاصة بالكلية التي أريدها مهما كان مجموعي، ورفض ذلك، لأني سأعالج بحقنة باهظة الثمن لا تصرف سوي من المستشفيات الحكومية ولا تباع في الصيدليات بل الصيدلانية لا يعلمون كيفية تركيبها، ولا توجد في كل الدول أيضاً، وإن اشترينها فسيتكلف العلاج كله تقريباً مليون جنيه.

ظهرت نتيجة الثانوية العامة وكان مجموعي اثنان وسبعون بالمائة، وحصلت في الكيمياء علي ثلاثون درجة من ستون، المادة التي كدت أن أرسب فيها وأعيدها بالدور الثاني. لم تفتح لي سوي كلية آداب وبعض الكليات الأخرى كالزراعة وتربية طفل، لكني لم أحب أي تخصص منهم، وقبلها كنت سجلت في الجامعة الألمانية وقد قُبلت فيها

لارتفاع معدل ذكائي وتخطيت امتحان مستوي الانكليزي، فعندما علم أبي بالنتيجة غضب مني وترك المنزل، ثم قال أنه سيسفرني علي السعودية ونعود لها مرة أخري لكنني توسلت له بألا يفعل فلن أجد هناك مستقبلي، وكانت أمي بدورها تهدّئه. في الحقيقة لم أهتم للنتيجة، بل كنت أفخر أنني حصلت علي ذلك الرقم، وفي النهاية دخلت جامعة المستقبل في القاهرة، جامعة خاصة، واخترت كلية تجارة وإدارة الأعمال، وسجّلت في جامعة حكومية بنفس الوقت وكنت أعالج علي نفقة الدولة، فصرفت حقنة أعصاب كل أسبوع وكنت أخذها فوق الركبة، إلي جانب بعض الأدوية من الحبوب أتناولها كل يوم.

من هنا بدأت، عند دخولي الجامعة تحديداً، بدأت الدراسة وأنا مغترب، غادر والدي ووالدتي إلي السعودية، وكان لنا بيتاً هناك وأقاربنا معظمهم يقطنون بالخارج، وقد رحل والدي بعد أن خيّبت أمله في كلية الهندسة، ولم يعلم حتى الآن أنني كنت أريد كلية التجارة من الأساس وتخصصت علمي رياضة من أجل إرضاءه ليس إلا.

* * *

مَرامْ

كانت الدراسة قد اقتربت، كان هذا في شهر أغسطس، طقس مصر حارق، مكثت داخل المنزل خصوصاً أن الشمس والحرارة ممنوعان علي لأنهما قد يعرضاني لانتكاسة، أي حرارة تؤذي الأعصاب. فكانت فترة بقائي في المنزل علمتني أشياء كثيرة، في صباح كل يوم استيقظ اغتسل في المغطس لدقائق ثم أقوم بتحضير الفطور ثم أشاهد التلفاز إن وجد شيء، وعادتاً لا أجد شيئاً مميزاً، وإذا مرّ يومي بشكل ممل أغيّر من كل شيء بطريقة أو بآخري، فأتابع برامج الطبخ وأقوم بوجبة جديدة لم أتناولها من قبل، أو أشاهد فيلماً جديداً من الحاسوب أفضل لي، ثم أهم بالقراءة، لدي الكثير من الكتب في غرفتي، أكثر من مائة كتاب اقتنتهم في سنة، ومع بداية السنة الجديدة انتهيت من قراءة خمس كتب فقط، كنت في الثانوية توقفت عن ذلك، حتى أملئ بقية وقتي أنزل بعد المغرب إلي النادي وألعب كرة التنس، الألعاب الفردية أشجّعها، وأشعر في الألعاب الجماعية بفوضى وعدم نظام ولا أعلم السبب.

أدركت فقط أنني انطوائي عندما اتصل بى أصدقائي القدامى من المدرسة كي أنزل وأخرج معهم، أدعيّت الانشغال أو الإعياء، استمتعت بالجلوس وحدي وممارسة كل شيء وحدي ولم أشعر بأن ذلك مؤلماً.

جلست أمام شاشة الحاسوب وكان عليها حسابي علي موقع التواصل المعروف توتير، لم يكن باسمي الشخصي، لكنه كان باسم الأبراج الفلكية، وكان يمسكه أكثر من شخص، ويكتبون عن ثلاث أبراج، برج السرطان والعقرب والحوت، لم أؤمن بالأبراج ولم أصدّقها، حين قرأت عنها وجدت معلومات كثيرة عنّي فيها، ودهشت عندما قرأت أشياء عني لا يعرفها المقربين مني، وأعتقد أن هذا شعور كل من يؤمن بالأبراج، أنه قرأ ووجد صفاته فأحب متابعتها، ويقولون أن مواليد برج العقرب أكثر برج يحب قراءة الأبراج، ولم أكن منهم.

لم يبقي سواي من يكتب عن الأبراج علي هذا الحساب إلا أنا، فتحت الاستشعارات لأجد الكثير من المتابعين لي في اليوم الواحد، والكثير من إعادة التغريد والمفضلة لما كتبته عن صفات الأبراج، وخصّص هذا الحساب للسرطان والعقرب والحوت فهم الأكثر غموضاً وحيرة من بين كل الأبراج، يعجز الكثير عن فهمهم ويصعب التعامل معهم! أي يكن، لم أهتم بكل ذلك لأني كنت انظر للمتابعين، وجدت بالصدفة أحداً يعيد تغريده كتبتها عن برج السرطان، وكانت صاحبة الحساب اسمها مَرامْ عَبد العَظِيمْ، كتبته بهذا الصياغة من التشكيل، فتحت صورة الحساب لأجد فتاة شعرها بنّي مائل للذهبي وعينيها كانتا بنيتان وبشرتها بيضاء. الصورة لم تشدّني ولم أركز فيها، فهي كبقية الصور لعارضات الأزياء والمصممات، ولم أكن أعرف من الذي يحدّثني وراء هذه الصورة، لكني وبلا سبب ضغط متابعة وأنا أعلم أن الحساب ليس ملكي وحدي، ضغطتُ زر المتابعة وأنا علي يقين أنها ستبدأ معي الكلام لأني لا أتابع أحداً وأكتب كثيراً عن برجها، ولما فتحت صفحتها وجدتها تعيد تغريداتي، الكثير منها علي صفحتها، كانوا أربعة عشر تغريده، فشرعت بقراءتهم للمرة الثانية وأري ما أعجبها مما كتبته:

برج #السرطان هو الأكثر مزاجية ما بين الأبراج.

#السرطان يحب أن يأخذ مساحته.

أكثر الأبراج حناناً هم مواليد #السرطان.

مررت بالقراءة حتى انتهيت تقريباً من قراءة تغريداتي فقط، وبعدما رأيت ما قبل تغريداتي تغريده لها ترد علي أحد أصدقائها أو أياًكان من خرجت من صفحتها، ولم استشعر شيئاً من التغريدات التي كتبت عن برج السرطان، حسناً ليس معناه أن الصفات في البرج أنها فيها، والأمر لم يكن مقنعاً بالنسبة لي، لكني فضولي ولما أخذت اقرأ عن الأبراج بالصدفة قالوا لي حرام، حرام ستخسر صلاتك، وكنت اقرأ بغرض أن أفهم ما سر هذا العلم، تعمقت فيه وكنت استدل من تصرفات الأشخاص من حولي علي صفات برجهم حتى أخمنه وقليلاً ما أصيب خطأ، لكن بداخلي أعلم أن هذا العلم يخلو من المنطقية، فالنجوم لا تدل إلا علي الطرق وليس الصفات.

أغلقت الصفحة وفتحت حسابي الشخصي علي موقع تواصل الفيسبوك، وأنا علي انتظار من أن تراسلني بنت عَبد العَظِيمْ.

كانت علي صفحتي بالفيسبوك رسالة من أحمد ورِهام، بدأت في قراءة رسالة أحمد حتى انتهي من محادثته وأفرغ لرِهام، فكان أحمد أرسل لي نصاً: «أنا قدمت في كلية الأسنان وأنت؟».

كتبت له أنني سجّلت في كلية التجارة. أحمد كان من الطلاب الجدد، نفس دفعتي ونفس الحيرة التي ببداية أول سنة بالجامعة، فكنت أدخل علي صفحة الجامعة وأضيف منها أواخر الناس التي سجلت فيها لأنهم طلّاب جدد وأحاول التعرف عليهم، وقبلت إضافتي رِهام، فتحت صورتها عندما قبلت الإضافة فوراً لكنها لم تفتح معي، أدركت أنها خصصتها لها فقط، ولم أري سوي صورة لعينيها، فبقي شكلها مبهماً وظللت أتخيل بقية ملامحها كلما راسلتها، لا أحب مراسلة أحد لا أعرف شكله.

آخر محادثة بيننا كانت عن التقديم في الجامعة وكنت قلق بعد أن دفعت النقود ألا أقبل فيها، فردّت برسالة: «طالما أنك دفعت النقود اسمك قد قيّد، ما القلق في ذلك؟».

كانت رِهام بالفرقة الثانية بكلية أسنان أيضاً، وبدا لي أنها تعرف الكثير في الجامعة فانتهزت فرصة بأن أتعرف علي الجامعة قبل أن أدخل أول يوم لتسجيل المواد، وراسلتها: «هل يمكنني رؤيتك أول يوم بالجامعة؟».

ثم أطرقت بالنظر ثواني نحو الشاشة لأري أنها قد قرأت رسالتي، وانتظرت الرد، ومرت دقائق، دقائق ولم ترد، لم تحاول أن تكتب شيئاً حتى، ما بها؟ كان سؤالي بريء، فأنا لا أعلم أحد بالجامعة وسأكون كالتائه فيها أول يوم. لم تجيبني، ولن تجيبيني علي ما ظننت، فأرسلت لها علامات استفهام، وقرأتها، لكنها لم ترد أيضاً. زممت شفتي بانزعاج، خشيت أن تكون أساءت فهمي، فأغلقت محادثتها.

* * *

قمت لأحضر الغداء لنفسي، فجمعت صحناً من الخضار وجئت به من الثلاجة ثم قطّعت كل ما به من خس وطماطم وجزر وبصل وفلفل، وأضفت عليهم الزعتر والملح، ثم تفقدت المياه علي الموقد وقد غلت في وقت قياسي فأضفت لها المعكرونة، ورحت أبحث في الأدراج عن ملعقة خشبية لأقلّب بها المعكرونة، وفكرت فيما قد أضيفه، فبحثت في الثلاجة لأجد أنه لا يزال لدي مخزوناً من الدجاج المجمّد، فخطر في بالي أن أطبخه بالكريمة والجبن المبشور، كل هذا أخذ من وقتي أكثر من خمسة وأربعون دقيقة، وكانوا كافيين بأن اتركهم علي النار لأعود إلي مراسلة رِهام وقد كنت منزعجاً من نفسي لأنها لا ترد، فابتسمت وكتبت لها: «تعلمين؟ أستطيع قراءة ملامح الناس وتحديد الصفات من خلالها».

وتركت الهاتف جانباً علي رخام المطبخ لأستدير ناحية الموقد وأقلب الدجاج علي النار، فيما ردّت علي رِهام بعدها بدقائق: «فعلاً؟».

لما سمعت صوت الرسالة خطر بذهني أنها ستكون هي، فتركت كل مسببات الانشغال وأمسكت هاتفي لأجد رسالة منها، فأسرعت بالرد: «أكيد، ويمكنني قراءتك، لكني لا أري صوراً لكِ سوي عينيكِ، سأكتفي بقراءة عينيكِ إن لم تمانعي؟».

لم أكن أريد أن أطلب منها أن ترسل لي صورتها حتى لا تتأكد من سوء نيتي وإن كانت غير ذلك، لكن الكلام معها كان يريحني، واستمتعت بوصف أشياء فيها، فقلت لها: «أنتِ شخصية كتومة، سليطة اللسان، وعلاقاتك دافئة بمن هم حولك، المقربين منكِ تهتمين بهم كثيراً».

كدت أنسي الطعام علي النار، فتركت الهاتف وأنا أري علامة دلّت علي أنها قرأت الرسالة. استدرت لأجد أن الدجاج قد طهي جيداً فأغلقت النار ووضعت الدجاج في الصحن، فتصاعدت رائحة شواء لحمها وهي ممزوجة بالجبن والكريمة، وكانت جانبها معكرونة وطبق السلطة، نسيت تماماً أنني أحدث رِهام، وأخذت الصحون إلي الصالة وجلست علي الطاولة أتناول الطعام في شراهة، لم انتهي إلا بعد ربع ساعة، وفرغت الأطباق من الطعام، فنظرت إليهم وقد امتلأت معدتي بأكل شهي، ثم نهضت من مكاني وغسلت يدي ثم عدت لأمسك بهاتفي واقرأ رسالة رِهام: «كل ما قلته صحيح ولكنني لست سليطة اللسان».

أحسست أنني أخطأت في قراءة ملامحها، ولم أكن أخمن بالفعل لأني كنت معتمداً علي الفن الصيني لقراءة الملامح المعروف بأسم «الفنج شوي»، فقلت: «يبدو أنني أخطأت هذه المرة لكن أصبت في صفات أخري».

قرأت الرسالة سريعاً بعد أن طال انتظارها وأنا أكل، وقالت: «أجل».

لم أكتفي بالرد، وأردت أن نطيل في المحادثة، فسألتها في فضول: «رِهام هل مررتِ بعلاقات سابقة؟».

رفعت عيني من علي شاشة الهاتف والتفتت حولي لأري الصحون التي أكلت منها للتو، فوضعت الهاتف في جيبي ورحت أحمل الأطباق لأضعهم بالحوض، ثم قمت بغسلهم وانتهيت منهم في خلال خمس دقائق سمعت صوت رسالة من رِهام، غسلت يدي تحت صنوبر المطبخ وجففتها في ملابسي، ثم أخذت الهاتف من جيبي لأقرأ رسالة منها: «أجل، لا أريد تذكر هذا الشخص».

- ما السبب؟.

-حسناً. . . قد رأيته يتحدث مع فتاة غيري، وكان يحبها، فخلعت خاتم الخطوبة من يدي وألقيته في وجهه، وكان ذلك في منزلي.

قرأت الرسالة، وشعرت نحوها بمشاعر من الحزن، ولم أدري ماذا أقول لها، لكنني رغماً من ذلك سارعت بالكتابة إليها: «حاولي أن تنسيه، لكن لا تستسلمي للحزن رِهام، يمكنك أن تجدي شخصاً أفضل منه».

عندما قرأت الرسالة ردّت علي: «لا، لا أريد ذلك».

حاولت أن أتخيلها وهي أمامي وتتحدث معي، فرأيت فتاة قد انسدل شعرها الأسود علي كتفيها وأزاحت خصلاته خلف أذنيها لتعطيني انتباهها لي وأنا استمع إلي تجاربها السابقة.

ثم أرسلت لي رسالة بعدها:

- أنا قريبة من أخي ولا أريد شيئاً من أحد، هو بالنسبة لي كل شيء.

ابتسمت عندما قرأت رسالتها وكنت أفكر بأن كلامي محقاً بشأن أن علاقتها دافئة بمن حولها، وهذه صفة أحبها أن تكون في شريك حياتي أو المقربين مني، لأني كذلك أيضاً.

- فليحفظه الله لكِ يا رِهام.
- هذا لطيف منك.

لعل رِهام الآن شعرت بالسعادة عندما دعوت لأخيها وعبرت عن إعجابي بقوة العلاقة بينهم، فغالباً، من تحبه تريد أن يحبه غيرك ويدعو له. ولاسيما أنني وحيد وليس لدي أخوة، فبقيت أدعو لهما بأن يحفظهما الله ويرزقها برجل صالح ترتبط به. بعدئذ، أخذنا أنا ورِهام نتحدث عن مواضيع شتّي ثم انتهيت منها إلي حين السادسة مساءاً واستأذنتها بأنني سأنزل للنادي كي أتمرّن، فأرسلت لي رسالة: «ما اسم النادي؟ »، وتذكرت بأن ليس له اسماً ثابتاً بعد، فهو صغير ولا يجمع سوي عدد قليل من الناس لأنه تحت التجهيز، وكان كل المشتركين فيه من طبقات الدنيا، فخجلت من أقول لها حتى

تظن أنني من هذه الطبقة، ورحت أرد عليها: «نادي. . . لا تعلمين اسمه، هو تحت التجهيز الآن، شكله وتصميمه ليس جميلاً».

بعدما ضغط زر الإرسال دسست الهاتف في جيبي وذهبت لغرفتي باحثاً عن مضرب التنس. تميزت غرفتي بموقع يجعلها المكان الأكثر برودةً في الشقة، بالنسبة لي كنت أتأقلم أكثر في الطقس البارد وبالرغم من هذا لم أكن ادخل غرفتي إلا عندما يحين وقت النوم، فقد ربطتها بذكريات حزينة.

خرجت من الغرفة وكنت حاملاً المضرب علي كتفي، سرت في ممر الشقة إلي أن وصلت للباب وتفقدت هاتفي قبل أن أغادر لأني سأفقد الاتصال بالانترنت، فقرأت رد رِهام علي رسالتي: «هل المقياس لديك بالشكل؟!».

استغربت السؤال الذي سألته لي، وقد توقعت أن تقول لي في حفظ الله، أو سوف نتحدث عندما تنتهي، أو أي شيء من الجمل المعتادة التي يقولها الناس في هذا الموقف، لكنها ألتفتت لشيء آخر، ألا وهو الشكل، شعرت أنني آخذ الأمور بسطحية، وأجل ليس علي أن أهتم بالشكل، توقعت أن تكون رِهام مِن الفتيات التي تهتم بالمظهر الخارجي لكن بدا لي أنني كذلك، واستدرت لأعطي ظهري لباب الشقة وصببت كل اهتمامي علي أن أرد عليها لأوضح لها وجهة نظري، ودافعت عن نفسي: «كلا ليست بالشكل بالتأكيد، أنا عادتاً استمتع فيه أكثر من نوادي أخري كبيرة».

كتبت لي: «حسناً».

لم أكن منتظراً ذلك الرد منها، إلا أنها علي ما ظننت أنها لم تقتنع بما قلته، أنهيت المحادثة بيني وبينا علي هذا النحو وغادرت البيت لأتمرن ساعتين أشغل فيهما وقتي.

* * *

أبليت بلاءً حسناً في التمرين، عند مجيء للمرة الأولي علّقت علي فتاتين وقالوا أنني ألعب بشكل جيد بالنسبة إلي أول مرة في تدريب التنس، وكانت شهادة أفخر بها بيني وبين نفسي بعدما عرفت أنهم كانوا يتدربون التنس لأكثر من ستة شهور، أي لم يعودوا مبتدأين مثلي، فكنت في وقت راحتي أطلب منهم اللعب كي أعلو بمستواي ولم

يكونوا ليمانعوا، وصادفت مرة أن انتهيت من التمرين ورفع المدرب ذراعيه لأعلي وحركهما إعلاماً بأن وقت التدريب قد انتهي، فأنفض كل من معي من الملعب وكان من بينهم فتاة، هي من علقت عليّ، لكنها لم تكن مع صديقتها فلما اقتربت وسارت تجاهي حيث كنت أقف علي طرف الملعب وخلفي سور من الحديد الشبكي نستخدمه لنسند عليه مضارب اللعب. كانت جميلة وترتدي الحجاب، وتأتي التمرين بملابس رياضية متواضعة ذكرتني بملابسي في المدرسة.

ابتسمت وسألتها:

- أين صديقتك؟.

لم أشعر بغباء السؤال إلا عندما تذكرت فجأة أنني لم أري صديقتها سوي مرة واحدة ومنذ الحين وهي لا تأتي للتمرين، وكنت قد سألتها ذلك لأفتعل معها محادثة لكني في الواقع لا أذكر اسم صديقتها.

قالت:

- أبداً اعتذرت عن التمرين لأنها منشغلة.

ثم تنهدت وقد شعرت أنها متعبة رغم أنها لا تبذل مجهوداً كبيراً، وأضافت:

- يبدو أنني سأعتذر أيضاً.

قطّبت حاجبي متسائلاً:

- لماذا؟.

نظرت لي وقالت: «أبداً».

قرأت في عينيها أنها لا تريد إخباري بالسبب وقد شعرت أنني متطفل ويحق لها الخصوصية، فأومأت برأسي ولفتت بجسدي الطويل لأجلب مضربي من علي الأرض، وراحت هي الأخرى تحمل مضربها في يدها، وأمسكت بزجاجة مياهها من جانب المضرب، ثم شرعت بالشرب. عندما حملت المضرب علي كتفي استعددت للرحيل، لكنها انتهت للتو من شرب المياه ولفت تنظر لي وقد بدا أنها كانت تفكر في شيئاً فأرادت أن تطرح سؤالاً علي:

- في أي سنة أنت؟.

سررت لأنها تحدثت إلي، فأجبت:

- بالفرقة الأولي من كلية التجارة.

- نفس كليتي، لكنني تخرجت منها منذ سنتين.

لم أشعر أنني صغير أمامها، بل أردت أن اكتسب من خبرتها، فأخذت اسألها عن العمل في الشركات الخاصة والبنوك وأخبرتني أن العمل في البنوك روتينياً للغاية وممل وهذا ما صدمت منه، وظننت أن أفضل وظيفة قد يتلقاها طالب التجارة هي في البنك لكنها نفت لي ذلك وبشدة، وحكت لي كم تستمتع بعملها في الشركات، وكانت تعود منها علي الساعة الخامسة وتأتِ للتمرين مباشرة لتتدرب، فوضح لي سبب تعبها.

سألتها:

- آسف ما اسمك؟ لأنني انسي سريعاً.

وقالت في نعومة: «أية. . .».

ورحلت. . . ورحلتُ أنا الآخر لمنزلي وأنا أفكر فيها وكم كانت جميلة في ثيابها الرياضي، ولما كنت أعود وأذهب للتمرين وضعت لنفسي هدفاً بأن ألقاها هي، فكنت أنتظرها من يوم الاثنين للخميس، ويطيل انتظاري كي آتِ وأتحدث معها حتى لو دقيقة، ثم أتابع التمرين، وبين الحين والآخر أطلب منها أن نتدرب سويّاً، واليوم الذي لا تأتِ فيه لا أكون نشيطاً، ويشتكي المدرب مني فيطلب أن أركض حول الملعب وشعرت أنني أعاقب علي شيء لا ذنبي له، فكنت أركض حول الملعب مرة واحدة وأعود للجلوس.

* * *

كنت جالساً علي جهاز الحاسوب أتحدث إلي رِهام ولم تكن تجيبني، وكانت آخر رسالة أرسلتها إليها: «أعطيني رقمك».

وجدت فجأة صندوقاً يظهر لي علي الشاشة وكان محتواه رسالة من صديقي يخبرني أنه يريد مني أن أذهب معه ومع أصدقاء المدرسة إلي رحلة بالعين السخنة، لنقضي يومان ثم نعود للقاهرة، وكانت المغريات بأن الجو لن يكون حاراً هناك وسنكون أمام

البحر، فأرسلت له رسالة بالموافقة بعدما وجدت أن كل أعذاري ورفضي للخروج معهم قد نفذت، ولم أكن أري سبباً قوياً يجعلني أرفض التنزه معهم بالفعل.

بعد دقائق ردّت علي رِهام وأرسلت لي رقم هاتفها، فسارعت بإرسال رسالة أخري لها:

- جيد، سأحفظه عندي. أين أنتِ الآن؟.
- بالغردقة مع أخي.

قرأت الرسالة وهممت أتصل بصديقي في الهاتف، فأجابني بعد الرنة الثالثة: «آلو يا ياسر، كيف حالك؟ لِمَ لا تتصل بنا؟».

كان أمراً آخر يشغل بالي فشردت بذهني عما قاله صديقي، واقترحت عليه:

- ما رأيك إذا ذهبنا للغردقة كلنا بدلاً من العين السخنة؟.
- الغردقة؟.
- أجل لِمَ لا.
- لا أعتقد أن حازم سيوافق، لا تنسَ أن السيارة ستكون معه.
- سأحاول معه.
- إذا أقنعته فلا أمانع.

أغلقت مع صديقي الهاتف سريعاً ورحت اتصل بحازم وحاولت معه فقلت له أن الغردقة أفضل، والفنادق هناك أفضل، لكنه رفض، فحاولت إغراءه بالأجانب من الفتيات بالغردقة وعاد يرفض أيضاً وقال إن سيارته لا تسمح بمشوار طويل للغردقة، وتذكرت حينها سيارتي التي أخذها والدي مني دون أن يخبرني بالسبب فاقترحت عليه الذهاب بمواصلات فسألني ما المهم الذي تريده من الغردقة، وسكتُ، واعتقدت أننا إذا ذهبنا سوف يقوم أصدقائي بمضايقتي ومضايقة رِهام بمغازلات، وتذكرت أخيها وكيف سيكون موقفه إذا رآني أنا وأصدقائي ونحن نجلس مع رِهام؟ وماذا سيفعل حينها فينا؟ كلا، أردت أن أصرف النظر عن الغردقة، وراسلتها: «وأنا في العين السخنة»، ووجدت أن هذه أفضل طريقة.

* * *

استغرقت الرحلة من القاهرة إلي العين السخنة ساعتين في الطريق ولم يكن معي سوي حقيبة صغيرة فيها ملابسي وفرشاة أسناني. قمت بإخراجها من حقيبة سيارة حازم وكنا خمسة رجال، دخلنا في مجموعة منزل حازم الذي اشتراه له أبيه وهو المكان الذي دائماً ما نتجمع فيه، رمينا أغراضنا علي الأرض وخلعنا ملابسنا ثم نزلنا للبحر، ولم نصعد منه إلا بعد ساعات، إلي أن غربت الشمس ونحن في البحر، فعدنا للبيت ودخلت لأري ملابسنا وأغراضنا علي الأرض، لممت أغراضي في يدي وجمعتها كلها، فكانت الساعة ونظارة النظر وقميصي وسروالي، ودخلت بهم للغرفة الثانية المخصصة للضيوف وكان بها ثلاث سرائر، ألقيت أغراضي علي سرير في زاوية الغرفة ونمت بجانبهم من شدة التعب.

استيقظت بعد ستة ساعات من النوم العميق علي صوت حازم الخشن: «ياسر، استيقظ لقد أعددنا الطعام».

عقدت حاجبي في ضيق وفتحت عيني لتقع علي شاشة الهاتف الملقي بجانب رأسي، فكانت الثانية عشر مساءاً، قمت من السرير وأنا أشعر بالثقل في جسدي كله، فتحركت ببطء وسرت من خارج الغرفة بتكاسل، ووجدت أصدقائي بالصالة جالسين علي الأريكة يأكلون، فانضممت إليهم وأكلت كمية كبيرة من الأكل كعادتي، وما إن انتهيت جمعت الأطباق منهم ووضعتها في حوض المطبخ إلي حين أن أنهض مجدداً وأقوم بغسلهم، لكني رحت أبحث عن ورق لعب، فوجدته تحت شاشة التلفاز، أخذته وجلست علي الأرض أمام الأريكة وجمعتهم حولي في دائرة وبدأنا باللعب، وقضينا وقتاً مسلياً للغاية، ضحكنا كثيراً وأضفت جوّاً من المرح كعادتي أحب أضحاك من حولي وأن أضحك معهم من قلبي، فلا أجعل أي جملة تمر علي مسامعي إلا وقد علقت عليها بجملة تجعلنا نضحك علي نسقط أرضا، ويقول لي أصدقائي أن الجلوس معي يجلب الصحة!.

بعد ساعتين من اللعب والضحك، أردت أن أشعر بخصوصيتي، تلك الانطوائية التي أعيشها، تزعج من حولي ولكنها تعدّل من مزاجي وتريحني أغلب الوقت، فأمسكت

بهاتفي وارتحت علي الأريكة وأنا أمدد ساقي عليها، فتحت محادثة رِهام، وأرسلت لها رسالة: «كيف حالك؟ ما رأيك لو لاعبتك دوراً في ورق اللعب؟».

أغلقت الرسائل، والتفتت إلي صديقي حازم، فكان يقف في المطبخ يتفقد الطعام بالثلاجة، وقلت بصوت عالي:

- حازم هل لديك أفلام؟.
- أي نوع من الأفلام تودّ مشاهدتها؟.
- لنشاهد فيلم رعب، فهيثم يخاف ظلّه.

نظر هيثم لي ولم يري ذلك مضحكاً وكنت أحب مضايقته بشأن هذه الأمور، فابتسمت مداعباً، ثم تلقيت رسالة رِهام ونسيت أمر الفيلم، حيث قالت: «بخير».

قبل أن أرحل من منزلي قمت بشحن هاتفي رصيداً كافياً لأقوم بتصفح الانترنت وأنا بخارج المنزل، إلا أنني في العادة لا أخذ هاتفي معي في كل الأماكن ولا أتصفح الانترنت كثيراً، لكني أردت أن أتكلم مع رِهام، ولم أكن أريد الاتصال بها هاتفياً رغم أني أحترق شوقاً لأسمع نبرات صوتها وهي تعزف نغماتها بأذني فألوذ بالصمت معها وأدعها تقول وتقول وأعدها بأن أكون مستمع جيد لها وكدت من الشوق أطير لها، وتساءلت متى ستبدأ الجامعة لأقابلها وأراها علي الحقيقة؟.

كتبت لها: «أنتِ متأكدة؟».

«أجل».

لم تبدو لي كذلك، فعدت اسألها بطريقة أخري: «هل هناك شيء؟».

لا أظنها انزعجت من اسلتي لأنها بالكاد علمت أنني فضولي، فردّت: «أبداً، أخي غاب طويلاً بالخارج ولا يجيب علي هاتفه».

ثم كتبت سريعاً: «أنا قلقة عليه للغاية»، وأرسلتها لأقرأها، فنظرت حولي بارتباك وفكّرت في حل لها لكني لم أجد، ولا أريد أن تشعر بالقلق عليه لأنه بالكاد كبير ويستطيع الاعتماد علي نفسه، وإن كنت مكانه لن أحب تلقي أيّة مكالمات، ورددت: «تذكرين المكان الذي كان فيه آخر مرة؟».

قرأت الرسالة وقالت: «كان علي الشاطئ وطلب مني أن أرحل لأن الوقت تأخر، فأخذت منشفته وجلست بالبيت».

وسألت نفسي، أخذت منشفته؟ وشاطئ؟ حسناً، فهمت أين قد يكون الآن وماذا يفعل، فهدأتها وكتبت لها: «لا تقلقي عليه يا رِهام، سيعود لك بعد دقائق أو يتصل بكِ».

كتبت لي: «أنا قلقة فقط إن حدث له أيّة مكروه».

«لا أعتقد ذلك، بلا اطمئني، وأنا موجود معك حتى يتصل بكِ ويطمئنك، اشغلي وقتك بأي شيء الآن».

«حسناً».

ولما انتهت المحادثة رجعت اقرأها، ولم أجد أن كلامي كان كافياً لطمأنتها، ولا أريد أن أتركها فتتفرغ بأفكارها لأشياء سلبية قد تكون لم تحدث، فعدت بعد دقيقتين اكتب لها: «أعطيني رقمه لأتصل به، قد يجيبني».

قرأت الرسالة وأرسلت رقمه لي، وقالت: «شكراً»، فرددت عليها كتابتاً: «أقدّر خوفك عليه ولا أريد أن أبقيك كذلك».

راسلتني بابتسامة فيما كنت أغلق المحادثة، ورحت أنظر لحازم وقد جلس علي طرف الأريكة التي أجلس عليها، وأمسك بجهاز التحكم يقلّب في القنوات، فقلت له:

- اختر لنا فيلم رعب.
- أنا أبحث عنه بالفعل، لكن لا يوجد شيء حتى الآن.

رجعت أنظر لهاتفي، وراسلت رِهام: «لقد اتصلت به، وقال أنه سيتصل بكِ بعد قليل».

وفوجئت بها إذ تجيبني في سرعة: «لقد اتصل بى للتو».

رفعت حاجبي في اندهاش وسألتها: «حقاً؟».

تنهدت قبل أن تجيبني: «أجل، كان مع فتاة روسية في البحر، ولم يخبرني بذلك».

توقعت ذلك أيضاً لهذا لم اتصل به، أو أسبب لها مشاكل حتى يسألها من هذا ومن أين تعرفينه، وأضافت رسالة أخري: «شكراً لاهتمامك بى».

صورة الرجال أجمعين قد تهتز في عيني المرأة من رجل واحد، بينما صورة المرأة في عين الرجل مهزوزة من فكر الرجل، رِهام تحطمت من علاقة فاشلة لا سبب لبقية الرجال فيها، أردت أن أعدل هذه الصورة في ذهنها، وتصرفت معها علي طبيعتي، ويبدو أنه عجبها ذلك، فقلت: «لا يوجد بيننا شكراً».

نظر لي حازم وقد توقفت يده عن التقليب في جهاز التحكم، وتمتم قائلاً:

- ياسر، لقد وجدنا فيلماً، اترك الهاتف قليلاً.

رمقت حازم بنظرة سريعة، وكتبت لها رسالة أخري: «عن إذنك الآن، ماذا ستفعلين بعدما جاء أخيكِ؟».

قرأت الرسالة، وردت بعدها بدقائق وكنت وقتها اعتدلت في جلستي ونظرت باهتمام لشاشة التلفاز المعلقة علي الحائط، فيما نهض حازم من جانبي وأقفل النور لتظلم الشقة، ولا يظهر لنا سوي ضوء شاشة التلفاز التي يبدأ عليها عرض أسماء الفيلم.

سمعت صوت هاتفي بجانبي فنظرت له لأري رسائل متتالية من رِهام يفصل بين الرسالة والأخرى ثواني طويلة، فأخذته، وقرأتهم:

«سأخلد للنوم.

تصبح علي خير.

آه، نسيت شيئاً. . .

أحبّك».

قرأت ذلك أكثر من مرة وشعرت بانقباض معدتي فجأة وقد ازدادت نبضات قلبي، ومهما حاولت إخفاء نظراتي التي انتقلت في أرجاء الغرفة فقد فشلت، وللحظة، حمدت الله أن النور قد انطفأ، ولا أريد أحد أن يكشفني أحد، وأبقيت الأمر سرّاً.

راسلتها:

«أنا أيضاً أحبك.

تصبحين علي خير يا رِهام».

أغلقت الهاتف ووضعته بجانبي، ثم سمّرت عيني علي شاشة التلفاز وقد شرد بالي. ولا أعلم يا رِهام كيف حدث ذلك سريعاً، ولكن، أخشي أن أرحل عنكِ، وأتركك، فأنا، لا أشعر أنكِ المناسبة لي، ولكني، أحببتك بالفعل وشعرت تجاهك بمشاعر الحب، وأجمل ما في شعوري أنه متبادل منكِ. أرغب في حمايتك، وأن أغيّر فكرة الرجال في عينيك، وأن تمارسي حياتك الاجتماعية باستقرار كأغلب الناس، فبداخلك جميل ولكنك لا تظهريه، ولكنه جميل، باطني، وعميق للغاية، وعلمت لِمَ لا تهمك المظاهر، وكنتِ محقة، أنتِ مدهشة رغم أنني لا أعلم عنكِ الكثير ولم أري وجهك كاملاً بعد! هلاّ تراسليني رسالة بصورتك؟.

قرأت الرسالة، وكان محتواها النصي: «هلا أرسلتِ لي صورتك حتى أعرفك؟».

وكان ذلك عندما رجعت من العين السخنة، رجعت في نفس اليوم فجراً، عندما شاهدنا فيلم الرعب انقطع النور عن القرية كلها، وكان غريب أن يحدث هذا، ارتجفت أجسدنا من الرهبة وقتما انقطع النور، وسأل هيثم:

- هل هذه مُزحة أخري من ياسر؟.

رددت عليه في غضب:

- أنا لم أتحرّك من مكاني.

- أنت تنفذ الشيء قبلها بمدة، لا أحد يتوقعك.

تحسست الأريكة من جانبي وأنا ابحث عن هاتفي، وأضئت النور في وجهه لأراه جالساً علي الأرض، أغمض عينيه من شدة النور، وقلت:

- هذا ليس مقلب من مقالبي، النور انقطع عن القرية كلها.

أضاف حازم في مزحة:

- أحدهم أخبرني ذات مرة أن الجن والأشباح تعيش عند البحر.

أيعقل هذا؟ لا أصدق بوجود تلك الكائنات، رغماً ذلك لم أعلق لأن مشاهدة فيلم الرعب بالكاد أثرت علي أفكارهم، فقلت:

- علينا أن ننتظر حتى تعود الكهرباء.

وانتظرنا دقيقة، وكنا نري بعضنا من خلال ضوء هاتفي، وفجأة سمعنا أصوات كسر، فبدا للوهلة الأولي أنه كسر أطباق، وكان قادماً من عند باب الشقة، فالتففنا نحو باب الشقة ووجهت الضوء إليه، لأري أنه لا يوجد شيء غريب، لكن الصوت كان قوي، قوي للغاية وكافي لإزعاج جيراننا الذين يبعدون عنا بعشرة أمتار، لذلك دفعنا إلي أن ننهض ونري ما يحدث بالخارج، فدفعت حازم، وقلت له افتح الباب، ونظر لي متردداً، لكنه قام، ونهضت خلفه لأضيء له، وعندما فتح الباب، لم يري شيء، تبادلنا النظرات أنا وحازم، ولم نفهم شيئاً، لكن، فجأة صرخ حازم وانتفض من مكانه وقد تراجع خطوات واسعة للخلف وعلامات الهلع كست وجهه، نهض أصدقائي من مكانهم وأمسكوا به وثبتوه في مكانه، بينما اقتربت منه وقد شعرت بالذعر نحوه، وكان يمسك بذراعه في ألم وقال:

- أحدهم ضربني علي ذراعي بأظافره الطويلة.

من بعدها جاءت الكهرباء وأضيء البيت، فتفرقنا فجأة وكل واحد لف حول نفسه في الشقة وبحثنا علي أغراضنا، فلم نجدها، كأنها تلاشت أو تبخرت. حدث ذلك بالفعل، فجمعنا نفسنا وأغلقنا باب المنزل خلفنا بالمفتاح وركضنا إلي السيارة في هلع، ثم أسرعنا بالركوب وأغلقنا الأبواب خلفنا بقوة. في خلال الوقت الذي كان يدير فيه حازم السيارة نظرنا جانبنا لنري سيارة سوداء كسيارات الجيب الكبيرة، حقيبتها مفتوحة من الخلف ورجلاً يدخل فيها تابوتاً، ولما ناديناه لم يجيبنا، ولم يلتفت إلينا حتى وركب السيارة ورحل، ثم انطلقنا بالسيارة إلي بوابة القرية وفي طريقنا تعرضنا لحارس أمن، كان يسير بخطوات هادئة وبدا أدمياً طبيعياً، وناديناه هو الآخر ولم يجيب وتابع سير علي النمط الهادئ، هل صوتنا كان منخفض للغاية ولم يسمعنا؟ لم نفهم الأمر، ولم نفهم توالي تلك الأحداث الغير مترابطة منطقياً، ومن تلك الحين امتنعنا عن الذهاب إلي العين السخنة.

عدت للمنزل وأحسست بالرعب داخلي، للحظة تذكرت أنني وحيد في شقة واسعة يخلوها نفساً غير نفسي، وكانت فكرة دخول الحمام أصعب من دخول مبني

الرئاسة، ومع أول ليلة لي بعدما حدث في العين السخنة لم أشعر بشيء أو اسمع شيء أو أري أي شيء فاطمأنت ونمت.

* * *

انتظرت ردّاً من رِهام، ولم تجيبني، فعدت أرسل لها رسالة أخري: «هل سأراكِ أول يوم بالجامعة؟».

ولم تجيب أيضاً، رغم أنني سألتها هذا السؤال من قبل. لا أعلم لِمَ تفعل ذلك، ظللت أراسلها برسائل كثيرة ولم تجيب، فغضبت منها، أردت أن أكلمها، وقد اشتقت إليها، وكنت متخيل أن ألقاها في أول يوم، وقد دبرت معها ميعاداً من قبل وقد اتفقنا أن نتقابل يوم الأحد، فما بها الآن؟ أنا أؤكد علي الميعاد فقط، ماذا حدث لها؟ هل ندمت لأنها قالت لي أحبك واعترفت بمشاعرها نحوي؟ أم أنها لم تكن تحبني؟ أو تريد معرفة حقيقة مشاعري نحوها؟ لقد أصابت عقلي بنزيف من التفكير، ومرّ أسبوع ولم نتكلم ونزلت الجامعة ونسيت أمرها ولم أبحث عنها ومسحتها من علي صفحتي، لا أحب هذا النوع من الفتيات، وأنا لم أحبك.

سجّلت المواد، وكان علي أن انتظر للأسبوع القادم لأبدأ الدراسة. عدت في ذلك اليوم من الجامعة، وكنت أسير كالغريب فيها، فلم أتحدث مع أحد لأني لا أعرف أحداً منهم، استغربت من أناس يعرفون بعض ويسيرون اثنان أو ثلاثة أو أربعة مع بعضهم ولم أري أن هناك أحداً يسير بمفرده غيري، شعرت بالغرابة وسطهم، ظننت أن أكون وحدي أول يوم بالجامعة شيئاً عادياً، أو من الطبيعي، لكن بدا أنه لا.

دخلت المنزل وكان بيدي ورقة الجدول، فقرأت أسماء المواد الأساسية التي سأدرسها، وسررت أنني انتقلت من مرحلة المدرسة إلي الجامعة، والتحرر وأيام أجمل، فهذا ما ظننته. قرأت الجدول للمرة الثانية وكان لدي مواد إضافية فوق الأساسية ألا وهي علم النفس والتفكير العلمي والحاسب الآلي، وهي مواد يدرسها كل طُلاّب الجامعة، كان بإمكاني اختيار علم اجتماع بدلاً من علم النفس أو حقوق الإنسان لكني رغبت بدراسة علم النفس وشعرت أنني قد أتعمق فيه من خلال كتب الجامعة. عندما استلمت كتب

الجامعة امتزجت مشاعري بالفرحة والحماس ولم استطيع أن انتظر كي أفتحها وأري ما بها، وما سأدرسه، فجلست وجمعتهم حولي وأخذت أتفقد كل كتاب فيهم بقراءة سريعة، ثم فتحت كتاباً فيهم، وشرعت بالقراءة لكن سرعان ما شعرت بالملل ولم يسعفني ذلك، فاللغة كانت سيئة عندي ورأيت أنني بحاجة إلي ترجمة كلمة في كل سطر اقرأه لذلك كان الأمر يسير ببطء.

تركت الكتب وفتحت هاتفي علي توتير وحساب الأبراج، لم أفتحه منذ مدة طويلة. كان أول ما فتحته الاستشعارات لأنها تنهال علي بكثرة، ولا اهتم بالصفحة الرئيسية لأني لا أتابع سوي ثلاثة أو أربعة وهم غالباً حسابات تكتب عن الأبراج باللغة الانكليزية، فأترجمها واكتبها لمتابعين العرب أو أقوم بإعادة تغريدها.

فتحت الرسائل، فوجدت مَرامْ آخر شخص أرسلت له رسالة، قطبت حاجبي في اندهاش ولا أذكر أبداً أنني راسلتها، بل كنت أنتظر منها رسالة، فدخلت علي محادثتها وقرأتها من بدايتها في فضول.

-سلام عليكم، هل لي بسؤالك عن الجامعات الخاصة؟ لأني أريد التسجيل في واحدة منهم ولا أعلم أي منهم الأفضل.

ردّت مرام:

- عليكم السلام، حسناً سأسأل لك أصدقائي وأجيبك.
- حسناً شكراً.

زاد تقطيب حاجبي وذهلت مما اقرأه، أعتقد إنه أنا من كلمها فأنا الوحيد الذي كنت أكرر هذا السؤال بين الناس لأني احترت في شأن الجامعات الخاصة وقيمة شهادة التخرج من كلٍ منهم، ولكن، لماذا مرام؟ وكيف نسيت أنني سألتها؟ وإذا هذا ردّها بالفعل فلِمَ لم تجيبني؟ لم ترد من الأساس، وقرأت تاريخ المحادثة فكان من شهر، يا إلهي، منذ فترة طويلة، لعلها نسيت الأمر تماماً، لا يهم، لقد ذهبت وسجلت المواد وقد قيّدت بالجامعة التي أريدها وانتهي الأمر.

فتحت حسابها ولغيت متابعتها، ولم ألاحظ أنها غيّرت صورة حسابها فلم أكن مهتماً. رحت أكتب بعض التغريدات عن الأبراج وأقفلت الحساب دون أن أري الاستشعارات.

كانت الساعة قد اقتربت من السادسة، فأسرعت بارتداء ملابسي الرياضية واستعددت لتمارين التنس، نزلت من بيتي وأنا أحمل علي كتفي المضرب، وخيّل في ذهني صورة أية، سأقابلها، وقد غبت يوم الخميس الأخير لأني كنت مع أصدقائي، واليوم هو الاثنين، تمنيت أن تكون موجودة، فذهبت، وبحثت عنها، ولم أجدها. شعرت بإحباط في البداية لكنني شرعت باللعب، لعبت بقوة، ودفعت الكرة في عنف بالمضرب، ولا أعلم من أين امتلكت تلك الشحنات، لكني أيقنت أنها من كبت عانيته طويلاً من قبل. نهرني المدرب وأخذ المضرب مني وطلب مني الجلوس، ففعلت ذلك لأني أردت، ولم أكن أريد أن ألعب، وبحثت عن سبب لأغيب عن التدريب، فسألت المدرب عن مواعيده بالدراسة وقال أنها ستكون يوم الجمعة، أومأت رأسي وفي إحباط، ابتعدت عن الملعب بخطوات قليلة والتفتت لملعب كرة السلة المجاور لملعب التنس، كان يفصل بينهم مقاعد خشبية جلست عليها وبقيت أشاهد كرة السلة، وتذكرت عندما كنت ألعبها في الصف الابتدائي بمصر، حيث كنت أدرس هنا، كنت ماهراً فيها وأستطيع تسديد الكثير من الأهداف، شاركت بمباريات كثيرة وكسبنا وأحرزت أهدافاً، دربت جسدي علي الركض لساعة متواصلة وكنت قليلاً ما ارتاح، بالرغم من ذلك لا أفضل إلا الألعاب الفردية، لكني استمتعت بمشاهدة المباراة التي كانت تلعب أمامي، وفجأة أوقفها المدرب وأنهاها وأمر الفريقين بالراحة، ثم دقائق أخري مرّت ونهض فريقين آخرين ليبدؤوا في اللعب، ورأيت من بينهم أية، إنها هناك، غيّرت الرياضة، لكنها لم تخبرني، ولم فعلت ذلك؟ رياضة السلة متعبة عن التنس، بل قاتلة.

شاهدت المباراة في حماس لم يسبق وأن كنت فيه وأنا ألعب التنس، ولم أنتظر حتى ينتهوا، بل دخلت للملعب وسألت أول أحد صادفته في وجهي فكان فتي صغيراً، سألته عن المدرب وأشار عليه، فكان يقف في وسط الملعب كموضع الحكم، اقتربت منه

ودخلت بين اللاعبين، أردت أن تراني، ولم أهتم بالكرة إذا أصابتني أو أنهم يلعبون، فأطلق صفّارة وسألني:

- ماذا تريد؟.

نظرت حولي وقد تسمرت اللاعبات في مكانهم، وتوقف إحداث صوت ضرب الكرة في الأرض والتفتوا لي، فرددت في تردد:

- أردت أن اسأل عن مواعيد تدريب كرة السلة.

- حسناً انتظر سأتحدث معك بعد انتهاء المباراة.

- اتفقنا.

رجعت أجلس علي مقاعد كانت داخل الملعب، وبخلفي سور من الحديد الشبكي كملعب التنس، نظرت لأية وقد انعكس علي ملامحها إيماءات غريبة، لقد تفاجئت من وجودي، وربما من سؤالي أيضاً، وبادلتها بابتسامة لطيفة، لكنها لم تنظر لي وعادت للعلب، وراقبتها عن كثب. انتظرت دقائق، ولم انتهيت المباراة وأطلق الحكم صفارته وأعلن النتيجة في صالح فريق المنافس لفريق أية تشاجرت، علا صوتها في غضب واحتجت علي بعض الأحكام التي أصدرها، وسرعان ما هدّأ من ثورتها فتركته، واستدارات بعيداً عنه، ولما رأيتها تقترب نحوي فرّدت ظهري واعتدلت في جلستي واستعدت للحديث معها، وقد اشتقت لملامحها.

جلست بجانبي، ولم تتحدث، أشحت النظر عنها وحدقت للأرض وفي عيني يتكرر مشهد غضبها وحنقها منذ قليل، فأردت التساؤل عن سبب ذلك، لأني اعتدت علي رؤيتها هادئة، لما لفتت رأسي من فوق كتفي لأنظر لها رأيت وجهها شاحب للغاية وعينيها احمرتا، خفق قلبي قلقاً عليها، واندفعت في سؤالها:

- أنتِ بخير؟.

ساد صمتاً طويلاً بيننا، لم أسمع سوي صوت اللعب وضرب الكرة علي الأرض وتنقلها أمتاراً بين اللاعبين، صوت الصفارة وصوت ركض اللاعبين في ملعب التنس خلفي، كل شيء من حولي يحدث صوتاً إلا سيدة الحسن التي آنستاني بجلستها جانبي.

نظرت لي فشعرت بقلبي قد توقف عن الخفقان وكل ما في ركّز معها في انتباه شديد.

- هل رأيت ما فعله مدرّب التنس معي؟.

سألتها في نعومة: «ما الأمر؟».

قالت وقد غالب الحزن في نبرتها ونظرات عينيها التي رأيت دمعة تترقرق فيهما.

-آخر مرة ظل يعلو بصوته علي وشتمني أمام الناس، كل هذا لأني أخطأت في قذف الكرة، ونسي أنني كنت السبب في تعينه بهذا النادي.

ظلت تتكلم كثيراً وتعيد في جملها كما قالتها سابقاً، ولم أكن منتبهاً لكلامها كلياً، فقد راقبت تلك الدمعة التي احتجزتها داخل عينيها وتحاول منعها وبقوة، وكان محور كلامها يدور حول كان المدرب متعجرف معها وأنها وصّت له لصاحب النادي بأن يعمل هنا، وفي النهاية المدرب طردتها من التدريب ولم يهتم بتحسين مهارتها في التنس، ظلت تتحدث كثيراً حول ذلك وعادت كلامها أكثر من ثلاث مرات بنفس الصيغة، ولكن لم يهمني أيّاً من هذا، وفجأة، توقفت عن الحديث لما وجدتني لا أرد عليها واستمع لها فقط، وظننت أنها بحاجة لشخص يسمعها ولا يقدم لها حلولاً، لكني كنت أفعل، وكنت ارتكب خطئاً فتعيد قول ما قالته، وأطرقت بالصمت، طويلاً، وهي لا تزال تتكلم، لكن، أردت مقاطعتها، فسألتها:

- ما سبب بكاؤك الآن؟.

أشاحت بنظرها عني، خشيت أنني رأيت الدمعة في عينيها، ولم تصمد طويلاً. انفجرت بالبكاء، وهي تذكر آخر مرة بكت فيها منذ ساعات قريبة. غطّت وجهها بعينيها وكانت الدموع تتساقط من بين ثنايا أصابعها، فأشتد خفقان قلبي بعنف واقتربت منها، ولما لاحظت قرب المسافات بيننا تراجعت قليلاً جانباً لئلا تسيء فهمي، وقلت لها:

- أية أرجوكِ لا تبكِ.

وقرّبت يدي من وجهها، وفي تردد كنت أريد مسح دموعها، لكني سرعان ما أزحتهما عنها وسلبت يدي جانبي، وهمست اسمها أتوسل إليها.

أنا رجل ضعيف أمام دموع الأنثى، وعندما شاهدت دمعتها تتساقط أرضاً شعرت بروحي احتبست داخل دمعتها وتساقطت أرضاً معها، وأردت لو أنها تهدأ ولم أجد طريقة تهدئها، ندمت أنني سألتها سؤالاً كهذا ولم أدري بأن داخلها مشاعر قد تعصف في أي لحظة، ويا ليت أستطيع الأخذ بيدها ومساعدتها، فهل أذهب لهذا المدرب وأصفعه ضرباً؟ لكن، هذا ليس الحل، لن أكون بطلاً بل سأكون متعجرفاً ويبقي العنف مرتبط بالرجال في نظرها، وسألتها:

- ماذا يبكيكِ؟ هلاّ تخبريني؟.

تنهدت، وأخذت أنفاسها تتصاعد وتهبط، ثم مسحت دموعها بأطراف أصابعها وحاولت تمالك نفسها، ثم قالت بنبرة ملؤها الحزن:

- لا أعلم ما بى.

عزيزتي، إنها مشكلة النساء أجمعين.

وأضافت:

-أمس كنت أحكي مع والدتي وأقول لها أنا حظّي قليل في الدنيا، في أصدقائي وزملائي ومن أحبهم، أنخدع منهم.

ذكّرتني برِهام، فزممت شفتي في أسف، ولم أجد لها ردّاً مناسباً لكنني بالكاد أشعر بقلبي ينفطر من داخلي لأجلها وأنا بالخارج أبدو لها بارداً، انزعجت من نفسي لأني لا استطيع أن أعبر لها عن مدي حزني لها، أردت مشاركة مشاعرها معي لعلها تهدأ، فعجزت عن فعل ذلك. وخطر ببالي أمراً آخر خارج الموضوع كله، وسألتها:

- أية ما هو برجك الفلكي؟.

- الحمل، وأنت؟.

- شعرت أنك من برج السرطان للحظة.

ثم تذكرت أن هناك صفات متشابهة بين الأبراج، وكدت أن أصدق أن الأبراج خرافة الآن عندما كذّبت توقعاتي. أكملت كلامي:

- لا تحزني يا أية أرجوكِ، ولا تهتمي بأحد، عيشِ لنفسك فأنتِ تستحقين.

هزّت رأسها وأبعدت نظرها عني وقد حدقت إلي اللاعبين في الملعب.

- أنا فقط حزينة علي من كنت شخص عطّاء معهم، ويمحون كل ما فعلته من أجلهم في لحظة.

- أنتِ لا تفكرين بطريقة سويّة.

نظرت لي في استغراب، فوضّحت لها:

-كوني عطّاءه ولا تنتظري مقابل ولا تتوقعي مقابل، بل أقول لك لن يكون هناك مقابل لكِ. أنتِ تعطين للناس، لِمَ عليهم أن يعطوك هم أيضاً؟ لِمَ عليهم أن يذكرون ما تعطيه لهم؟ ليسوا مطالبين بذلك، ولا أنتِ مطالبة بأن تعطيهم شيئاً.

ازدادت ملامحها غرابة، ثم أومأت برأسها وتجاهلتني وتجاهلت الحديث معي تماماً، وبقينا جالسين جانب بعض لا نتحدث، اكتفينا بمشاهدة المباراة، وكلما نظرت لها كانت لا تلتف لي، بدوت بنظرها غريباً جداً ولا أفكر بطريقة سويّة، تفكيري كان شديد العقلانية، لا يناسب شخصها. ولما تأخر الوقت رحلت، ورأيت أنه من الأفضل أن أرحل أنا الآخر، لكن قبل ذلك قدّمت علي إلغاء لتدريب التنس ولم أشارك في كرة السلة، ورحت لملعب كرة القدم أركض حوله وأنا استمع للموسيقي من سماعات الهاتف في أذني، ولم أفكر برِهام أو أية أو سواهم.

* * *

في أول يوم دراسة كان فارغاً عندي، هذا ما اكتشفته عندما ذهبت وأخبروني أن هذه المحاضرات تبدأ من الأسبوع الثاني من الدراسة، فرحت أغادر الجامعة، وقابلت في طريقي صدفة زميل لي كان معي بالمدرسة في الثانوية، ذهلت أنني وجدت شخصاً أعرفه، ألقيت عليه تحيه وتبادلنا العناق، ثم سألني:

- كيف حالك؟ في أي كلية سجلت؟.

- أنا بخير، قيدت في التجارة وأنت؟.
- أنا بكلية الصيدلة.

كان ذلك عمرو، صديقي منذ الثانوية وكانت علاقتي به ضعيفة للغاية، لكنها أصبحت قوية عندما كنا بالجامعة وهو الوحيد الذي كنت أعرفه فكنت أقابله دائماً بعدما أنتهي من محاضراتي، وبقيت شهراً لا أعرف أي أحد في الجامعة، فقط كنت أتبادل النظرات بيني وبين الفتيات وبين زملائي من الرجال، أتفحص عينيهم، أردت قراءتهم، أردت معرفتهم عن قرب، وأكشف غموض ما يخبئونه في عيونهم، فكنت فضولياً والعبث في أسرار غيري واحدة من أسوأ صفاتي، للأسف. . .

بعد شهر من الدراسة كنت أرجع للمنزل أضع كتبي وأوراقي للمذاكرة، وكنت أمل سريعاً لأني أقوم بترجمة الكثير من الكلمات الانكليزية، فأمرر عيني بين اللحظة والأخرى بين هاتفي علي الكلمة التي أترجمها ثم أعود لأنظر إلي الكتاب، ولكن سرعان ما انسي ما قد ترجمته فأعود لأكتب الكلمة مرة أخري ولم يمر إلا خمس ثوان علي ترجمتها، عانيت في بداية الدراسة، وكنت أعيد ما ذاكرته أكثر من مرة، خصوصاً مادة كمادة الإدارة التي اعتمدت علي الحفظ والفهم، وهي طويلة للغاية ورغم سهولتها لكني كنت أقوم بمذاكرتها يومياً حتى لا أنساها، وما بين مذاكرتي وقراءتي للكتب وتحضيري للأكل كنت أحافظ علي أداء صلواتي ولا أفوت فرضاً.

في المساء تركت كتب الدراسة تماماً، ومددت جسمي علي الفراش وأمسكت هاتفي وقربته من وجهي لينعكس ضوء شاشته علي، وفتحت حساب الأبراج، لكني هذه المرة لم أفتح الاستشعارات، بل كتبت بعض التغريدات عن الأبراج، ثم رحت للصفحة الرئيسية لأقرأ بعض التغريدات قليلاً فرأيت حساب مَرَامْ كتب تغريدات كثيرة متتالية منذ ساعة تقريباً. فأخذت في قراءتها:

الجميع يَكذِب و لا أسّتثني مِنّا أحد..
رَبِّ إنّي بِحاجة إلَيكَ ..
و اعتَذِر عن هُروبي و غِيابي ..

ثم وجدت تغريدات لحسابات الأبراج الأخرى فضغطت بيدي وأنا أحرك الشاشة لأتجاوزها بسرعة وأعود أقرأ بقية ما كتبته، فوجدت تغريدات جديدة كتبتها للتو:

لا يوجد عَاشِق إلا و بَكي

الطريقة التي تكتب بها، التفاصيل، واستخدامها للتشكيل في كَلماتها، اهتمامها بالأشياء الصغيرة، التفاصيل. . . كم أعشق تفاصيلها.

عندما قرأت ما تكتبه شعرت أنني أحل لغزاً، وحقاً يا مَرامْ صدقتي عندما قلتِ أنكِ ستكونين مختلفة، فأنتِ بالكاد مختلفة تماماً. . . دخلت علي حسابها الشخصي، وقرأت في ملفها الشخصي «صَوت بُكاء»، وكل ما خطر ببالي، لِمَ مواليد برج السرطان يشتهون كؤوس الحزن؟.

لا أستطيع رؤية أحدهم حزيناً وتركه دون أن أخفف عنه، فتحت الرسائل وأنا لا أذكر آخر مرة كلمتها فيها، ولم أفكر طويلاً فيما قد اكتبه لها، وأرسلت لها: «أنا لا أعرفك، ولكن، أريد أن أقول لكِ شيئاً. لا تحزني، وأعلمي، أنّ هناك أناس تحبك، وتريد رؤية ابتسامتك، ويريدون أن تشعري بالأمان، فنامي وأنتِ مطمئنة أن هؤلاء الناس حولك وإن لم يكونوا جانبك».

تركت الرسائل ورجت اقرأ الاستشعارات، فمررت سريعاً علي حسابات كثيرة كانت تعيد تغريد ما كتبته أو ترد علي بتعليقات فأحيانا أجيب أو أضع تعليقاتهم في المفضلة، عدت للصفحة الرئيسية، أقرأ تغريدات التي تكتب، ولم تكن مَرامْ قد راسلتني بعد، وأحدي خصائص رسائل توتير أنها خصوصية جداً فلم أعلم هل قرأت الرسالة أم لا.

رأيت حسابها أمامي علي تغريدة قديمة قرأتها من قبل، ودفعني الاهتمام إلي فتح حسابها مرة أخري، فدخلت عليه وفتحت الصورة لأجد فتاة في غاية الجمال، يا إلهي لقد ظننت بالبداية أنها أحدي عارضات الأزياء، لكنها كانت مَرامْ، ولم يخيّل لي أنني كنت أتحدث إلي فتاة بهذا القدر من الجمال، وكأن وجهها صمم خصيصاً لجذب الرجال إليها.

تساءلت كيف تضع صورها للملأ، ألا تخاف من مضايقات الرجال لها؟ فبالتأكيد الكثير يحاولون الوصل إليها وهي تتجاهلهم.

رأيت أيقونة الرسائل تضيء وقد وصلت لي رسالة للتو، فأسرعت بفتحها، ودخلت علي رسائلي بيني وبين مَرامْ، فكانت أرسلت لي: «أنتَ لطيف حقاً ؛ شكراً لك ؛ كَلامك جعلني سعِيدة ..».

حين انتهيت من قراءة الرسالة، لم أجد ردّاً مناسباً لها، ورجعت أنظر لصفحتها، ونظرت مجدداً في ملفها، فذهلت لما كان مكتوباً! كانت بنفس جامعتي، رأيت اسم جامعة المستقبل. . . حسناً، كانت صدفة غريبة، أخذت وقتاً مطولاً حتى أصدقها. هذه الجميلة في جامعتي، ولكني لم أراها بعد، لقد عرفت الكثير من الزملاء لدي، فبأي كلية هي؟.

وتابعت بقراءة الملف لأجدها كتبت كلية الصيدلة، وتذكرت فجأة عمرو، وكنت لأسأله، لكن لا، إذا أعطيته صورتها سيطلب مني أن أعرفه عليها أو يبحث عنها، وبسهولة سيجدها. هنا، خطر شيئاً آخر في ذهني، وأطرقت بالتفكير فيما مضي، إذ أنها من جامعة المستقبل، كان بديهياً السؤال الذي سألته إليها قبل الدراسة بشهر عن الجامعات الخاصة، أي أنني سبق ودخلت حسابها وقرأت ملفها، ولكن هذه المرة أشعر أنني اقرأ كل شيء وأعرفها للمرة الأولي، فكيف نسيت كل هذا؟ هناك شيء خطأ يجري لم استطع تفسيره، وانشغلت بالتفكير ولم ألاحظ أن مَرامْ أرسلت لي رسالة أخري، كانت قد قالت فيها: «ما اسمك؟».

وكنت ساذجاً حينما ظننت أنها تسأل بغاية أن تعرفني كمعرفة شخصية، ونسيت أنني أحدثها من حساب أبراج، والكثير من المتابعين لديهم الفضول بأن يعرفوا هوية الشخص الذي يكتب عن الأبراج وهو دائماً خلف الشاشة، رغماً عن ذلك أرسلت لها: «ياسر».

ومن بعدها وهي لم تجبيني، وتركتها، وعادت تكتب تغريدات أخري حزينة لم اقرأها، فكنت قد نهضت من السرير باحثاً في أدراج مكتبي عن ورقة وأقلام رصاص،

قلبت كل ألأدراج وفرغت ما بها وألقيت الأشياء المهمة والغير مهمة علي الأرض حتى جمعت كل أقلام الرصاص بدرجاتها المختلفة، وخرجت من الغرفة ثم فتحت مكتب آخر بغرفة الضيوف كان به أوراق طباعة، أخذت واحدة منهم وجلست علي طاولة الطعام، أمامي شاشة الحاسوب وورقة وأقلام رصاص، ثم حدقت قليلاً إلي صورة مَرامْ بالشاشة قبل أن أبدأ في رسمها.

خططت أول خط بالقلم الرصاص وأنا أعلم جيداً كم كنت أكره الرسم منذ صغري، ولم أنسَ إهانات مدرسين الرسم لي بأني فاشل ولن أصلح لرسم خط مستقيم، وعندما يعطون نموذج للرسام الفاشل كانوا يقولون اسمي، لكن اعتقدت أنني إذ رسمت وجه مَرامْ وأريتها ذلك ستسعد أكثر، وربما تكون طريقة لأتقرب منها، فتابعت وخططت خطاً آخر وقد بدأت برسم عينيها، وقد أصابتني بسهام الحيرة.

* * *

في اليوم الموافق الحادي عشر من شهر نوفمبر، أذكر ذلك التاريخ جيداً ولن أنساه مهما طال بى العمر. كنت حاضراً لمحاضرة علم النفس بالجامعة واصطحبت معي زميلي من كلية التجارة، وكان موضوع المحاضرة عن التواصل، عناصرها تتحدث عن الاستماع والتحدث والإنصات وطرق التواصل وتأثيرها النفسي علي الفرد، وضمّت عناصر أخري كثيرة لا أذكرها في الواقع، لكن، عندما كانت الدكتورة تتكلم عن الاستماع أذكر جيداً أن قطع شرحها دخول طالب من طلاب صيدلة بالفرقة الأولي، توقفت الدكتورة عن الشرح، ونظرت إليه وسألته في ضيق:

- لِمَ تأخرت؟ أنت تأتِ مبكراً كل محاضرة.

تقدم الطالب خطوة نحو الدكتورة وقال آسفاً:

- عذراً هذه أول مرة وستكون الأخيرة.
- حسناً ادخل أنت ومن معك.

كانت تقف فتاة في الخارج لم أكن أراها لأن هناك عموداً جعلني عاجزاً عن رؤية الفتاة من خلاله، وكان الباب في أول قاعة المحاضرة وأنا جلست علي طرف الكراسي

الخلفية، وكان أول ثلاث صفوف ممتلئين بالطلاب، لكن الصفوف الخلفية شبه فارغة ووزع فيها طلاب قليلة متناثرين يفصل بين كل واحد ثلاث مقاعد تقريباً.

دخل الطالب ومعه فتاة، تلك الفتاة، أعرفها، لقد رأيتها من قبل، إنها مَرامْ.

فتحت فمي وقد ذهلت لرؤيتها، كانت تصعد علي السلم لأعلي وكانت قد اقتربت مني، فتابعت خطوات سيرها ولم أستطيع أن أنزع عيني من عليها. عندما تمر تخطف القلوب، كان ذلك كالسحر.

جلست بالصفوف الخلفية لي، وفصل بيني وبينها صفّين، لففت رأسي من فوق كتفي لأنظر إليها ورأيتها جالسة بجانب زميلها في كلية الصيدلة، ظننت أنها علي علاقة به، ورجعت أنظر أمامي لئلا تلاحظ أنني أحدق لها، ولم تكن تعرفني أو تعرف ملامحي، ولن تظن أنني بجامعتها يوماً.

مرّت دقائق وكنت ألف برأسي لأنظر لها فأراها تضحك مع زميلها وأعود لأنظر إلي الدكتورة وقد ضخ الدم في عروقي غيظاً، ولم أتمالك نفسي وأردت لو أن المحاضرة تنتهي ليبتعد عنها وتغادر.

قالت الدكتورة:

-في المحادثات بينك وبين الناس عليك أن تكون الطرف الأكثر استماعاً، حاول فعل ذلك كثيراً، ولن ينجح الأمر من المرة الأولي، يحب الناس أن يسمعهم وهم يتكلمون وينصتون إليهم جيداً.

كنت مشتتاً، أنظر خلفي في تردد، لم انتبه للمحاضرة ولا أذكر ما كان يقال فيها باهتمام إلا هذا الجزء، والسبب مَرامْ.

تابعت الدكتورة:

-نأخذ مثالاً كاثنين متزوجين، وكانت المحادثة بينهم قليلة أو أحدي الطرفين لا يستمع للآخر فلكم أن تتخيلوا مدي نجاح العلاقة بينهم؟.

وفجأة صاحت مَرامْ من الخلف بصوت واضح قاطع صوت الدكتورة:

- ولما الزوجة تقول له طلقني، طلقني، يستمع لها فيطلقها، وتعود تندم وتحزن أنه استمع إليها.

ضحكت الدكتورة ضحكة صغيرة، فيما ابتسمت أنا والتفتت إليها، كنت انتهز أي فرصة تتحدث فيها لأنظر إليها وأحفظ ملامحها في ذهني، لا أريد أن أنساها. رنّت نبرات صوتها في أذني وحفظتها من أول مرة، لم تملك صوتاً ناعماً أو رقيقاً بل كان قوياً وهو ما ميزه وجعلني انتبه لها أكثر وهي تتحدث. قرأت ذات مرة، أن النساء الجميلات لا يملكن صوتاً حلو.

انطلقت أنا الآخر لأتكلم وربما تلاحظني، فقلت بصوت عالي:

- هناك أناساً تعيش بدون مشاعر، تلغي مشاعرها كي تعيش.

أومأت الدكتورة وقالت:

- أجل، هناك علاقات للأسف يعيشون مع بعض ولا يوجد بينهم مشاعر أو أيّة مودة.

لم انتبه لكلام الدكتورة وكل ما فكرت فيه أن تلاحظ ما قلته وتنظر إلي، ولما أذنت الدكتورة لنا بأخذ قسطاً من الراحة ظللت بمكاني لأراها تمر من جانبي، وقامت بالفعل لتنزل علي السلم فنظرت لها، كانت ترتدي سروالاً من الجينز الأزرق الفاتح وتنورة بيضاء طويلة تكشف ذراعيها، بدت فيها أنيقة وبسيطة، وقمت بعدها لأنزل خلفها، ولما خرجت شاهدتها تتحدث مع زميلها، يتبادلون الضحك، كنت أعرف زميلها هذا، وأعرف كم يملك روح الدعابة، ربما أكثر مني، كنت أحبه في البداية ولكن بدا أنني سأكره، لم أتحمل رؤيتهم طويلاً وأخذت أستدير ناحية باب المحاضرة وصعدت لأجلس في مكاني، انتظر من أن ينتهي وقت الراحة لأراها مرة أخري.

بعد عشر دقائق دخل كل الطلاب، وفي آخر الوقت دخلت الدكتورة، ومسكت مكبر الصوت في يدها وبدأت الشرح، وكانت عيني مسمّرة علي باب المحاضرة وفي فمي قلماً جافاً فُسد من كثرة ما وضعته بين أسناني، أفرغت فيه التوتر بقوة، انتظرتها طويلاً،

ومرت العشر دقائق المخصصة للراحة كأنهم ساعة وربما أكثر من ذلك، وأنا في العادة لا أشعر بهم، لكن تفكيري كله مركز عليها، فأين هي؟!.

دخل الطالب بمفرده، ولم يصطحب مَرامْ معه، فنظرت له الدكتورة وسألته:

- أين زميلتك؟ إنها تملك روح مرحة.
- لقد رحلت لكليتها، هي لا تدرس معنا علم النفس.
- حسناً لا مشكلة.

رحلت وأخذت روحي معها. . . وتركت قلبي يخفق حتى كاد أن ينفجر بداخلي، وأصبحت المحاضرة مملة للغاية.

لما خرجت من المحاضرة كنت أعرف أنني سأرجع البيت وأقرأها للمرة الأولي لأني لم انتبه لأي شيء يقال وسرحت في خيالاتي، وفي ذلك الصوت القوي وتلك الأنثى، لو تعلم ما حلَّ بى لما تركتني.

تنهدت تنهيدة عميقة لما خرجت من مبني كليتي ونظرت أمامي، إلي مبني صيدلة الذي يبعد عن أنظاري بعشرة أمتار، وتساءلت إن كانت مَرامْ فيه الآن؟ لكن لن أستطيع الدخول واقتحام القاعات باحثاً عنها فسأتسبب لها ولنفسي المشاكل، وقد أطرد، لكنني أردت رؤيتها بشدة وأتأمل ملامحها أمامي، للحظة شعرت أن لوحتي التي اقتربت علي الانتهاء من رسمتها ستكون حقيقة، وعندما أريها لها ستفرح كثيراً لأني سأبحث عنها وأعطيها لها أول شيء قبل أن أتكلم معها.

رجعت للمنزل بعد نصف ساعة، فتحت المياه الساخنة في المغطس وأخذت حماماً سريعاً لأغسل كل أفكاري مما مررت به في الجامعة ذلك اليوم، الحادي من نوفمبر، أكرره وأكرر اسمها لئلا أنسي. حضرت لنفسي الغداء وذاكرت المحاضرة، مع أني بالعادة أذاكرها في آخر الأسبوع ولا أعطي الاهتمام للمواد الإضافية لأنها خارجة عن المجموع.

لما كانت الساعة اقتربت من العاشرة مساءاً كنت في السرير، وأضأت نوراً خفيفاً فوق السرير، فكان مسلطاً علي، رحت أمسك بهاتفي لأفتح الرسائل، وكتبت لها:

«رأيتك بمحاضرة علم النفس اليوم، أين ذهبتِ؟ لقد سألت الدكتورة عنكِ».

انتظرت طويلاً حتى ردت، وأفسدت من روعة المحادثة بيننا، الردود المتأخرة تجعلني أفقد حماسي دائماً لكنها جعلتني أتلهف لها، فلما ردت لم أستطيع أن أبادلها الرد سريعاً، وقالت:

«أجل قد أخبرني زَميلي بذلك

لقد رأيت كُل الناس في المحاضرة

فمَن أنتَ؟».

وكان ردّي:

«هل هذا من تحبينه؟

لا أعتقد أنكِ لاحظتني».

تجاهلت سؤالي لها، وقالت:

«جرّبني. . .».

أيعقل أن تكون مهتمة بالتفاصيل إلي هذا الحد؟ عندما قرأت تلك الرسالة خيّل لي أنها تمشي كالرادار وتجري مسحاً علي كل الأشخاص والأشياء حولها، ولم أتخيل أن يكون هناك بشراً بهذا التركيز فأنا أشتت سريعاً، عندما كنت أكتب عن برج السرطان وأنه يركز في التفاصيل لم أستوعب أنه يركز بهذا القدر، فكتبت لها في تحدّي:

«أنا من كانت عيني بنيتان».

قرأت الرسالة، ثم ردّت بعد دقيقتين:

«حقاً ؟ عرفتك هكذا بسهولة..».

شعرت بسخافتي فرجعت أتكلم علي طبيعتي وابتعدت عن المزاح.

«حسناً، أنا كنت أجلس أمامك ولكن يبعدني عنك صفّين».

ردّت مسرعة: «لا ؛ لقد انتبهت للثلاث الصُفوف الأولي فقطْ».

أنا لم أكن منتبهاً لشيء إلا عندما دخلت وأفقدتني صوابي، ولا أعرف حتى الآن أن هناك ثلاث صفوف أمامية ممتلئتين بالفعل إلا لما قالت ذلك، وهذه المرة الوحيدة التي لم أشك في ذاكرتي!.

رسالتها وقد شعرت بالانتصار عليها:

- لا أنا كنت أجلس بالخلف.

وبعد لحظات ردت علي: «أريد أن أراك..».

رفعت حاجبي مندهشاً وقد دقّ قلبي بشدة من الفرح، وكتبت لها:

«أنا؟ ما السبب؟».

كتبت هذه الرسالة ولم ألتفت أنني أكلمها من حساب الأبراج للمرة الثانية، وأنها قد تكون طلبت هذا كي تقتل الفضول بداخلها وتتعرف علي الشخصية التي تكتب عنها بطريقة غير مباشرة.

ردّت علي: «عادي ؛ لا يوجد سبب ؛ أريد أن أراك وفقط».

بعدها وافقت، وبالتأكيد لم أكن لأرفض، واتفقنا علي ميعاد لنتقابل فيه وهو ميعاد كلٍ منا جدوله فارغ، وكان يوم الأحد، فوافقت، وكان يومها يوم الأربع، شعرت أنني سأنتظر الكثير والكثير من الوقت حتى أراها وأجلس معها، ثلاث أيام، ثلاث أيام من اللهفة، أنا أتلهف عليها وأشتاق لها من مجرد رسالة إلكترونية فكيف سأكون عندما أقابلها؟ هذا جنون، تمنيت ألا أكون مبالغاً في مشاعري ولكن ما شعرت به نحوها فقدت السيطرة عليه.

فتحت حسابها، وقرأت آخر ما كتبته علي توتير، فكانت تغريدات حزينة، واستغربت أمر تلك الفتاة.

في هذا اليوم، بعدما أغلقت حسابها رحت أدردش مع زملائي، وقبل أن أنام سالت دمعة من علي خدّي كنت قد حاولت كتمها لكنني عجزت عن ذلك، وبكيت كثيراً، وتذكرت مَرامْ، وتساءلت هل هي بخير الآن؟ هل تنام جيداً؟ لا أعلم، ولكن، ما قرأته من تغريداتها نقل لي طاقة سلبية جعلتني أبكي قبل نومي، وحينها أدركت كم العاطفة التي بداخلي.

* * *

في صباح يوم الخميس كان علي محاضرة من التاسعة للساعة الثانية عشر ظهراً، حضرتها وبعدها علمت من أصدقائي أن محاضرة الساعة الثانية عشر ستلغي، فخرجت من المبني ووقفت علي سلّمه أحدق إلي مبني صيدلة، وتذكرت مَرامْ، وفجأة رأيتها تخرج منه وتسير بخارجه، كانت خطواتها واسعة وكأنها تلحق شيئاً ما مهماً، عندما وقعت عيني عليها تسمرت في مكاني للحظات وجمدت، أردت اللحاق بها لكن لا أعلم ما حل بى فجأة.

أفقت من خيالاتي، وسرت خلفها، أسرعت وفتحت أقدامي بخطوات واسعة، فلم ألحقها، أطلقت قدمي للريح ومررت بين الطلاب، الجامعة كانت مزدحمة وقتها رغم أنها في أغلب الأيام فارغة، وتاهت ما بين الطلاب ولم أعد أراها، فتوقفت في مكاني يائساً، كنت علي وشك اللحاق بها، فناديت اسمها بصوت عالي: «مرام!».

لم أبقي في مكاني طويلاً، ركضت ومررت مرة أخري وأنا اصطدم بالطلاب في أكتافهم، فرأيتها أخيراً، ولم تهدأ خطواتها، ناديتها مرة أخري، فالتفتت إلي واستدارات بجسدها الرفيع لتنظر لي وأنا آخذ أنفاسي، كنت سأعرفها بنفسي، لكن لما نظرت في عينيها شعرت من نظراتها أنها عرفتني، فابتسمت ابتسامة لطيفة، وشعرت بالحيرة والارتباك أمامها ولا أعرف من أين ابدأ، وإذا قلت لها أنني صاحب حساب الأبراج سأشعر بالسخافة من نفسي، أنا لا أؤمن بالخبل الذي اكتبه.

تمتمت: «كيف حالك؟».

أومأت برأسها ورأيتها تتحرك من موضعها في غير ثبات، خطت خطوة لليمين ثم تعود لمكانها حتى شعرت بتشتت، فقلت لها:

- ما بكِ؟ اثبتِ.

ضحكت لتقول:

- لا هذه طبيعتي، أنا أتحرك دائماً في مكاني.

أحببت ذلك، وحافظت علي ابتسامتي وأنا أحدثها ثم قلت:

- أنا صاحب الحساب، كلمتك أمس.

لقد عرفتني لا شك، فهزت رأسها ثم سألتني في فضول:

- ما هو برجك؟ لا تقل لي أنه الجوزاء.

أجابتها في تردد، ولم أكن برج الجوزاء فأخذت نفساً عميقاً وأدركت أنها اطمأنت.

عندما قلت اسم برجي أومأت برأسها وقد ابتسمت، ولم أفهم ما استنتجته عندما عرفت برجي أو ما المشكلة ببرج الجوزاء فأصدقائي المقربين منه، لكن كل ما أعرفه أن برجينا متوافقين، أحياناً أتساءل لِمَ يسأل الناس عن الأبراج.

قالت:

- علاقة برجك بالسرطان ممتازة للغاية.

أجل، للغاية، أردت قول ذلك لها، وكدت أضحك من داخلي، فمن معرفتي بمواليد برج السرطان وإحاطتهم بى، هم يفكرون سريعاً بالزواج والارتباط من أول مقابلة!.

وقالت في استغراب:

- كل ما تكتبه عن السرطان فيني! كل شيء!.

ابتسمت وعجزت عن التعبير عن مدي فرحي أنها تتابع ما أكتبه.

ثم أضافت:

- حوت وسرطان وعقرب، هذه الأبراج قوية للغاية.

هززت رأسي ولم أقتنع بكلامها فماذا قد تعني القوة في نظرها؟ اكتفيت بالمشي جانبها علي نفس خطاها، وكانت تمشي مسرعة، لاحظت أنها طريقتها العادية في المشي ولا يوجد شيء تلحق به، فلم تكن منشغلة، دعوتها لأكل الحلوى في محل جانب الجامعة، فوافقت وأخبرتني أنها ذاهبة لكافيه جانب المحل لتحضر منه محفظتها، ثم قالت أنها تجلس هناك دائماً مع أصدقائها، فابتسمت ابتسامة مصطنعة وأنا أذكر أن أحد أصدقائي أخبرني أن هذا المكان لا يتجمع فيه سوي أصدقاء السوء وطلاب أخلاقهم فاسدة، تركتها تحضر النقود خاصتها وانتظرتها بالخارج، ثم فتحت جيبي لأتفقد النقود فيه فلم يكن معي سوي خمسون جنيه، وأظنها أنها لا تكفي لكلٍ منا لأن مجموع الحلوى سيكون ستون جنيهاً، وشعرت للتو أنني سأضع نفسي في موقف محرج من أول مرة.

دخلنا المحل، رأيتها تميل علي الباب بجسدها كاملاً وتدفع الباب بجسدها وليس بيدها، كانت طريقة غريبة لفتح الباب لكني دققت النظر فيها، ثم جلسنا علي طاولة كان حولها كرسي وأريكة، انزعجت من الزاوية خاصتها، رغم أن مَرامْ كانت جالسة بجانبي علي أريكة، لكني طلبت منها أن ننهض فتساءلت عن السبب، وبدوت مرتاحة وهي جالسة جانبي، لكني نهضت واخترت طاولة أخري حولها كرسيان من الخشب، وجلسنا ثم سألتها ماذا ستطلب، فاعتذرت عن الحلوى وقالت أنها لا تأكل الشيكولاتا، فطلبت مشروباً ساخناً لها، ثم طلبت لنفسي الشيكولاتا وأنا أحسب التكاليف بذهني، وكانت الخمسون جنيه كافية، وسيتبقي لي بعض الجنيهات، لا بأس، سأرجع للبيت سيراً علي الأقدام.

قطبت حاجبي وأنا اسألها:

- لماذا أنتِ ممنوعة من الشيكولاتا؟.

- هذا موضوع طويل.

نظرت لها باهتمام:

- أرغب بمعرفته.

ولمعت عيني بترقّب.

رفعت ساقيها عن الأرض وجلست القرفصاء علي الكرسي فتأملتها، وقالت: «لا أنا أجلس عادتاً بهذه الطريقة في أي مكان ولا أهتم بكلام الناس».

تساءلت بذهني إن كانت قرأت علي ملامحي الاستغراب، لا أعلم، لكن بدا لي أنها تركز في ملامحي وكل تفاصيلي.

هززت رأسي نافياً:

- لم أشعر بالضيق، خذي راحتك.

مالت للأمام قليلاً وابتسمت:

- أنا أفعل ذلك.

ملت نحوها وقلت:

- حسناً ما أمر الشيكولاتا؟ أنتِ تعالجين من مرضٍ ما؟.

لا أعلم حينها لِمَ خطرت ببالي أنها مريضة، رغم أنه، وفي العادي، يمتنع الكثير من الفتيات عن أكل السكريات محافظة علي جسدهم وبشرتهم، لكن شعرت بشيء مختلف في مَرامْ.

وقالت:

- أجل أنا كنت بالسعودية فترة، وكانت فترة امتحانات الثانوية العامة وكنت أشد في شعري.

أمسكت بخصلات شعرها البنّية وهي تتابع:

- شعري لم يكن بهذا الطول!.

تأملته لأري أنه يصل إلي كتفيها، وأضافت لي:

-هو يطول وينمو الآن، كانت فترة الثانوية العامة قلق وتوتر وكنت أضرب رأسي في الحائط وأجرح يدي، لدرجة ذهبت مرة للمستشفي كي أعالج وتلقيت أدوية، ويشخصني الطبيب بمرض أعصاب.

خطر ببالي المرض الذي أعاني منه، فشعرت بكم الألم الذي مرت به، لكنها قالت لي عن معاناة تعد أسوأ مما مررت به من مراحل، وكانت السلوكيات الغريبة التي قصتها علي فوجئت منها ولا أعرف تفسيرها فبدا لي أنه مرض غير مرضي، وسألتها لأتأكد:

-ما الأدوية التي تتناولينها؟.

-كتب لي علي بعض الفيتامينات إلي جانب أدوية أخري.

لما قالت لي أسماء الأدوية تبين لي أنه مرض آخر، ولم أكن أعرف اسم الأدوية التي تتناولها لجهلي الشديد بعلم الصيدلة، فأطرقت بالحديث عن موضوع آخر ولم أريد أن أحكي لها عن المرض الذي أعاني منه لئلا أشغل بالها بي. تحدثنا عن الأبراج الفلكية، فتحت لي مجالاً لأتحدث عنه وتوقعت أن تفعل ذلك، ولم أكن لأخبرها بمعلومات عن الأبراج بل طيلة الجلسة كنت أستمع لها، شعرت أنها تخزن الكثير من الكلام بداخلها

وتريد من يستمع إليها وتذكرت المحاضرة فكنت صاغي الآذان لها ولم يتطلب ذلك مني محاولات. وقالت:

- نحن أربعة أخوات، أخي وأختي نفس برجك، ولدي أخ آخر من برج الأسد.

وقالت لي عن أسمائهم لكنني نسيت ذلك، وفهمت لما ابتسمت لما قلت لها برجي وقد استنتجت بعض من سلوكياتي وأفكاري من خلال تعاملها مع أخوتها، لكنني لا أظن أن ذلك صحيحاً، فلكل شخص شخصية مختلفة.

أضافت:

- أنتم برج بارد للغاية، بطريقة مستفزة.

ضحكت وكنت أوافقها علي ذلك، فتابعت:

-كنت أخذت سيارة أخي وعملت حادثة بها، فنزلت منها وظللت أبكي وأصرخ ولم أعرف ماذا أفعل، الرجل الذي صدمته نزل من سيارته وكان سيصرخ في لكن لما رآني أنفجر في البكاء وأجهش اعتذر لي وحاول تهدءتي لكن لم يستطيع، فيما بعد بحثت عن هاتفي في حقيبتي واتصلت بصديق لي ليأتِ إلي، وبعدها بدقائق كان عندي وتناقش مع الرجل فلم يشغل الأمر باله سوي أن اهدأ، وبعدها رحل وكان صديقي ذلك أخذ السيارة معي ورحلت للبيت، في أثناء الطريق اتصلت بأخي وقلت له عما حدث فصرخ في، أنتِ غبية، غبية!! تفسدين كل شيء دائماً! وظل يكرر هذا بصوت عالي في الهاتف، غضبت منه، بل اشتعلت غضباً ولم أتمالك نفسي وكنت سأصدم السيارة مرة أخري بسببه.

رفعت حاجبي وسكت قليلاً لأرتب الموقف في ذهني، وقلت لها:

- أنا لو مكانه، لَم كنت تصرفت بهذه الطريقة، كانت لأسأل عن صحتك أولاً.

حركت أصبعها يميناً ويساراً نافية، وقالت:

- لا، لا، أخي لم يفعل ذلك.

- تصرفي معه ببرود، البرود يعصبنا.

هزّت رأسها نافية بقوة وقالت في عصبية:

- لا أستطيع، لا أستطيع أن أكون باردة إلي هذا الحد، حاولت وفي كل مرة أصرخ فيه.

ملامحها، نبرة صوتها، وطريقتها، وإيماءتها، كلها، تشير إلي أنها امرأة حساسة للغاية، بل أكثر مما قد يظن البعض، فابتسمت ابتسامة هادئة، وقلت في لطف:

- حاولي أن تتجنبي النقد السلبي منه.

بعضاً من حديثنا تطرق لأمور آخري، وتكلمنا عن العلاقات، وقد تبدلت ملامح وجهها، كانت باردة، حاولت إخفاء مشاعرها خلف قناع بارد لكنني قرأت ما تخبأه عينيها، عيونها تفضحها. قالت لي أنها كانت علي علاقة بشخصين والعلاقة فشلت بينهم، لكنها لم تخبرني عما آسته بعدها، وكنت متأكداً أنها عانيت من الحزن والألم أضعاف ما يعانيه البشر، كانت تتحسس من أي شيء، هذا ما لاحظته، قالت لي أنها مزاجية فقلت لها أنني لا أحب هذا النوع من الأشخاص وأميل للاستقرار أكثر، فنظرت لي بتردد وحاولت أن تشيح نظراتها عني لأني ضايقتها، ولم أنوي أن أكون علاقة معها، بدوت ثقيل الدم، ولم أكن علي طبيعتي معها، وهذا غريباً، حدثتها عني قليلاً، وتبادلنا مواقف مشابه من حياتنا، قالت لي ذات مرة أنها دخلت علي دكتور متأخرة عن ميعاد المحاضرة فقال لها اخرجي، لكنها صاحت فيه واعترضت، وطردها وجعلها ترسب في المادة، وقلت لها حدث لي نفس الشيء أيضاً، كنت في جامعة حكومية ولم أخبرها سبب تسجيلي فيها، ودخلت المحاضرة وقلت للدكتور أنني سأحضر فأعترض، لكنني أخذت منه مكبر الصوت وتكلمت فيه، وقلت له أنني سأحضر، ولا أهتم إن رسبت أم لا، ولم يجعلني أرسب، وتعجب لما فعلته معه، فلاحظت ابتسامة مَرامْ واندهاشها من جرأتي، بل لاحظت أنها تحكي لي مواقف معينة كي تثبت لي شيئاً هي ليست عليه في شخصيتها الحقيقية.

ابتسمت لها وطلبت منها:

- تكلمي بصوت هادئ أرجوكِ، لقد فُضحنا في المحل.

لم تهتم بمن حولها وبقت تنظر لي وهي ترد:

-هذه طبيعتي، ذات مرة كنت أقف عن مبني صيدلة، وناديت علي صديقي من مكاني في مبني هندسة، وسمعني ورد علي، كنا نتكلم من مواقعنا.

عبست واعترضت:

- لكن، ليس لطيفاً أن تكون فتاة مثلك صوتها عالٍ.

تورّد خديها خجلاً وقد ابتسمت ابتسامة واسعة لتخفي خجلها الذي استمتعت برؤيته، وقالت:

- أعلم ذلك، لذا أنا أحاول أن أجلس مع ناس هادئة كي أصبح مثلهم، أو مثلك. . .

- أجل حاولي.

أومأت برأسها وأطرقت النظر للأرض وشعرت أنني ضايقتها من نقدي السلبي لها، وهيأ لي أن هناك من سبقني بذلك النقد فربما قد أكون ذكرتها بشيء آخر، وأسرعت بفتح موضوع آخر معها، وفوجئت أن مواضيعنا لفّت لترجع إلي العلاقات، وقالت لي أنها تدخل في العلاقة ومن داخلها لا تحمل نيات سيئة، تدخل العلاقة وهي تأمن للطرف الآخر ولا تضع شكوك، لكن الناس دائماً تخذلها. زممت شفتي علي حظها وقلت لها:

- عليكِ أن تكوني حذرة أكثر من ذلك، الناس ليسوا طيبين.

حدّقت إلي وهي تزيح خصلات شعرها خلف أذنيها:

- حاولت بالفعل لكني فشلت في كل مرة.

كلامها كله ينم عن محاولات نتيجتها واحدة وهي الفشل وبدا لي أن ليس لديها خبرات في الحياة، فسألتها:

- كم عمرك؟.

أجابتني في دون تردد:

- اثنان وعشرون، وأنت؟.

- أنا بالتاسعة عشر من عمري.
- صغير. . !.

ابتسمت وقلت في سخرية:

- أجل، هل أناديكِ بسيدتي؟.
- لا تمزح.

شعرت بالتوتر، وقد فقدت روح الدعابة، ثم قلت:

- حسناً سأكف عن ذلك.

أحسست بتوتر داخلي فأسرعت بإمساك الشوكة، وقد تبقي جزءاً صغيراً من الحلوى، فقطّعتها، وقد تعثرت يدي ووقعت الشوكة مني علي الطبق محدثة صوتاً عالي، فارتبكت ونظرت حولي، ابتسمت مَرامْ وقالت لي:

- لا بأس، أنا كنت مثلك لا أستطيع استخدام الشوك والسكين لكنني تعوّدت بعد ذلك.

لم يكن الأمر كذلك، رغم هذا هززت رأسي وقلت:

- أجل هذا يحدث معي دوماً.

وحمدت ربي أنها لم تري توتري، لكنني لم أصدق ذلك، كنت مكشوفاً أمامها، وهي لا تفوّت أيّة تفاصيل. نظرت للطبق وقد قطعت الحلوى وقسمتها إلي قطع صغيرة حتى لا أمسك الشوك والسكين معاً مجدداً، ثم وضعت قطعة من الحلوى في الشوك، وقربتها من فمها وقلت:

- خذي.
- صدقني أنا ممنوعة منها.

طالما لم تعترض علي طريقة إطعامي لها ألحت عليها، وقلت:

- لا أحب تناول الطعام وحدي صدقيني.

وتذكرت أنني كل يوم آكل وحدي ولا أعلم لم صنعت هذه الكذبة وصدقتها.

- كلا، كُل أنت، صدقني لو ممكن كنت أكلتها منك دون أن تدعوني.

بعدما ألححت عليها رفضت، فأكلتها أنا وأنهيت الطبق في دقائق بينما كنا نتحدث وتراقبني في سعادة، وكنت أجهل حقيقة مشاعرها نحوي في تلك اللحظة، وبدت عينيها غامضة ومربكة، مبهمة للغاية لا استطيع قراءتها.

نظرت لهاتفي الذي تركته علي الطاولة أمامنا، وفتحت صفحة الأبراج أمامها، لكنها لم تلتفت لشاشة الهاتف، جاءها اتصال مفاجئ فردّت مسرعة، وقالت: «آلو يا أمي».

ثم أضافت بعد لحظة: «أنا في الجامعة، مع صديقي».

لاحظت كلمة صديق التي قالتها وقد شعرت بالفرح داخلي. مَرامْ أخبرتني أثناء جلستنا أن علاقتها بوالدتها جيدة، ولم تخبرني الكثير عن والدها لكنها قالت أنه يدللها دائماً عن بقية أخوتها، وأنه يحبها كثيراً واشتري لها سيارة لتستقل بنفسها، ولم يعودوا للسعودية، وكانت حياتها في السعودية مأساة، وجاءت هنا في مصر تحررت، لكن التحرر كان في المستوي المنحدر، ارتدت سراويل ضيقة، ولاحظت صوت ضحكة عالي لها وطريقة جلوسها ومصافحتها وقربها لشباب الجامعة من مختلف الأعمار والكليات، لاحظت كل ذلك وحاولت تقبله، وقد تقبلته بالفعل، وأردت أن أغير منها لتكون أفضل.

أطرقنا بالصمت طويلاً بعد أن أنهت المكالمة، ووضعت هاتفها جانباً فيما أمسكت بهاتفي من التوتر ولم أجد شيئاً قد يقال، فحدقت لي مطولة، ولاحظت بطرف عيني أنها تتأمل ملامحي ببطء، لم أريد أن أنظر لها وبقيت مستمتعاً بامرأة جميلة تجلس معي وتنظر لي، وتساءلت فيما قد تفكر؟.

نظرت للساعة، اقتربت من الواحدة ظهراً، فقلت لها:

- عندي محاضرة بعد خمس دقائق.

- وأنا أيضاً.

نهضت من الكرسي وقلت: «هيا بنا إذن، سأوصلك معي».

دفعت النقود، وكانت قد رفضت ذلك، لكنني تشاجرت معها، وبالنهاية كان الحساب قليل وكانت تملك مائة جنيه فدفعت أنا، وغادرنا وأنا أخبرها بأن تردهم فيما بعد، فابتسمت وقالت سأفعل. خرجنا من المحل، وسرنا بعيداً عنه، وقد اقتربنا من الجامعة، توقفت في مكانها فجأة، فنظرت لها متسائلاً:

- ماذا؟.

- أبداً، سأذهب لأجلس مع أصدقائي قليلاً ثم أحضر المحاضرة.

- حسناً فهمت.

ووقفت أمامي ثم فتحت ذراعيها ومالت علي، عانقتني وقد احتجزت جسدي بين ذراعيها، جعلتني أشعر بقشعريرة في جسمي كاملاً، وأحسست بأذني تلتهبان، إنها المسئولة عما يصيبني، أحيت في مشاعر مجهولة وغير مرغوبة، وأدركت أنني لم أكن لأشعر بذلك من وقت طويل، تلك الرعشة، عندما تصيبك تدرك أنك تحب هذا الشخص بالفعل، وقد هُيمت فيكِ عِشقاً يا مَرَام.

بقت يدي جانبي مسلوبتان ولم أضعها عليها من فرط الدهشة. كان عناق قصير لكنه أثار فيّ الكثير.

رجعت للخلف وقالت:

- لقد سعدت برؤيتك اليوم.

وضعت يدي علي قلبي للحظة وقد شعرت بخفقان صعق صدري من الداخل، وقلت:

- أنا أيضاً. . .

مالت رأسها ناحية كتفها وهي ترمش بعينيها من الشمس، ثم تمتمت:

- وداعاً.

استدارت وقد اتجهت للكافيه الذي تضع فيه حقيبتها، فيما استدرت وذهبت للجامعة، وسرت بعض الخطوات، ثم عبرت الرصيف، وسمعت صوتاً من خلفي، فكانت هي:

- سأتصل بك؟.

لففت وجهي باهتمام نحوها، ورأيتها تأومأ برأسها: «أجل، ستكون ممن أتصل بهم».

كانت تحدث نفسها إلي، وفهمت ما عانيته، أعلم أن مواليد برج السرطان يصعب التعامل معهم وكثيراً ما يتجاهلون الناس ويتوسلون إلي من يحبوهم ولا يريحهم الشخص الذي يحاول الوصول إليهم بسهولة، وهذا ما أدركته في اليوم التالي عندما راسلت لها رسالة، وقد طلبت مني رقم هاتفي فأعطيته إليها وأخذت رقمها، وبقينا نتحدث بالرسائل، فتحت صورتها ولم تقل جمالاً عن الحقيقة التي رأيتها عليها وشعرت أنني أكثر الرجال حظاً علي الأرض.

رحلت وأنا أحمل عطر نسائي فوق عطري، وكنت أستنشقه وأذكر روعة إحساس العناق، فاجأتني لكني سررت.

* * *

ألقيت عليها تحية الصباح، فقالت لي أنها قد استيقظت للتو، وأخبرتها أنني ذاهب للعين السخنة فأرسلت لي صوراً كقلوب ووجوه تضيء عينيها بقلوب، استنتجت حماسها وفرحها، ودعوتها معي في مزحة، لكنها قالت أنها منشغلة بسفر والدتها، وطلبت منها أن نتقابل مرة أخري فطلبت أن تصوري لي جدولها لأعرف مواعيدها، لكنها تهرّبت، وقالت أنها منشغلة، قلت لها أعلم، فلم ترد، وسألها ماذا تفعل فقالت أحدث صديقين لي، أردت أن اسألها ما علاقتها مع الرجال، إنها تعرف الكثير من الرجال ولا أذكر أنها حدثتني إلا عن واحدة فقط من صديقتها وتدعي كارلا، ولا يوجد سواها تقريباً، حتى أختها لم تتحدث عنها كثيراً.

أغلقت معها المحادثة وأنا لم أحدد ميعاد لأقابلها، عندما سألتها عن يوم الأحد وأننا كنا سنتقابل فيه من قبل لم تجيب، قلت لها أحس أنني ثقيل عليك، فلم ترد أيضاً، لكنها كانت تقرأ رسائلي، ولم أفهم ما فعلته. إنها تشبه رِهام، الأخرى من نفس البرج، لقد جننت منكم للتو.

مرّ ذلك اليوم بسلام، ولم أذهب للسخنة، أعلم جيداً أن ما حدث فيها لن يجعلنا نذهب إليها مرة أخري، جلست في المنزل وذاكرت، وفي اليوم التالي لم أتصل بها، لا أريد أن أكون سبب إزعاجها، رغم أنها كانت جيدة معي أمس، هل كانت تتصنع إذن؟ لا أظن، كانت علي طبيعتها معي، ولم أعلق علي شيء فعلته كي تتصرف علي راحتها.

ليلاً فتحت حسابها من شاشة الحاسوب وأنا أضع أمامي الرسمة ولم تكن قد اكتملت بعد، رتبت الأقلام جانبي ومسكت بالفعل بالقلم وكنت لأفتح صورتها فرأيت أنها غيرت الصورة الخلفية للغلاف وكانت عبارة عن لوحة بيضاء عريضة قد رُسم عليها صورتها بثلاث انفعالات، وهي تضحك وهي هادئة وهي مبتسمة، وكانوا بالقلم الجاف، أي مستوي أعلي مما أرسمه من الرصاص، لا أعلم من رسمها لكنه لم يبدو رسّاماً، فلم تكن جميلة للغاية أو محترفاً، وهكذا ظننت، فبدا لي أنه صديق من أصدقائها. شعرت بالغضب والضيق، ولم أكن أحب أن أهدي شيئاً لأحد قد سبق وأن تلقاه من غيري، أحببت أن أعطيها شيئاً مميزاً وجديداً لم تتلقاه من قبل، فكوّمت الورقة وأفسدت الرسم، وأمسكتها في يدي ونهضت من الكرسي ثم ذهبت للمطبخ، وقبل أن ألقي بها قطعتها ومزقتها لقطع أوراق صغيرة، أدركت أنني لم أريد أن أهاديها شيئاً مميزاً بل شعرت بالغيرة داخلي، وأشعلت مشاعري ولا تدري ما فعلته بى، هي لا تشعر بشيء.

لما فتحت حسابها وجدت صوراً قد وضعتها، فكانت الأولي لذراع رجل قد برزت عروقه، والأخرى لذقن طويل وكثيف، والصورة الأخيرة لنغزتين في الوجه، هذه علامات الجمال لدي الرجل كما أعلم، وضعت فوقهم قلوب وأشياء سخيفة كهذه، تضايقت وذهبت لغرفتي، لأقف أمام المرآة وأري وجهاً امتلئ خديه بالحبوب ولم أكن أملك نغزتين، ولم نظرت لذراعي كانت عروقي غير بارزة، فمكانهم متلون بالأزرق.

رأيت في المرآة وجها وضع علي أنفه نظارة طبية للنظر، ولم أكن وسيماً، أنا شاباً عادياً، عادياً جداً لا شيء في ظاهري مميز، وكنت رفيع ولم أملك عضلات في بدني أبداً ولم أكن لأبني عضلات جسدي يوماً وقد أهلكت عيني من القراءة فضعف نظري وقل تركيزي، وإذا تركت ذقني تنمو لن تكون جميلة لأني جربت ذلك بعد نتيجة الثانوية العامة

وشعرت أنني كئيب للغاية، الذقن ليست علامة من علامات الجمال، لكن المصممين استخدموا علامات الاكتئاب موضة السنة لتكون جذابة، وإذا تركتها تنمو أيضاً لا يجب أن انسي أن الحبوب ستفسد جمالها ولن استطيع حلاقتها. ليس لدي نغزات بالوجه ولا أستطيع أن أبني عضلات في جسدي لأظهر عروقي، فقد منعني الأطباء عن حمل الأثقال وممارسة أي رياضة غير المشي كي لا أرهق نفسي وأتعرض إلي انتكاسة.

نظرت لنفسي في المرآة وأنا أقارن الصور بى وتأكدت أنني لا أتميز بشيء قد يعجب مَرامْ، وأن مثل هذه الأشياء قد توقعها في الإعجاب، لكنني أردت أن تحبني، كما أشعر نحوها.

وسألت نفسي للحظة، هل أنا حقاً أحبها؟ وإن كنت كذلك، فعلي ماذا أحبها؟ لا شيء قد فعلته يجعلني أحبها.

فكرت بأن أتقرب منها بالنحو الذي أستطيع أن أكون فيه متميزاً، ولم أجد شيئاً، فكلانا من عالم آخر، هي لها أصدقاء كثيرين وأنا انطوائي، هي في كلية عملية وأنا في كلية نظرية، هي من بيئة متحررة وأنا أهلي من بيئة متشددة ومتمسكين بالدين.

لقد شُغل بالي بهذا الأمر طويلاً، ولم أتركه إلا أن وجدت له حلاً، فدلفت سريعاً لكلية صيدلة في اليوم التالي، ودخلتها باحثاً عن أطباء يدرسون الكيمياء العضوية، قالوا لي بالطابق الثاني، بحثت عنهم فلم أجدهم، اضطررت للبحث عن المعيدين، قالوا لي بالطابق الثالث فصعدت مجدداً ودخلت غرفة المعيدين، شممت رائحة المعامل وسألت عن معيدين الكيمياء العضوية، فأجابوني أنهم قد يكونوا بالطابق الثاني، وقد أجن، وعندما نزلت علي الدرج رأيت معيدة، فسألتها قالت إنها معيدة في الكيمياء العضوية، تشبثت بها وقلت:

- أريد أن أجلس معك قليلاً لتشرحي لي شيئاً، فضلاً منك.
- حسناً ولكنني لست متفرغة اليوم.
- إذن متى قد آتِ لكِ؟.
- غداً سأكون متاحة من الساعة الثانية.

لما راجعت جدولي بذهني وجدت أنني منشغل في ذلك الوقت، وسألتها عن مواعيد أخري فلم أجد أيّة توافق بيني وبين مواعيدها، ورحلت أبحث عن عمرو، اتصلت به لأجده جالس في مطاعم الجامعة، طلبت منه ورق الكيمياء العضوية، لطالما كان يشكو منها، لما أعطاني إياها قرأتها في البيت، وفهمتها، وطلبت من خالد الطبيب أن يشرحها لي ففهمتها في خلال نصف ساعة وقد كان معي ورق منهجهم كلهم، ولكن، تذكرت أم مَرامْ عمرها اثنان وعشرون عاماً، أي أنها لن تكون بالفرقة الأولي، وقد ضاع كل مجهودي علي لا شيء، فهمت الكيمياء العضوية وأنا لا أحب الكيمياء وكم كنت أكرهها، وعانيت منها، لكن فكرت إن فهمتها وجلست أذاكرها معها سأقضي وقتاً أطول لأستطيع أن أكون قربها، فجأة أدركت أنها أخبرتني أنها بالفرقة الثالثة من كلية صيدلة وكنت قد نسيت ذلك. أعلم أن الفرقة الثالثة لا تدرس الكيمياء العضوية، بل يدرسون عن الأدوية بتعمق أكثر، وتعد الكيمياء العضوية مقدمة لمنهج صيدلة الأساسي، فألقيت بالورق، وضربت رأسي بالحائط أفكر، لا يوجد حل في ذهني، لكن مع ذلك، كنت أردد بداخلي، سأقترب منكِ يا مَرامْ وآتِ برأسك. (معني آتِ رأسك بالسعودية أنني سآتي بهذا الشخص وأحصل عليه).

ذهبت في اليوم التالي لكلية الصيدلة وقد انقلبت معدتي من رائحة الأدوية في ذلك المبني لدرجة أنني اشتكيت لإدارة الجامعة لكنهم قالوا أنه لا يوجد أي حل لهذا الأمر، لا أعلم لِمَ أتعذب لكل هذا، كان بإمكاني ألا أفعل هذا.

بحث عن معيدين الكيمياء العضوية، ووجدت واحدة منهم في الطابق الثالث، وقفت أمامها وسألتها:

- أريد أن أسألك عن أمراً في التفاعل الكيميائي للكربون.

قطبت حاجبيها وسألتني:

- كيف ذلك؟.

لم أدري أن سؤالي غريب، فعدت أشرح لها:

- هناك تفاعلات بالكربون ورموز لا أفهمها.

- بأي فرقة أنت!؟.
- أنا؟ . . . بكلية التجارة.
- ما أتي بك إلي هنا؟.

هززت كتفي بلا مبالاة:

- أنا هنا أسأل عن شيء وأريد إجابة.

ثم أريتها ورقة لدي كنت أكتب فيها تفاعلات كيميائية، فأخذت تقرأها، وقالت أن هذه التفاعلات جديدة عليها لا تفهمها، فسألتها أين قد أذهب، وردت بأن هناك دكتورة في غرفة بآخر الطابق قد يكون لديها فكرة، لما دخلت وجدت بعض الطلاب متجمعين حول الدكتورة وكانت تشرح لهم، رأتني وشعرت بأنني وجه جديد عليها، فأوقفت شرحها وقالت: «تفضل».

اقتربت من مكتبها ووضعت أوراقي التي كتبت فيها بحثاً عن مادة كيميائية جديدة، ما جعلني أكتب عنها رغم كرهي للكيمياء أن موضوعها مرتبط بشدة من الفيزياء، وكنت طالباً متفوقاً في مادة الفيزياء، والكيمياء أيضاً لكن الثانوية العامة أفسدت كل شيء، لم أدع ما حدث لي بالثانوية أكره المواد، وكنت قد قدمت بحثاً عن تلك المادة في المدرسة بالثانوية وتلقيت إعجاباً من المدرسين لأن الموضوع جديد للغاية ولم يكونوا مدركين له، وأضفت لهم أفكاراً لاختراعات وأعطيتهم طرق صناعتها، لكنهم قالوا لي أن هناك حفلة موسيقي بالمدرسة فاعتذروا لي عن تقديم محاضرة في هذه المادة، وقد وصل الأمر لإدارة شرق مدينة نصر ومسئول التعليم عن طريق مديرة المدرسة لكنهم لم يهتموا بى، ودخلت في الثانوية العامة ونسيت الأمر، وها أنا أعيد البحث فيه بنتائج متقدمة وعرضتها علي المعيدة فلم تفهمه، ووضعت الأمل بالدكتورة بأن تفهمه، وأن تشرح لي الأجزاء التي عجزت عن فهمها، وأظهر أمام مَرامْ أنني ذو علم وشأن، وأعجبها بالطريقة التي قد أبرع فيها، وليست ما تحبه هي.

رفعت الدكتورة رأسها نحوي ونظرت إلي من فوق النظارة لتسألني:

- ما هذا؟.

يا إلهي هي الأخرى لا تعلمها، بأساً، فشرحت لها وقلت:

-هذه مادة تدعي الجرافين، الوحيدة علي الأرض ثنائية الأبعاد، قد يخترع منها اختراعات مذهلة في السنين القادمة.

هزّت رأسها وقالت:

- لم أسمع عن هذه المادة من قبل.

-لقد تم اكتشافها في سنة ألفان وستة ولم يتحدث عنها أحد إلا في سنة ألفان وأحدي عشر وكنا منشغلين بالثورة ولم نتابع شيء، وحصل عالمان علي جائزة نوبل في الفيزياء لاكتشافها.

قاطعتني عن الكلام ولم أدرك أنني قد تحدثت كثيراً:

- أنا لا أدرّس الكيمياء العضوية، ما اسم الدكتور الخاص بك؟.

تلعثمت في القول وتساءلت لِمَ دلتني المعيدة إلي هذه الدكتورة إذ لم تكن تدرس الكيمياء العضوية.

- أنا بكلية التجارة. . .

ضحكت في سخرية وضحك الطلاب الموجودين أيضاً، لم أفهم السبب، نظرت لهم بغرابة وأنا أسحب الورق الخاص بى نحوي، ثم قالت الدكتورة:

- غريبة. . . حسناً! اترك لي البريد الإلكتروني الخاص بك وإذا وجدت شيئاً عن هذه المادة سأرسل لك.

أعجبني بهذه الدكتورة أنها رحبت بفكرة البحث عن المادة ولم تهتم أو تعلق علي كليتي رغم أنني لم أفهم حتى الآن سبب ضحكهم، ولما أعطتني ورقة وقلم لأكتب بريدي الإلكتروني كنت قد نسيته، وكتبت لها بريداً خاطئاً، وغادرت غرفتها ونزلت من علي الدرج وأنا أحاول تذكر البريد، وأدركت لما خرجت أنني قد كتبت بريداً خاطئاً، فأخذت أضرب جبهة رأسي بيدي، ولما رجعت للدكتورة بعدها بيوم لم أجدها، وسألت عن مواعيدها فقالوا أن امتحانات نصف العام اقتربت وبقت بعد أسبوع والأطباء لن يأتوا.

* * *

انشغلت بامتحانات نصف العام، ولم أكن قد اتصلت بمَرَامْ أو حتى كلمتها علي رسائل تويتر، لكنني فوجئت يوماً بأنها أرسلت لي إضافة علي الفيسبوك، واستغربت ذلك، خطر ببالي أنها بالكاد بحثت عني وكتبت اسمي لتجدني وتضيفني، فلم يكن بيني وبينها أصدقاء مشتركة، وبدون تفكير قبلت الإضافة، ثم أغلقت الهاتف ورحت أذاكر ولم أدخل علي صفحتها أو فتحت صورها كعادتي.

أدركت من تصرفاتي مع مَرامْ أنني أحبها بالفعل، كان شعوري باللهفة لأراها حباً وجنوناً، ولم أكن مغرماً برؤية صورها لأتأمل جسدها وأتخيل فيها بل أردت أن أراها علي الحقيقة لنتحدث سوياً، أردت التعمق بشخصيتها، وأعرفها أكثر، لا أريد أن أكون قريباً منها بل أريد أن أكون جزءاً منها، بداخلها، وأحتبس نفسي فيها.

بقينا شهر لا نتحدث، وكنت أنتظر منها أن تبدأ في الكلام حتى لا أشعر بالضيق من نفسي لأنها بالمرة الأخيرة لم ترد، لكنني لم أستطيع، فتحت الرسائل، وأرسلت لها أول يوم بالامتحانات، وعجباً لحنين لا تنهكه الأيام، ومهما قسوت لا ينكسر حناني لها.

«مرام، كيف كان يومك؟ أبليتِ جيداً في الامتحانات؟».

بعد عشر دقائق وجدتها ترد، فدق قلبي فرحاً وانقبضت معدتي علي، وقالت: «أنا بخير ؛ وأنت؟ الامتحانات تسير بشكل جيد ؛ كله بالحُب..».

تذكرت أصدقائها، وكتبت لها سريعاً: «ركزي علي نفسك هذه الفترة يا مرام».

شعرت كم أنا ممل وأنا أعطيها نصائح، ولم يخطر ببالي أبداً أنني قد أكون مهتماً بها، لأني في العادة أقول للمقربين مني من الفتيات والرجال فترة الامتحانات أنني مستهتر ولا أذاكر، وأحياناً كنت أقول لهم أنهم مستهترين، لو كنتم ذاكرتم كنتم حصلتم علي ثلاثة من عشرة مثلي، فيضحكوا.

قرأت الرسالة لكنها لم تجيبني، انتظرت عشر دقائق وقد غدا الدم في عروقي وشعرت ببرودة أطرافي، فكتبت لها:

- أنتِ بخير؟ هل أكلمك في وقت آخر يسمح فيه مزاجك؟.

تذكرت تغريداتها الحزينة دائماً وقد يكون هذا سبب قلقي المفاجئ عليها ومبالغتي في الخوف بالرسالة، أردت الاطمئنان، فأرسلت لي:

- أنا بخير ما الأمر؟ كنت أحدث والدتي.

تنهدت وشعرت أنني بالغت من مشاعري، وتذكرت آخر مرة كنت فيها قلقاً بهذا الشكل فانزعجت، وغيرت مسار الموضوع: «اسمع أن الجامعة تقوم بحفلة بعد الامتحانات، صحيح؟».

بعد دقائق أرسلت لي: «صحيح».

فسألتها: «هل ستأتي؟».

أجابت بعد فترة: «لا أعلم».

لِمَ قد تفعل بى هذا؟ تتركني أتلهف علي رؤيتها وتمنعني من ذلك، أكتفي برؤيتها صدفة وهي تمر مع صديق لها أو صديقتها، وأترقبها من بعيد ولا أتحدث إليها، ألا يبدو لها أنني مهتم بما فيه الكفاية؟.

وتذكرت جملة قلتها لها عندما خرجت من المطعم: «لقد عرفت الكثير من برج السرطان ولكن لن أحكم عليك بشيء لمجرد أنكِ من هذا البرج بالطبع، علي أن أعرفك أولاً».

أومأت لي رأسها وقالت: «لكنني سأكون مختلفة عما عرفتهم».

وكما قلت سابقاً، أنتِ بالفعل مختلفة يا مرام، ولكنك، مختلفة علي الوضع الأسوأ الذي لم أتوقعه.

فتحت حسابي الشخصي علي تويتر، وكتبت: «فيكِ من القمر نوره وجماله وبُعده عني».

ضغطت علي زر الكتابة لترفع التغريدة علي صفحتي وأنا أعلم أنها لن تقرؤوها أو تعلم أنها لها، فهي لم تكن من المتابعين لي علي الحساب الشخصي.

لما قرأت تلك التغريدة للمرة الثانية عندما نزلت علي صفحتي لم أتخيل يوماً أنني كنت سأكتب شيئاً كهذا، فلطالما كنت أكتب تغريدات ساخرة ولم أكتب عن الحب

مسبقاً، لأني لم أستطيع إيجاد كلمات توصف الحب والمشاعر، لدرجة ظننت أنني سأكون فاشلاً بالعلاقات الإنسانية، لكن بدا لي أن الحب يجعل الشخص أفضل في تصرفاته وكلامه وتعاملاته واهتمامه وكل شيء.

راودني إحساس أننا سنتقابل أنا ومَرامْ مرة أخري وسنتحدث مجدداً، راودني ذلك الشعور طويلاً، بالرغم من أن الامتحانات انتهت وقضيت الأجازة مع أصدقائي لكن سافرنا للإسكندرية يومها، وحدثت بالإسكندرية شيئاً غريباً.

بدايةً كنا ثمانية رجال، توجهنا في سيارتين، وقد طلب حازم من خاله مفتاح شقته هناك، وأخبره خاله أن شقته غير متاحة الآن، فأعطاه مفتاح شقة صديقه وأخبرنا أن هذه الشقة كانت مكان لتربية الكلاب من قبل، وعند سفرنا أعطتنا زوجة خال حازم زجاجات من عصير المانجا لنشربها هناك. وصلنا في خلال ثلاث ساعات، واستغرقنا ساعة إلي أن وصلنا إلي الشقة من شدة الزحام في الأجازة، ودخلنا وألقينا أغراضنا علي الأرض، لم نلاحظ أن هناك رائحة للكلاب في الشقة، واستطعنا الجلوس فيها، أخرجنا ملابسنا وأغراضنا كلها من الحقائب وألقيناها علي الأرض وخلعنا ملابسنا لأننا كنا نرتدي تحتها ملابس البحر، وتركنا الشقة ونزلنا للبحر مباشرةً، ولما رجعنا كنا مرهقين للغاية فنمنا علي الأرض وبعضنا نام علي الأريكة والآخر نام علي السرائر، وكنت أنا علي الأرض، واستلقينا في النوم طويلاً، حتى استيقظنا علي صوت كسر أطباق وزجاج خارج الشقة، ففتحنا عينينا وانتفضنا من مكاننا جميعاً، حدقنا لبعض لحظات وكل منا ينظر للآخر في دهشة، فرأيت أصدقائي مغرقين بعصير المانجا، والحوائط والسقف كلها مغرقة بالعصير، سألتهم ما بكم، فقالوا أنت أيضاً علي ملابسك عصير المانجا، في الوقت نفسه كنا قد سمعنا صوت الكسر بالخارج، إنه نفس الصوت، فنظرنا نحو الباب وارتجفنا من الخوف وقد طرقت قلوبنا كالطبل الصاخب، تذكرنا ما حدث بالعين السخنة فراح كل واحد يبحث عن أغراضه ليضعها في حقيبته، ولما نظرنا أرضاً وجدنا حقائبنا مغلقة، ملنا نحو الأرض وحمل كل واحد حقيبته وفتحها لنجد أن كل واحد فينا أغراضه بحقيبته، ولا نعلم كيف ومتى حدث ذلك، وفتحنا باب الشقة لنجد لا أثر لأي كسر أطباق أو

زجاج، وغادرنا من منطقة السكن وأوقفنا سيارتين أجرة لنرحل من الإسكندرية، ولم نعرف كيف كنا نائمين وقد ألقي علينا عصير المانجا ولم نستيقظ أو نشعر بذلك.

امتنعنا عن فكرة السفر نهائياً ولم أستطيع العودة إلي منزلي، طلبت من حازم أن أقيم معه لأن ليس لديه أشقاء فتيات ولم يمانع أبداً، فبقيت الأجازة عنده وأنشغل عقلي وبالي عن مَرامْ، ولم أذكر إلا أنني في يوم أرسلت لها رابط لأغنية عمرو دياب والمفضلة لي «قصاد عيني»، كنت أحب سماعها في فترة من الفترات ولازلت أدمن علي سماعها فأردت أن تكون تلك الأغنية محببة إليها هي الأخرى، وقد أحب سماع كلمات تلك الأغنية، واستغرب ممن يقولون أنها أغنية حزينة، فكانت تبعث بداخلي التفاؤل والأمل، بالتأكيد لم يسمعوا عزفها علي مواقع الإنترنت وفكروا في كلماتها.

فتحت الرسائل لتري رابط الأغنية ولكنها لم ترد، فظننت أنها فتحت الرابط لتسمعها، ولكنها غابت أكثر من مدة الأغنية بكثير، فبعد دقائق راسلتها: «هل استمعتِ إليها؟».

قرأت الرسالة بعدها بقليل وقالت: «كلا.. لم يفتح الرابط معي ؛ أنا أفعل شيء الآن ؛ بعدها سأفتحه».

أرسلت لها رابطاً بعزف الأغنية نفسها، ولم أرسل لها الكلمات حتى لا تركز فيها، كان من عزفها بالبيانو عبقري، دهشت لطريقة لعبه علي البيانو وسمعت الأغنية بدل من المرة ألف، ونسيت أمر مَرامْ تماماً وغبت في صوت العزف بداخلي.

* * *

بدأ الفصل الدراسي الثاني ببدايات مبشرة، تحسنت لدي اللغة الانكليزية ولم أواجه صعوبات فيها كما سبق، وساعدت نفسي أكثر علي ذلك فنزلت لسوق الأزبكية وقد سمعت عنه كثيراً من قبل، أحضرت كتباً كثيرة من هناك، ومررت بين المكتبات ووقعت عيني علي كتاب وردي، لفت نظري ذلك اللون، رغم أنني لم أحبه أبداً، وكان يعبر عن الحساسية المفرطة، لكن وقفت أمام ذلك الكتاب وجذبني الاسم، فكان «سيكولوجية الحب» لدار الشرق.

راجعت قائمة الكتب لدي التي اشتريتها للتو:

التقنية الهندسية للمتفجرات

قوة عقلك الباطن

التقنيات الإلكترونية

الجينوم البشري

الفيزياء المسلية

لم يكن من ضمن كتبي أي نوعاً من كتب علم النفس، ولما رجعت البيت بهذا الكتاب فتشت في مكتبتي وأدراج مكاتبي علي كتاباً في علم النفس فلم أجد، هذا غريب، كان ذلك النوع الوحيد من الكتب التي لم أقرؤوها من قبل، لذا تركت كتب الفيزياء التي اشتريتها والروايات والتنمية الذاتية وكتب الاقتصاد وبدأت بهذا الكتاب الفريد من نوعه في مكتبتي، قرأت فيه معلومات أدهشتني قليلاً، وغيرت مفهومي عن الحب، إنه الحب كما لم أفهمه من قبل.

استلقيت علي سريري وأضئت نور خافت فوقي فيما كانت بقية الغرفة مظلمة، وفتحت الكتاب وقد بدأت بقراءة تمهيد عن الحب وكيف نظر إليه الدين والفلاسفة والشعراء، ثم قلبت ذلك وكان قد تحدث عن الجانب النفسي المرتبط أكثر بالعلم، وأوضح أشياء لم تخطر ببالي، فقال الكاتب:

«بعض الإحساسات والمشاعر الإجرائية والعملية المنبثقة بين الشريكين تجسد مغزى الحب واستمراره عنصراً فاعلاً لتقوية الشراكة مثل:

- الإحساس أنك تستمد من الطرف الشريك الحماس والنشاط.
- الشعور بالأمان.
- لا أرغب في رؤية الطرف الآخر حزيناً.
- الإحساس بالذنب عند القسوة علي الشريك.».

ثم أضاف أشياء أخري كثيرة إلي جانب تلك الإحساسات والمشاعر وأمضيت في القراءة وقلبت صفحات أخري لأجد بصفحة ثمانية وخمسين يتحدث عن احتياجات

المرأة، وقرأت هذا الجزء بتركيز، فضمن: «العناية، التفهم، الاحترام، التفاني (أن تشعر أنها علي رأس أولوياته)، التأييد (تفهم المشاعر والتعاطف معها)، الاطمئنان».

رفعت عيني عن صفحات الكتاب وأطرقت بالتفكير مطولاً في مَرامْ وهل أنا الرجل الذي يوفر لها تلك المشاعر؟ وهل تري أنها علي رأس أولوياتي وإن كانت كذلك بالفعل، لكن تصرفاتها لا تجعلني أظهر كل ما بداخلي لئلا أنجرح وأقسو عليها وتدفعني للرحيل عنها ولن أقوي علي ذلك.

قلّبت الصفحات ووصلت لجزء آخر يتحدث فيه عن معاني كلمات الحب التي قد أسأت فهمها، فقال الكاتب:

«الهوى: ويقصد به ميل النفس.

العلاقة: وتعني أن الحب يلزم صاحبه، وهي تعلق النفس بالمحبوب.

العشق: وهو فرط الحب، أو عجب المحب بالمحبوب مقترن بشهوة.

الود: وهو خالص الحب وألطفه وأرقّه».

أيقنت أن لكل كلمة معني وتأثير مختلف في معاني الحب وقد كنت أظن أن كلهم واحد مع اختلاف درجات الحب من الطرفين ليس إلا، لكن هذا الكتاب غيّر منظوري عن العلاقات الإنسانية، وكتب عن الحب بأسلوب أرقي مما أراه علي واقعنا. شعرت بالنعاس البالغ، لكني وعدت نفسي بأن انتهي من قراءة بعض الصفحات الأخيرة ثم أعود وأتابع قراءته كاملاً حتى أنهيه، فقرأت تلك الجملة ولم أنساها قط: «نلمح العاشق هنا يجعل من تجربته تجربة تراجيدية مشابهة، يعاني فيها ويقاسي لبلوغ المرام».

توقفت عند هذه الفقرة لما قرأت كلمة المرام، وكنت قد ظننت بالبداية أن اسم مَرامْ لأحدي الزهور، وكيف لي أن أكون قارئاً ولم أتساءل يوماً عن معني اسمها. تركت الكتاب بجانبي وبحثت عن هاتفي، فوجدته تحت قدمي، عبثت علي التصفح بالإنترنت وبحثت عن اسم مرام، فظهرت لي النتيجة: مرام هو اسم مؤنّث ذات أصلٍ عربيّ، وله معانٍ عدّة وهي: المطلب، أو المقصد، أو الهدف المراد بلوغه، أو المبتغى، ويأتي اسم مرام بمعنى الأمل، وقد صدق الرسول عندما قال كل منا له حظاً من اسمه، فهي المراد والمبتغي.

* * *

سار أول شهر بشكل جيد، ثم فوجئت أنني طُلبت بعمل مشروع في مادة الإدارة، ولأني كنت أضع هدفاً نصب أعيني بأن أتخصص في هذا القسم أردت أن أبلي بلاءاً حسناً في ذلك المشروع، وكان عبارة عن أن نجري مقابلة مع أحدي مديرين الشركات ونجري معه حواراً بخصوص كيفية إدارة الشركة ونسأله أسئلة متعلقة بما ندرسه، ولكن يجب أن يتم ذلك في مجموعات، فبحثت عن أي مجموعة لأنضم إليها لكن كلهم كانوا قد أغلقوا العدد المطلوب، وبقيت أبحث عن مجموعات فلم أجد، وانتهيت ذلك اليوم من البحث ورحلت للبيت لأكرر يومي المعتاد من مذاكرة وقراءة وتحضير طعام.

كنت أذاكر المحاسبة وهي أكثر المواد التي شعرت بصعوبتها، أردت الهروب من المذاكرة بأي شكل، ففتحت هاتفي وخطر بذهني جملاً كثيرة عن الأبراج لأكتبها، وتذكرت أن مَرامْ لم تعيد تغريداتي منذ أربع شهور تقريباً، رغم أنها تفتح كل يوم وتكتب أشياء جديدة، حينما انتهيت من الكتابة دخلت علي الصفحة الرئيسة ووجدتها قد كتبت تغريدات متتالية منذ ساعتين، وقرأتهم في تمعن:

هو يَفهمها ؛ هو يهتم بها ؛ هو يُحبّها ؛ هو كلَ شِيء لها ..

أنتَ من أري انعِكَاسي فِيه .. أنتَ مَن أشعُر أنَه أنا

كانت هذه المرة الأولي التي أذكر فيها أنها كتبت شيئاً مفرحاً علي غير عادتها تقريباً، كنت فرحاً لها لكن لم أكف عن السؤال بداخلي من هذا الرجل؟ وهل هي مرتبطة بالفعل؟ فإن كانت كذلك فلِمَ تتحدث إلي وكيف تكون صداقات كثيرة مع الرجال، وماذا عن العناق الذي عانقته لي؟.

في تلك الليلة بقيت أفكر وأقلب في صفحة مرام وأنا أبحث عن أي رجل قد يكون يكتب عنها فدخلت علي كل الحسابات التي تتابعها وكانوا أربعمائة وخمسون وقد تركت كتاب المحاسبة يهلك للجحيم وأنا في رحلة البحث التي استغرقت مني الليل كله ولم أعرف بعد من هو، فكل من أدخل عليهم أراهم يكتبون عن مباراة الزمالك والأهلي التي

كانت بالأمس والتي فاز فيها الزمالك فسيظل الموضوع قائم علي المناقشة والجدال ولن أعرف من هذا التي تكتب له.

بعض الكلمات الصغيرة علي مواقع التواصل التي تكتبها علي حساب مزاجك قد تفسد مزاج الآخرين، وتلقيت شحنات سلبية مما قرأته ونمت منزعجاً من شيء تافه.

* * *

في صباح اليوم التالي كنت جالساً بالمحاضرة ولم يأتِ الدكتور بعد، تعالي همس الطلاب في القاعة وقد أصابني الصداع منهم. عندما نظرت أمامي رأيت شعراً ذهبياً لامعاً، وعلمت أن من تجلس أمامي هي سالي، لم أناديها، بقيت منتظراً الدكتور وكانت التاسعة وخمس دقائق، كنت أكره كثيراً من لا يلتزم في مواعيده، لطالما كنت دقيقاً بتلك الأشياء فشعرت بالضجر، وفكرت في أن أسلّي وقتي بشيء ما، فنظرت جانبي، وجدت صديقي هشام جالساً يتحدث إلي فتاة بجانبه، ضربته بمرفقي في ذراعه فألتفت إلي وسألني:

- ماذا؟.
- أعطيني الورق الذي تكتب فيه.
- لم يأتِ الدكتور بعد.
- كلا أريده في شيء آخر.

أعطاني الدفتر الذي يسجل فيه المحاضرات وفتحته علي مادة الإدارة لأنها أكثر مادة نظرية أما باقي المواد نكتب فيها أرقاماً كالاقتصاد والرياضيات والمحاسبة، ورحت اقرأ السطور وأرسم خطاً تحت الكلمة، ثم أرسم دائرة علي حروف معينة، فنظر لي هشام ولما شاهد ما أفعله وأنني كنت أفسد شكل الكتابة، فشده مني وهو يقول:

- ماذا تفعل يا ياسر؟.
- انتظر أنا أقوم بشيئاً أنت لا تعرفه.

سحب الدفتر نحوه أكثر وقال:

- ولا أريد أن أعرفه.

نظرت له وقد انزعجت من تسرعه، ثم قلت:

- أنا أحلل الشخصية من خلال خطّك، هذا علم يدعي جرافولوجي، هيا ناولني الدفتر ولا تكن سخيفاً.

قطب هشام حاجبيه في استغراب وترك الدفتر لي، ففتحته وبقيت أبحث عن الصفحة التي كنت أعلم فيها بالرصاص، وسألته عنها ففتحها لي وقد بدا أنه مهتم للأمر ليعرف ما سأقوله.

علمت بالرصاص علي حروف كثيرة، ثم قلت له نتيجة ما أعرفه من خلال تحليلي للشخصية، وقال أن كل ما قلته عنه هو صحيح بالفعل، ما إن انتهيت وجدت سالي قد ألتفتت لي برأسها وسألتني في فضول: «ماذا تفعلون؟ اسمع أنك تحلل الشخصية».

لما نظرت لي اعتدلت في جلوسي وأومأت برأسي وقد رحبت بها:

- أجل.

- أريني ذلك.

استدارت في اهتمام ومدت يدها نحوي لأعطيها الدفتر الخاص بهشام، فناولته إياه وقرأت الكلمات المكتوبة فوق العلامات، بقيت أترقب عينيها وهي تقلب النظر بهما في الورقة فبدت أنها لم تفهم ما فعلته وكيف وصلت إلي التحليل الصحيح، فرفعت رأسها لتنظر إلي وقالت:

- سأعطيك دفتري وتخبرني عن شخصيتي.

كان ذلك صعباً. . . لما أعطتني دفترها وفتحته رأيت أن خطها بسيط جداً وكل حرف بعيد عن الآخر فلم استنتج سوي القليل منه، فنظرت إليها وقلت:

- أنا أجيد قراءة الناس من ملامحها.

رفعت حاجبيها في سخرية وبدت أنها غير مصدقة: «فعلاً؟».

ابتسمت لها في تحدّي:

- أجل.

ولمعت عينيها هي الأخرى في تحدي وقالت:

- انظر إلي وقل لي ما قد تعرفه عني.

سالي ملامحها هادئة وخالية من التفاصيل، عينيها واسعتين وشفتيها رقيقتان وأنفها مستقيم وفقط، هذا ما استنتج منه، كانت جميلة للغاية لكن لم أستطيع قراءة ملامحها، فبقيت عاجزاً أمامها للحظات وقد ابتسمت وشعرت أنها قد تنتصر علي، فسألتها:

- أنتِ من مواليد فصل الصيف أم الشتاء؟.

لم تفهم مغزى سؤالي فاستغربت السؤال وقالت في تردد:

- الصيف. .

ملامحها لم تكن حادة، ولما تأملت وجهها استنتجت أنها قد تكون من برج السرطان، وقد أصبت بالفعل، فقلت لها صفات البرج وكنت أشعر بداخلي بكامل الثقة أنني لن أخطأ.

عضت علي شفتيها وقالت:

- صحيح ما قلته عني.

ابتسمت لها وقلت مؤكداً:

- اسأليني أيّة سؤال عنكِ ستجديني أعرف عنكِ كل شيء.

رفعت حاجبيها وقد أعجبها ذلك التحدي فسألتني:

- حسناً. . . أنا من النوع الفتيات الصعب أم السهل؟.

- الصعب، أنتِ صعبة المنال، للغاية، بل أكثر مما أتوقع.

- أجل أنا كذلك.

وتذكرت مرام، فسألتها:

- لِمَ تفعلين ذلك؟.

- ظننتك تعرف كل الإجابات!.

إنها تحاول أن تضعني في موقف محرج، شعرت بداخلي أنني أريد مضايقتها ولم أعرف سبب ذلك الشعور، فسألتها:

- ما رأيك في القهوة؟.

أجابت بكل ثقة:

- القهوة، أحبها جداً بالطبع، يجب أن أشربها كل يوم بالصباح وإلا لا يبدأ يومي.

ملّت للأمام عليها واقتربت بوجهي منها فاختلطت أنفاسنا ببعض، وكانت تحدق في عيني بارتباك.

وقلت:

- هذا شعورك تجاه الجنس.

فتحت فمها شاهقة وقد احمرّت وجنتيها خجلاً، ولفت بجسدها في اتجاه مكتب الدكتور فيما كنت أضحك أنا وهشام بصوت واضح بالكاد سمعته. أعترف أنني كبقية الرجال وأنني شهوانياً تجاه النساء لكن بعد ما فعلته شعرت أنني أخطأت وكان علي الاعتذار لها حتى لو لم أكن نحوها أيّة مشاعر، لكن بالنهاية شعرت أنني كسرت كبريائها، فسالي دائماً ما أراها متعالية علي الرجال منا ولا أعرف السبب، وصدقت حينما قلت أنها صعبة المنال، بل إنها مستحيلة إلي درجة لا تصدق، وجربت ذلك بنفسي.

* * *

جاء الدكتور وشرح محاضرته ثم انتهيت منها ورحت بعدها لكافيتريات الجامعة وجلست علي طاولة بمفردي، ثم فتحت من انترنت الجامعة لأن هاتفي لا يتصل بالإنترنت خارجاً، ثم فتحت صفحة الأبراج كما أفعل كل يوم، لكنني لم أرغب بالكتابة، دخلت علي صفحة مرام هذه المرة، وقد غيرت صورة الغلاف الخلفي لحسابها، وكانت الصورة الجديدة التي رفعتها تتضمن رسالة، وكان محتواها: «أنتِ صعبة بزيادة جميلة بزيادة تفرحين بزيادة وتحزنين بزيادة تتكلمين بزيادة وتصمين بزيادة، كل شيء فيكِ بزيادة، وحضنك يا مرام، ملعون المسافات التي تبعدني عن حضنك».

بالبداية وأنا اقرأ ظننت أنها رسالة عادية، ولكن لما قرأت اسمها في الرسالة عرفت أنها مرسلة إليها. إنها مرتبطة وعلي علاقة بغيري، أسوأ شيء حدث لي بالفعل أنني تأكدت من شكوكي.

قمت بإلغاء متابعتها ومسحت رقمها وأغلقت هاتفي وقد شعرت بقلبي ينسلخ عن جسدي وروحي وينتزع مني، وكتمت مشاعري بقوة قدر ما استطعت.

كانت علي علاقة برجل ما بالفعل، لِمَ إذن اقتربت مني؟ لقد كانت تعلم بالبداية.

ولماذا قرأت كلمة حضن في رسالتها؟ هل تعانق كل ما تعرفه؟ يا إلهي، إنها تثير التساؤلات.

وما ذنبي وقتي حين أفتقد حديثها واشتاق لسماع صوتها وامتنع عن المراسلات وما ذنبي حين أريدك في كل وقت؟.

لكن. . . يراودني إحساس قوي بأننا سنتحدث لاحقاً ونتقابل ثانية.

* * *

ميرنا

خرجت من كافيتريا الجامعة ووضعت هاتفي بجيبي الخلفي وسرت كالتائه بين الناس، بحثت بعيني عليها، أريد أن أراها حتى لو لن نتحدث، غابت عني شهور ولم أراها بعد، اشتقت إليها أكثر من أيّة مرة قد فعلت، أعلم أنها ستكون موجودة بالكافيتيريا التي أخبرتني عنها من قبل واصطحبتني إياها، لكني سمعت عن ذلك المكان كلاماً أسوأ من ذي قبل، رغم ذلك ذهبت خارج الجامعة واتجهت إلي ذلك المكان سيراً ولم يكن يبعده سوي خطوات قليلة، وتوقفت أمامه، استطعت رؤيتها من خلال الزجاج، كانت جالسة بين شابين من الجامعة ومعها صديقتها كارلا التي أخبرتني عنها من قبل، رأيتها تتكلم بصوت عالي كطبيعتها وتضحك في صخب، رغم أنني أكره سلوكيتها لكن هذا لم يجعلني أرفضها كشخص، قد يكون ما بداخلها أجمل بكثير مما تظهره لكنها لا تظهر جمالها الداخلي، فالبشر خليط من النواقص، ولما تذكرت نص الرسالة استدرت بجسدي وعدت للجامعة، وقد صرفت النظر عن تلك العلاقة.

جلست علي سلم المسرح بالجامعة وفتحت هاتفي، ثم فتحت حسابي الخاص بتويتر وكتبت: «لم يخلق الله بشراً لا تنكسر قلوبهم» وتمنيت لو أن أكف عن فعل ذلك،

وأعود إلي طبيعتي المرحة والساخرة، لا أعرف مِن أين تأتيني هذه الكلمات وأكتبها، ومن ثم أدركت أن الحب أعمق من المشاعر، وأن الكتابة هي الطريقة التي أستطيع التعبير من خلالها، لكن، التلميح علي وسائل التواصل الاجتماعي أشد وجعاً من الصراحة.

لما نظرت إلي ساعة هاتفي وجدتها الواحدة ظهراً، راجعت جدولي بذهني فتذكرت أن لدي محاضرة بعد ساعتين، لا يزال هناك متسع من الوقت أفعل فيه أشياء كثيرة، لكن لا أعرف ما هي.

صدفت أن أجد سالي تسير أمامي وكانت بمفردها، فناديت عليها، ونظرت إليه وهي تزيح خصلات شعرها للخلف التي تطايرت من الهواء، ابتسمت سالي في خجل وقلت لها وأنا أشير للمكان جانبي:

- تعالي يوجد مكان لكِ.

توقفت في مكانها قليلاً وباتت مترددة، تلفتت يميناً ويساراً ثم دنت نحوي وجلست جانبي تاركة مسافة بيننا. تذكرت ما حدث بيني وبينها صباح اليوم فنظرت إليها وقلت:

- أنا آسف لِما قلته لك هذا الصباح.

أشاحت بوجهها عني ونظرت أمامها في تردد:

- كلا لم يحدث شيء.

بقيت أحدق إليها أراقب عينيها التي تاهت نظراتها في أرجاء الجامعة، ورأيتها تلف رأسها نحوي وترفع ذقنها وسألتني:

- أكان ذلك صحيحاً؟.

أومأت رأسي وابتسمت في هدوء: «أجل».

لفت رأسها للناحية الأخرى وخبأت وجهها بيديها: «آه يا إلهي!».

ضحكت لما رأيت ردة فعلها، كان لطيف منها أن تفعل ذلك، فغيرت الموضوع حتى لا تشعر بانزعاج، وأخذت اسألها عن جدولها والمواعيد التي تحضر فيها لأني لا أراها إلا يوماً واحداً بالأسبوع وكان هذا اليوم. سالي، لم يكن بيني وبينها سوي نظرات وسلام بالعيون، لما أطالت الجلسة معها بقينا نتحدث عن تحليل الشخصيات طويلاً، أخبرتني

الكثير عنها، وعرفت أنها تقطن بمفردها مع جدتها وأقرانها وبقية أهلها بالسعودية وكانت تعيش فترة في الأردن، ولا أعتقد أن لديها أشقاء فهي لم تحكي عنهم، قالت لي أن لديها الكثير من النظارات الشمسية في البيت ولكنها لا ترتديها، لا أعلم، هذا أكثر شيء أذكره من خلال حديثي معها وأذكر أننا بقينا نتكلم ساعتين، وفي خلال هذه المدة انتقلنا من جلسة السلم وتمشينا قليلاً في ساحة الجامعة، وجلسنا علي مقعد خشبي كان في الشمس، أعلم أنه قد تصيبني انتكاسة من تعرضي الطويل للحرارة لكن شعرت أنها ارتاحت بهذا المكان، فمواليد الصيف يحبون الشمس ويشعرون بالبرد سريعاً، قد يكون لأغلبهم مشاكل في الصدر، كما حدثتني مَرامْ.

بدأت أشعر بالحر وتصبب العرق من جسمي فقلت لها:

- ما رأيك لو نجلس بمكان آخر في الظل؟.
- أين؟.

وأشرت لها علي مكان جانب المطعم الخاص بالجامعة، فأومأت رأسها: «لا أمانع».

نهضنا من مقعدنا وسرنا بخطوات بطيئة إلي أن تجاوزنا المطعم، وقابلتنا مقاعد من الرخام الرمادي، يجلس في هذا المكان غالباً طلاب الجامعة من الفتيان، وقلت لها: «سأجلس هنا».

نظرت لي وقد علت الدهشة علي عينيها:

- أنت تدخن؟.

انتبهت إليها وقد عقدت حاجبي وقلت: «أنا لا أدخن».

تنهدت في راحة:

- سمعتك تقول سأدخن هنا.

تأملتها من أعلاها لأسفلها وقد حاولت ربط كلمة سأدخن بـ «سأجلس» فلم أجد تشابه في الحروف، وجلست فوق المقاعد الرخامية وقد شعرت ببرودتها ففكرت بأن أبقي هنا وأتوقف عن التنقل.

- أنتِ تدخنين؟.

هزّت سالي رأسها نافية وأكدت لي:

- كلا، لا أحب التدخين.

- هذا أفضل.

أومأت برأسها وأضافت: «كنت في مرة مع والدي وأعطاني الشيشة لأشربها، جربتها وتعبت بعدها».

تحدثنا عن أموراً أخرى، ولما سألتها عن علاقتها السابقة سألتني:

- هل تؤمن بالحسد؟.

لو كان ذلك فيلماً لكنت ضحكت، لكن هززت رأسي وتأملتها وهي تقف أمامي، وقلت:

- أجل، لأنه مذكور بالقرآن.

- نعم، نعم، لأنه مذكور بالقرآن، لكني رأيت ذلك علي الحقيقة.

وسألتها في فضول:

- ماذا حدث بالضبط؟.

أشاحت بوجهها وكانت مترددة في أن تخبرني، لكني أردت معرفة كل شيء عنها، ولم تلبث وأن نظرت إلي وتنهدت بقوة:

-أتعلم؟ كنا نتحدث كثيراً، وهذا الهاتف لا أتركه من يدي، كان يقول لي كلام حب، ويهتم بى كثيراً. بعدئذ، جاءت فتاة صديقته، قرأت الرسائل بيننا، وبعدها بيوم كان يتصل بى، لم أجيبه، لا أدرك ما حلّ بى فجأة لكني لم أكلمه من بعدها.

-وهو؟!.

-هو بقي يتصل بى لأيام، وظل يبحث عني لشهور، ولكن أنا كنت أتهرّب منه.

رفعت حاجبي في دهشة، لطالما كنت أصدق في الحسد لكن ما قالته لا يبدو لي منطقياً، فقلت:

- غير معقول، لم تحاولي أن تتركي لنفسك الفرصة وتكلميه؟.

هزت رأسها وقد راودها ذكراه: «لا. . .».

لم أكن أعرف هل كانت تكذب أم كلامها صادق، ولم أقتنع بما قالته. رفعت رأسها قليلاً ونظرت لي وقد انعكست أشعة الشمس عليها لتلمع عينيها العسليتان وشعرت للحظة أنني أنظر لنجمتين في السماء، فخفق قلبي وعجزت عن رؤية شيء غيرها.

سألتني:

- هل يمكنك النظر في عيني وتعرف إن كنت في علاقة حب أم لا؟.

ولطالما أجبت علي هذا السؤال لكني لا أريد معرفة إجابته، ولما نظرت في عينيها سرحت في بريقهما، ولما ابتسمت ضعت فيها.

همست: «لا» وقصدت بأني لا يمكنني النظر في عينيها وقراءتها، لكنها فهمت شيء آخر.

لفت بجسدها بزاوية صغيرة ونظرت لي شاعرة بالانتصار:

- كلا، أنا علي علاقة بأحدهم بالفعل.

عبست لما أكدت علي شكوكي، وسألتها:

- هنا بالجامعة؟.

- لا. .

صمت للحظات وسرحت في عدد الرجال بالفرقة الأولي من كلية تجارة وقد حاولوا الوصول إلي قلب هذه الفتاة، وكانوا كثير، بالكاد الرجل الذي تحبه أحد المحظوظين علي وجه الأرض ولعلي كنت أدرك حقيقة ما يحسه من بضعة شهور وأنا أتحدث إلي مَرامْ. طردت تلك الأفكار من رأسي، وأردت أن أنهض من مكاني وأغادره لما رأيت الشمس أتت نحونا، فسرنا بعيداً عن مكاننا وقلت لها أن لدي محاضرة، فنظرت سالي في ساعتها وقالت أنا أيضاً، لكن كنا مفترقين، فكانت محاضرتي بمبني أسنان وكانت لديها محاضرة في مبني هندسة، قلت لها أنني سأصطحبها وأدخلها لهناك وكل ما يدور ببالي أنها

قد تتلقي نظرات تسيء لها من طلاب الهندسة، هذا أمر يعلمه الجميع، وفهمت مقصدي دون أن ألمح لها ولم تمانع بأن أذهب معها، وفوجئت بها إذ تقول:

- كل من يراني يظن أنني لست مصرية لأن ملامحي شقراء وهذه الأمور، أنت تعلم.

حتى أذهب إلي مبني هندسة كان علينا أن نمر علي مبني الصيدلة، ولما سرنا أمامه لففت برأسي لأنظر إلي المبني وبحثت بعيني سريعاً بين الطلاب عن مَرامْ، ورأيت الكثير من الطلاب حاملين معهم معطف أبيض وبأيديهم أوراق كثيرة، وكانوا طلاباً كثيرين فوضعت أملاً بأن تكون بينهم وتمنيت بأن تكون سارية علي هدي حتى أراها، وشردت عن كلام سالي للحظات وقد نظرت إلي لتجدني غير منتبهاً لها، بالكاد اعتادت علي الرجال ينظرون لها ويركزون معها لكنني لم أكن منهم.

بحثت عن مرام، ووجدتها بالفعل تخرج من المبني ففتحت فمي شاقهاً لكنني لم أصدر صوتاً، وأقسم أن قلبي بقي ينبض وفي وجودها يصبح للنبض معني آخر. خرجت علي خطي سريعة وكانت تسير بمفردها، فتابعت خطواتها وعاد تركيزي إلي وأجبت علي سالي:

- لا لم ألاحظ ذلك، أري أن ملامحك مصرية عادية.

حينها لم ألتفت لسالي ولا أعرف ما كان ردة فعلها مني لكنها أطرقت الصمت لدرجة جعلتني أشعر أنني كنت أسير بمفردي، واقتربنا من مبني هندسة ورأيت طالباً من كليتي يخرج من المبني ولما مر بجانبنا كان ينظر لسالي ولم يخلع أنظاره من عليها، فلما تجاوزنا لف بجسده وسار بظهره، فحركت زاوية رأسه نحوي وقد رأيته يستدير ويسير في اعتدال، وضحكت، ثم تابعت سير، فسألتني:

- علي ماذا كنت تضحك؟.

- لا شيء.

أجبتها ببرود ودخلت بها لمبني الهندسة، فألحت علي: «صدقاً ما الذي أضحكك؟».

ألفتت إليها ولم أرغب بأن تلح علي، ورددت بتثاقل:

- أبداً هذا الطالب كان يحدق إليكِ ولما مررتِ من جانبه سار بظهره لينظر إليكِ.

وجدتها تتأمل في وتنظر لي من الأسفل للأعلى ولم انتبه لها جيداً ونسيت أنني أتيت معها كي أحميها من نظرات الطلاب إليها ولكني شردت عنها وفي الواقع لم أضع سالي ببالي ذات مرة.

وقالت:

- أعرف هذا الشاب.

أضفت لها وأنا أومأ رأسي:

- أجل هو يحاول الحديث معكِ كثيراً.

هزت رأسها وقد تبين لها أنني أتابع أخبرها من بعيد، فابتسمت ابتسامة تهت فيها وعجزت عن تفسيرها، وقالت:

- هو كذلك، لكن يستحيل علي أن أنظر لشخص مثله.

هززت رأسي وتركتها ترحل، ونظرت لها نظرة أخيرة تلاقت فيها أعيننا طويلاً، وما كنت أعلم أن طارقة الهوى أن العيون مصايد الألباب.

* * *

رجعت هذا اليوم للبيت وحضرت لنفسي الغداء ولما انتهيت من تناول الطعام نظرت حولي لأجد أغراضي من ملابس وورق وأسلاك خاصة بأجهزتي كلها علي الأرض والكراسي، وقمت لأضع أطباقي في حوض المطبخ ثم بحثت عن المكنسة والمقشات ورحت أنظف الشقة كلها وقمت بعمل منزلي أعتدت عليه، بعدها شعرت بالتعب واستلقيت علي أريكة الصالة، لما فتحت هاتفي دخلت علي تطبيق الفيسبوك وظهر لي صورة سوداء، وكان قد كتب فوقها يا أيُتها النّفسْ المطمئنّة أرجعي إلي ربِّكِ رَاضِية، وكانت الصورة تابعة لمرام، وكتبت بجانب الآية أنه كان عمّها، ففتحت التعليقات لأجد أن هناك أربعون من أصدقائها عزّوها، وأضفت لها تعليقاً بالدعاء، وبعدها قمت بإلغاء

الاستشعارات من صورتها لأني انزعجت من ظهور تعليقات كثيرة عندي، ولا أعلم هل ردّت أو أضافت إعجاب، ليس لدي فكرة.

تذكرت أن اليوم هو ميعاد الحقنة التي آخذها كل أسبوع، فتنهدت بعمق وتخيلت أنني لازلت في مكاني بالمنزل وعلي أن أنزل لأقرب صيدلية كي آخذها وأقوم بتركيبها، فنهضت من مكاني ونزلت بملابسي دون أن أبدّلها وأخذت مواصلات إلي أقرب صيدلية والتي تبعد عني بثلاثة كيلو، لما دخلت تعرف الصيدلي علي وانتظرني حتى أعد الحقنة ودخلت لآخذها فوق الركبة، ورجعت للبيت بعدها، ومثل كل مرة، بعدما أتلقي الحقنة أشعر بالتعب وأنام، وأستيقظ لأجد حرارة جسدي ساخناً فأقوم بقياس درجة حرارتي لأجدها سبعة وثلاثون مما يزيدني حيرة، امتنع عن تناول الطعام بعد تناول الحقنة لأني أصاب بدوار شديد يدوم لساعات ويصحب صداع قوي في أجزاء المخ فأترك المذاكرة لأني أفقد تركيزي وقتها وأشعر بالوهن. لما استيقظت غسلت وجهي وبحثت في الثلاجة عن أي شيء آكله، فأكلت فاكهة لأخذ بعدها حبوب فيتامينات قد كتبت لي، قد امتنعت عن كل المنتجات التي تباع في المحلات لما فيها من مواد صناعية إضافة إلي أن أقلل من تناول علب التونة والزبادي واللبن لاحتوائها أيضاً علي مواد صناعية، لكن لأنهم عناصر غذائية ضرورية كنت آكلهم بكمية قليلة فقط، ومنعت عن النسكافيه والكاكاو والمنتجات الألبانية، منعت عن أشياء كثيرة، كاللعب بآلة الساكسفون التي كنت أهوي سماع صوتها، هناك أشياء بسيطة أخري أنا ممنوع منها، كحمل الأغراض الثقيلة، والاستحمام بالمياه الساخنة، والذهاب إلي الجامعة كل أيام الأسبوع، ومطلوب مني الراحة والجلوس في البيت أغلب الوقت، حتى كنت أفكر بدخول كلية الأعلام لكن الطبيب رفض لأنها مرهقة وعملها سيكون مرهق ومجهد وأختار لي كلية التجارة، وقلت له أني حصلت علي مجموع كلية الهندسة وكنت علي وشك أن أدخلها لكنه رفض تماماً لأن التوتر والقلق أثناء الامتحانات سيصيبني بانتكاسة.

* * *

أكثر من ثلاث أيام مروا وكنت أبحث عن مجموعة أنضم إليها لأنتهي من مشروع مادة الإدارة. كنت أخرج وقتها من محاضرة الإدارة وقد وضعت هذا الأمر ببالي، ووجدت صدفة زميل لي، أوقفته وسألته:

- أحمد هل انضممت لمجموعة لمشروع الإدارة؟.

تسمر في مكانه ثم أجابني:

-أجل، جمعت بعض أصدقائي، ولى صديق صاحب شركة يمكننا الذهاب إليه لكننا لا نفقه شيء بالمنهج ولا نعلم ماذا سنفعل.

-من معك بالمجموعة إذن؟.

قال أسماء كثيرة ولم أكن أعرف أي واحداً منهم، وكان من بينهم سالي، ولما سمعت اسمها قلت:

- حسناً أين أنتم الآن؟.

- تعالي معي، هم موجودين بالأسفل عند حلبة المصارعة.

سمعت أن هناك مباراة مصارعة قائمة بالجامعة بين جامعتنا وكلية الشرطة، وكان من المتوقع أن تكسب كلية الشرطة فلم أحتاج بأن أقف في الشمس لأشاهد الخسارة، لكن بدا أني مضطراً لفعل هذا الآن، ونزلت مع أحمد وسار بى إلي حلبة المصارعة حيث شهدت تجمع كبير من طلاب الجامعة يقفون حول الحلبة والمباراة قائمة، دخلنا من بينهم واصطدمت أجسادنا من الزحمة، إلي أن وقفنا في المنتصف وقد رأيت أن المكان هناك غير مزدحم، استطعت رؤية سالي بوضوح وهي تقف مع اثنان من صديقتها، وكانوا يتشاورون فيما بينهم ويتبادلون الابتسامات ولم انتبه لهم طويلاً فسرعان ما نظرت للمباراة وقد بدأ طالب جامعتنا يخسر، لما رجعت أنظر لسالي رأيتها رفعت يديها الاثنين أمامها وقبضت علي أصابعها كأنها تقوم بمبارزة، كنت لأسألها لكني وجدت أحمد قد قاطعني ووضع يده علي يده سالي لينزلها لأسفل وقال:

- كفِ عن هذا، إنها لعبة للصبيان.

أردت قول ذلك أيضاً لكنها بدت جميلة للغاية وهي تحاول أن تقلد اللعبة، ومهما حاولت أن تقلد كانت أنوثتها قد طاغت عليها.

نظرت سالي إلي أحمد وعبست في مزاح، وقالت: «ليس من شأنك».

ثم أضافت صديقتها وهي تنظر إلي أحمد:

- ألا تعلم أن من يبارز الآن هو صديقها؟.

وقالت سالي:

- أجل اتركوني أشاهده وهو يفوز.

لم تكن تقلد اللعبة، وكانت تلك الحركات التي تقوم بها حماساً منها وتشجيع له. رحت أتخذ جانباً وكدت أبتعد عنهم، واستدرت لأنظر إلي صديقها هذا، فكان يسترق بالنظر إليها، لقد قالت لي أنه ليس بجامعتنا، فعلمت أنه الآخر الذي بكلية الشرطة، كان وسيماً وجسده مفتول بالعضلات واختلف عني تماماً، لكن ما بى أهتم؟ رجعت إليهم وسألتهم في جدّية:

- متى سنبدأ في المشروع؟.

* * *

ظلوا يشاهدوا المباراة وتجاهلوني إلي أن انتهت، فتجمعنا كلنا وكنا ثلاث رجال وثلاث فتيات، لم تكن سالي بيننا، رأيتها تتحدث إلي صديقها بعد انتهاء المباراة وقد فاز علي طالب جامعتنا، لما سألت عن أمرها قالت صديقتها أنها لن تأتي وتجلس معنا، فعملنا بمفردنا ونظمت لهم الأسئلة التي سنقوم بطرحها علي المدير، وظهر لهم أنني أفهم في المادة فجعلوني قائد المجموعة وتحملت مسؤوليتهم.

كنت أقابلهم بين يومين والآخر، وفي مرة رأيت معهم فتاة لم أكن أعرفها من قبل، وكانت هذه المرة التي أراها فيها، جالسة بجانبهم علي الرخام الرمادي تحت الظل، فلم أمانع بالاقتراب منهم وأعطيتهم ورقة كانت معي بها كل الأسئلة بعد أن ذاكرت منهج الإدارة.

تأملت تلك الفتاة التي جلست جانب سالي وقد جذبت انتباهي لدرجة عجزت عن نزع عيني من عليها، كانت عينيها زرقاء وشعرها أسود كالفحم كثيف ويصل إلي كتفها، وشفتيها تلونا بلون الكرز واشتهيت لو أتذوق طعم القُبلة من فمها.

نظرت لي يمني صديقة سالي والتي معنا بالمجموعة، قد أخذت الورقة مني لتقرأها وقالت لي:

- حسناً هذا جيد، يمكننا غداً الذهاب يوم الخميس لشركة صديقنا وننتهي من المشروع.
- اتفقنا، سأذهب الآن.

قالت سالي:

- إلي أين أنت ذاهب؟.

توقفت عن الحركة فجأة وكأنني ثبت في مكاني كالشجرة، وحدقت إليها قائلاً:

- لدي محاضرة بعد دقائق.
- أية محاضرة؟ لقد لغيت المحاضرات.

لم يكن لدي علم بذلك ولم يصلني خبر بهذا، فرفعت حاجبي: «حقاً؟».

أومأت رأسها وقالت وهي تلتفت نحو صديقتها:

- أجل، اجلس معنا.

عندما أشاحت بنظرها وهي تكلمني لم تبدو لي أنها تشعر بالخجل وأحسست أنها تتجاهلني عمداً، ولم يروق لي تصرفاتها، وانشغلت عنها وجلست جانب تلك الفتاة ذات العيون الزرقاء، تعرفت عليها، وكنت متردداً جداً ولا أعرف كيف ابدأ، فسألتها إن كانت بدأت في المشروع، فأومأت رأسها وقالت:

- بدأنا فيه بالفعل.

بعد سماع صوتها ذهلت، كانت نبرتها قوية وغليظة، بقيت أحدق لها بنظرات فارغة ولم تفهم سبب جمودي المفاجئ، فالأمر يبدو لها طبيعياً وقد اعتادت عليه.

تابعت حديث معها وحاولت أن أتجاهل أمر نبرتها، وسألتها:

- أي مواد تدرسيها؟ علم النفس؟.
- كلا، أدرس علم الاجتماع.
- مع دكتور أشرف؟.
- أجل.
- دكتور أشرف حدد ميعاد الامتحان تقريباً، سيكون أكمل وليس اختيارات.

نظرت لي من الأسفل للأعلى وأزاحت نفسها جانباً بعيداً عني قائلة:

- ما هذه الأخبار علي الصباح؟ أنا لم أذاكر شيئاً بعد لتقول لي أنه يأتِ بالأسئلة كتابتاً.

ضحكت مداعباً وقلت:

- حسناً آسف لم أقصد.

اعتدلت في جلستها جانبي وحدقت أمامها ولم نتحدث. أطرقت بالصمت طويلاً وأنا أضع وجهي بين يدي ولما نظرت جانب تلك الفتاة لأري سالي تتحدث إلي أحد من أصدقائها ولم تنتبه لي قط، وعلمت أنها لن تنتبه لي ولِمَ قد تفعل ذلك والرجال هم من يتوسلون إليها، وشُغل بالي بمرام، وسرحت في الصورة السوداء التي رفعتها منذ أيام علي مواقع التواصل، أردت أن أراها وأعزيها شفهاً، لكن لا أعلم أين قد أجدها.

ألتفتت لي الفتاة وسألتني:

- أنت بخير؟.

نظرت إليها ورددت سريعاً:

- أجل لماذا؟.

شعرت أنني أكذب فقالت:

- لا تبدو كذلك، كنت تضحك وتتكلم كثيراً وفجأة سكتْ.

أبعدت نظري عنها وأخذت نفس عميق:

- مزاجي تبدّل فجأة.

عبست وقالت:

- لا أحب هذا النوع من الناس.

صدقاً ولا أنا، ولم أكن يوماً مزاجياً، فقلت:

- عذراً، لا أستطيع التحكم في هذا الأمر.

- أعلم ذلك.

ونهضت من مكانها ونزلت علي الأرض ثم عدّلت ثيابها، وابتسمت لي وهي تقول: «سلام يا حبيبي».

شعرت أنني حبيبها منذ زمن من طريقتها في قول كلمة «حبيبي» وقد نُعم صوتها فجأة، وسلّمت علي بإشارة يديها ثم رحلت، فلوحت لها وقد تلعثمت في الكلام فلم أرد. نظرت جانبي فرأيت سالي تنظر إلي، وقالت:

- أنا أقول يا «قلبي» لأي حد، لا تظن شيء آخر.

قلت لها في برود وأنا أنزل من علي الرخام:

- لم أسألك.

علت نظرة الضيق علي وجه سالي لكنها لفت بوجهها ناحية صديقتها ولم ألمحها، وكنت قد غادرت من أمامها حتى اختفيت، ورحلت وأنا لا أعرف إلي أين سأذهب، ووجدت قدماي تقوداني إلي كليتي، وسألت الاستقبال عن المحاضرات فقال لي أن كان هناك محاضرات بالفعل، وكل هذا كنت أضيع وقتي بالجلوس مع زملاء فاشلين، وتذكرت ما قاله أحمد لي «. . لا نفقه شيء بالمنهج ولا نعلم ماذا سنفعل».

ضربت الأرض غضباً وأنا أرحل من الجامعة، ووقفت بالخارج لأستقل سيارة أجرة أذهب بها إلي المنزل، وكنت قد نسيت الفتاة التي تحدثت إليها ولم أذكر اسمها.

* * *

يوم الخميس كان الجو عاصف منذ بدايته، لما استيقظت من النوم صحوت علي صوت الرعد، ففتحت عيني ونهضت من السرير ثم خرجت إلي الصالة لأقف عند باب الشرفة، وكانت الشرفة مطلة علي الشارع الرئيسي، شاهدت غيوماً كثيفة وعجزت عن تحديد الشارع، وأخرجت الهاتف من جيبي لأجد أن الساعة لا تزال الخامسة فجراً،

فتنهدت ورجعت أغفو في النوم إلي أن رنّ المنبه علي الساعة الثامنة، استيقظت وأسرعت بالاستحمام وقمت بوضع ملابسي تحت المكواة. سرعان ما جهزت في ربع ساعة وقد ارتديت قميصاً أسود وسروال أسود أظهراني في المرآة رفيع للغاية وأخذت معي معطفي الجلد ولبسته فوق القميص لأنه كان خفيفاً، وصلت الجامعة مبكراً، كان الجو أفضل مما عليه في الفجر، لكن السماء كانت غائمة ولونها رمادي فتنبأت بسقوط الأمطار.

حضرت المحاضرة الأولي وكانت خاصة بمادة المحاسبة، بدأت من التاسعة صباحاً وانتهت في الحادية عشر ونصف وكان معي بنفس القاعة سالي وأصدقائها، فذهبت إليها لأسألها عن بقية المجموعة، وقالت أنها لا تعلم أين هم، فاتصلت بأحمد، وقال لي أننا سنتجمع في الثانية ظهراً، فصحت فيه متفاجئاً، وقلت في الهاتف:

- الثانية ظهراً؟ لقد قلت أننا سنرجع علي الجامعة علي الثانية ظهراً.
- كلا لم أقل هذا.
- حسناً!.

وأغلقت الخط معه وأنا أفكر بالرحيل إلي المنزل، فالشركة في العاشر من رمضان وكان طريق سفر من الجامعة، وترددت كثيراً بالذهاب لأني مغترب ولا أعلم الطرقات وقد نعود متأخراً، هل نسيت أنه قال لي أننا سنتحرك علي الثانية؟.

دقائق وكنت خارج الكلية وأبحث عن أي فرد من المجموعة، فاقتربت من مطعم الجامعة، ولما سرت تجاهه تساقطت علي وجهي قطرات مياه الندي، فلما نظرت للسماء وكانت قد اشتدت الغيوم هرولت إلي المطعم ودخلته كي أتحاشي المطر.

ظل المطر يتساقط بغزارة حتى أغرق ساحة الجامعة، وفي تلك الأثناء دخل كل الطلاب إلي المطعم ليتحاموا من المياه، فازدحم المطعم واكتظ بالطلاب وقد تعالوا بالهمس فيما بينهم إلي أن توقف المطر بعد دقائق، وانفض الطلاب من داخل المطعم وخرجوا منه كجيش من النمل يخرج من بيته، وتفرق كل منهم إلي كليته، وكنت خرجت من المطعم أفرك يدي في بعض لأشعر بالدفء.

أطرقت بالسمع حولي فسمعت صوت صديقة سالي، استدرت لأبحث عنهم، ووجدتها تقف جانب باب المطعم، وكانت سالي معها وصديقتها الأخرى، كانوا الثلاثة معي بالمجموعة، وانتهزت الفرصة لأسألهم عن ورقة الأسئلة التي سنناقشها، اقتربت منهم، ووقفت بجانب سالي ورأيت أصدقائها محيطين بها، بدا وجهها شاحب وكان جسدها يرتجف من البرد، نسيت أمر المشروع وسألتهم: «ما بها؟».

ألتفت أصدقائها لي وقالت واحدة منهم:

- جيد لقد جاء ياسر، سنتركك معه.

رفعت حاجبي في تعجب:

- مع من؟.

أجابتني صديقتها: «ابقي هنا أنت وسالي لحظات إلي أن نأتِ بسيارة ندي».

- أين سيارتها؟.
- عند منزلها، سنذهب لنأتِ بها ثم نعود ونذهب للشركة.

تركاني مع سالي وأطلقوا قدميهما للريح، فلففت رأسي وحدقت لسالي، وبدت أنها ستفقد وعيها من البرد، ابتل شعرها وقد التصقت خصلاتها ببعض، وكانت أسنانها تصطك من البرد، فقربت يدي من كتفها ولامست أطراف معطفها ووجدته مبتلاً وقد شرب ما يكفي من مياه المطر ملئ حوضاً عميقاً، وهمست: «يا إلهي. . .».

حدّقت إليها، إلي تينك العينين العسليتان وهما ينظران إلي، وسألتها:

- كيف يتركونك هكذا؟.

هزت رأسها ونزلت بأنظاري لأجد ركبتيها تضمهما وقد ارتجفا من الصقيع، وقالت بصوت جاف:

- ليس لدي فكرة، أفكر بالعودة إلي المنزل.
- أنتِ متعبة يجب أن آخذك إلي الطبيبة.

اصطحبتها معي لمبني المطعم بالطابق الثاني منه، دخلنا من الباب الخلفي وكان يؤدي علي الطابق الثاني وبه العيادة، فتحتها وسحبت بيدي الأخرى سالي في يدي، ثم

دخلت بها إلي غرفة الطبيب فلم أجد أحداً، فخرجت من الغرفة وطرقت علي الغرفة المجاورة، كان بابها مغلقاً، طرقت بقوة، ففتحت لي طبيبة، وتراجعت للخلف وقد ضاقت عيني، ثم قلت لها:

- معي زميلتي مريضة.

تأملتني الطبيبة قليلاً ثم قالت:

- انتظرني بالخارج عشر دقائق معي حالة.

ودخلت الطبيبة وأغلقت الباب عليها ورحت أنظر لسالي في حيرة ولم أستطيع فعل لها شيء، بقيت أنظر لها وهي ترتجف وكل ما فيها يشعر بالألم، وخطر ببالي أن اسألها:

- بماذا تشعرين؟.

أردت إجابة مطمئنة منها، لكنها قالت:

- أشعر بالبرد وأعجز عن التنفس.

نظرت لمعطفها ومددت يدي لأمسكه من رقبته، ثم قلت: «انزعيه عنكِ فقد تبلل».

اتسعت عينيها ووجدتها تفتح ذراعيها لأنزعه عنها، وأخذته أحمله علي ذراعي، فنظرت لمعطفي وقالت:

- معطفك لونه جميل.

شكرتها بجفاء، فرفعت عينيها لتنظر لي وكانت أقصر مني، وقالت:

- أعتقد أنه علي مقاسي.

فهمت ما ترمي إليه، وقلت:

- ربما. . .

قالت من بين أسنانها:

- تشعر بالدفء أليس كذلك؟.

سويت معطفي وقد تعمدت تجاهلي لها ولففت برأسي جانباً لأهرب بعيني في أحدي زوايا الغرفة قبل أن استسلم لنظراتها المتوسلة.

- أجل.

قبضت يديها في بعض وقد تشابكت أصابعها بقوة، ورفعتهما أمام وجهها وأخذت تنفخ فيهم، وشعرت بجفاف حلقي وعجزت عن الكلام، تذكرت كيف كانت تبدو يوم الملاكمة، حيوية ومقبلة علي الحياة وأردت رؤيتها كذلك، فشددتها من يدها وخرجت بها من العيادة وسألتني: «إلي أين؟».

تمتمت: «سأبحث لكِ عن مكان دافئ».

كان بنفس الطابق صالة رياضية، كنت أعلم أن في هذا الوقت تدريب الفتيات وغير مسموح بدخولي، لكن لا بأس من المحاولة. فتحت الباب ببطء وأدخلت رأسي من خلفه وبحثت بعيني علي المدربة فلم أجدها، فرجعت للخلف ونظرت لسالي قائلا: «الصالة فارغة، تعالي معي».

سرّها اقتراح الدخول إلي الصالة، لما دخلنا وبحثت لها عن مكان لتجلس فيه فلم أجد سوي الآلات، وكنت آتِ لهنا وألعب لساعات ولما انتهي أدخل حمام الرجال فلم يكن به مكاناً للجلوس، فنظرت لحمام الفتيات من الخارج وقلت:

- ستجدين مكاناً للجلوس هناك.

لفت بجسدها يميناً لتنظر إلي حمام الفتيات وكان به مقاعد خشبية طويلة حول خزانة الملابس لم تتواجد في حمامنا، فنظرت إلي ومدت يدها لتأخذني معها، لما تجاوزت باب الحمام بقيت متردداً وأردت الخروج وسألتني ما بى فلم أجد إجابة، ثم دخلت بالفعل وحاولت جاهداً ألا ألتفت، اطمأننت عليها حتى جلست، ووجدت معطفاً معلقاً، كان خاص بالمدربة، فأخذته وأنا أعلم أنها لن تمانع بذلك، ونظرت لسالي وقلت لها انهضي، فوقفت وأخذته مني وأدخلت ذراعيها فيه، فراقبتها في صمت، وقد ملئت نسائم الهواء بعطرها، شممته وشعرت بالنشوة تسري في جسدي، ولم أشعر بنفسي وأنا أقرب يدي منها لأمسك بفتحة المعطف وأقوم بإغلاقها لها، واحدة تلو الأخرى حتى عنقها، فوقعت عيني

بعينيها وساد صمت طويل بيننا، يا لهذه الفتاة، تملك كل الأسلحة ضدي، عيناها خجلها بسمتها شهقتها.

تذكرت شيئاً فأفسدت الصمت بقولي:

- كنت علي وشك أن أنسي أنكِ علي علاقة بأحدهم.

وأزحت يدي لجانبي لكنها في حركة سريعة أمسكت بهما، وجعلتني أتسمر في مكاني وأحدق إلي جمالها، وكان فيها من الجمال مالا يُقال.

قربها مني جعلني أشعر بالحميمة. تنهدت، وطردت تلك الأفكار من رأسي وتراجعت خطوة للخلف ثم خرجت من الحمام ومعي معطفها، وقلت:

- سأذهب لأجفف معطفك من مبني أسنان.

ونزلت من المبني وقد استحوذت علي كل تفكيري واحتلت كل مكان أمامي أعيني لأراها في كل مكان من حولي، ركضت للمبني في خطوات متعجلة لأجفف لها معطفها بمستشفي الجامعة وألححت علي الطلاب بأن ينتهوا سريعاً، لم أكن مهتماً إن انتظرتني أم لا لكني أريد رؤيتها.

عدت للطابق الثاني راكضاً، لهثت أنفاسي عندما انتهيت من صعود السلم وملت بظهري للأرض ووضعت يدي علي ركبتي، ولم أشعر أن سالي قد خرجت من صالة الرياضة، وكانت خلفي تربت علي كتفي فاعتدلت في الوقوف، ونظرت إليها لأجدها خلعت معطف المدربة عنها، وسألتها عنه، فقالت أن المدربة رأتها وأخرجتها لأنها غير مشتركة بالصالة، ودخلنا العيادة ولم يمر الوقت بعد ولا يزال الباب مغلق، فبحثت عن غرف أخري تجلس فيها، فوجدت غرفة بها سرير وخزانة، جلست عليه وفتحت الخزانة لأجد غطاء شتوي كبير، حملته علي ذراعي وفردته علي السرير حيث كانت تجلس، غطت نفسها به وقد ارتدت معطفها، وسألتها: «لا زلتِ تشعرين بالبرد؟».

أومأت برأسها وقالت في نعومة: «أجل».

بعدئذ أخرجت هاتفها من جيبها وأعطتني إياه وطلبت مني أن أصورها، ذكرتها بأنها متعبة فضحكت وألتقط لها بعض الصور، وفجأة وجدت نفسي اسألها عن حبيبها

بكلية الشرطة فسكتت للحظات وشردت بذهنها لعالم آخر، وعدت اسألها، فقالت: «كلا لم يعد بيننا شيء».

ابتسمت وقد امتزجت مشاعري بالفرح، وسألتها:

- لِمَ؟.

- مغرور، ويكسر القوانين، عرفت أمس أنه كان يتعاطي المخدرات منذ وقت قريب.

وقع ذلك الخبر علي كالصدمة رغم أنني فرحت أنه تركها. مضيت ثواني ودخلت الطبيبة الغرفة التي كنا نجلس فيها واعترضت علي اقتحامنا للمكان ثم أخرجتنا وعرضت سالي علي طبيب، فأجلسها علي السرير ووضع السماعات علي القلب والصدر والبطن وسألها أن أجرت عمليات في الصدر من قبل فأجابت بالنفي، ثم نظر الطبيب إلي وسألني عن القرابة بيننا وأخبرته أننا زملاء، فقال: «حسناً سأعطيكِ حبوب وكبسولات تتناوليها لمدة يومين وتعالي غداً لأقوم بعمل رسم قلب».

شعرت بالقلق عليها وأردت أن اطمئن وأطمئنها، فسألت الطبيب: «ما بها؟».

أجابني الطبيب وهو يعطيني الحبوب في يدي:

-يشتبه أنها تعاني من ضيق في التنفس، قد يكون ذلك بسبب أنها تدخن، ولكن لن أتأكد إلا بعد أن أري الأشعة.

تلاقت أعيننا، وحدقت لها، وأدركت أنها كانت تكذب لما قالت أنها تكره المدخنين، فخرجت بها من العيادة، وسرنا في صمت، ولم أكن أشعر بشيء سوي غليان الدم في عروقي، وتوقفت فجأة لأفتح يدها وأضع الحبوب في باطن يدها في راحة ورحلت من أمامها، وسرت لخارج الجامعة تاركاً إياها.

اتصل أحمد بى بعد دقائق وكنت علي وشك الخروج من باب الجامعة وقال أنهم جاهزون، وركبنا السيارة وذهبنا للعاشر من رمضان ودخلنا مكتب الشركة، قابلنا صديقهم، كان أشقر وجسده ممتلئ وقصته أنه قام بخطبة مرتين، وفشلوا، وكتب كتاب لكنه تركها بعد ما جهز الشقة، وفي خلال جلستنا رأيت أحمد يتحدث إلي سالي ويتقرب

منها بجسده فصرفت نظر عنها، ولا أحب الكذابين ولا مخالطتهم، وطالما حملت وجهاً جميلاً وما كان بداخلها قبيح، فلم أعد أراها، وشغل بالي بتلك الأنثى التي أغرمت بها، وحملت من اسمها صفتها، مرام. . . أحسست كم أشتاق إليها، ولا أجد وصف للعتمة في قلبي ولا يصدر من القلب صوت بكاء، وهي الوحيدة التي تنقشع أمطار الأحزان من داخلي بعد أغرقتني.

تحركنا من الشركة علي مطعم، وركبنا مع صاحب الشركة في سيارته الفخمة، كانت موديل السنة وسمعت سالي تتكلم عنها وتعبر عن إعجابها به، لما جلسنا في المطعم فرش الطاولتين بطلبات الطعام، لم يكن لدي الشهية كعادتي فامتنعت عن الأكل، وعلقت سالي علي فاكتفيت بالنظر إليها وقد أطرقت الصمت وأغلقت فمها علي الطعام، ثم تحدثوا عن الأبراج وكنت أكثرهم علماً بتلك الشئون والتزمت الصمت وتركت لنفسي المساحة لأسمعهم يتحدثون عن صفات الأبراج وعلمت أنني أجالس مجموعة من برج الجوزاء والجدي والعذراء والسرطان، وتيقنت أن تخميني وتحليلي صحيح لما عرفت أن سالي من برج السرطان ونظرت لي وقالت أنني أستطيع قراءة الناس من خلال ملامحهم لكني اعتذرت عن فعل ذلك وأخبرتها أن مزاجي تبدل فجأة، ومرت دقائق ولاحظت أسئلة أحمد الغريبة لسالي، وكانت تجيبه بسذاجة عليه، وقد فهمت مقصده، ولما نزلنا كان الفتيات بأعلى يغسلن أيديهم ويضعون مساحيق التجميل، وسألت أحمد عن مغزاه من طرحه للأسئلة فقال أن صديقه صاحب الشركة يفكر بالزواج من سالي، فقلت له أنها علي علاقة بطالب من كلية الشرطة وقد يسبب لهم مشاكل، فقال لي ألا أحمل هم، وشعرت حينها أنني لازلت أهتم بها وكاد قلبي يتحمل هموماً تثاقل عليه ولم أقوي علي البقاء بينهم، لكنهم أخذوني بعدها إلي كافيتيريا وبقينا فيها ساعات حتى منتصف الليل وطلبوا الشيشة جميعاً ولم يعتذر أحدهم عن شربها حتى سالي، وبقيت أراقبها في ذهول وشعرت بالقرف منها، وابتعدت عنها لأني لم أكف عن السعال وضاق صدري من الدخان فطلبت من أحمد أن يقلني بسيارته علي حدود مدينة العاشر من رمضان ثم أستقل أي سيارة أجرة.

* * *

وصلت للبيت في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل، دخلت الشقة ولم أخلع سوي حذائي وألقيت جسدي في تعب علي السرير، كنت أظن أنني سأنام من التعب لكن بقيت محدقاً للسقف لساعات، غرقت في التفكير، وكادت رأسي تتحطم وتتلاشي أجزاء مخي شيئاً فشيئاً من كثرة التفكير، لم يكن لدي سواها، أحببتها بشدة، لا بديل ولا مثيل ولا شبيه لها، ليت الدموع تملئ عيني لأبكي، لكن الألم أفقدني القدرة علي البكاء، وما كسر بداخلي لا يشعر أحد به.

أخذت نفساً عميق وكتمت مشاعري بداخلي، تجنبت شعوري وضيق الصدر التي أحسست بها، ولففت رأسي لأجد بجانبي كتاب سيكولوجية الحب، فتحته لأجد ورقة سقطت منه، كنت قد تركتها عند آخر صفحة قرأتها، وقد مر وقت طويل وأنا لم أفتح ذلك الكتاب وأبقيته علي السرير لكن كنت أعود كل يوم من الجامعة متعباً وتوقفت مدة عن القراءة، فنسيت آخر شيء كنت اقرأه، ولما بدأت اقرأ وقعت عيني علي «لبلوغ المرام.»، غبت في اسمها وتذكرت آخر شيء قد قرأته، فأمسكت بهاتفي من جانبي وفتحت صفحتها علي تويتر وكنت سأرسل لها رسالة أصف فيها اشتياقي وقد غلبني قلبي وشعرت بالحنين إليها.

قرأت آخر شيء كتبته فكانت تشكر ناس علي شيئاً بدا لي مبهماً، ومررت بكثير من التغريدات تشكر فيهم أصدقاؤها، وأخذت اقرأ أسماؤهم فكانوا من الرجال والنساء وبلغوا العشرة تقريباً وكنت أعرف بعضهم، فقرأت آخر شيء كتبته مرام: «كنت بسيارة في طريق السويس وكان سائق غبي لكن ستر الله أني بخير، شكراً لكل من سأل علي، لا أستطيع الرد علي أحد».

نهضت من السرير في حركة سريعة وكأنني انتفضت من مكاني، وجلست علي حافته، أسرعت بفتح الرسائل، وراسلتها ولم أهتم بما كتبته: «مرام، أنتِ بخير؟»، فأضيئت الشاشة بأنه لا يمكنني مراسلة هذا الحساب، وقد نسيت تماماً أنني ألغيت المتابعة فضربت يدي علي رأسي، ورحت أفتح صفحتها مجدداً لأتابعها، ثم عدت إرسال الرسالة لها.

مرت دقائق وعيني لم تنظرا لشيء آخر غير شاشة الهاتف وهي تضيء علي رسائل مرام، لكنها لم تجيب، فعدت أرسل لها: «مرام أرجوكِ أجيبيني».

شعرت بيدي قد بردتا وقد عجزت عن إمساك الهاتف بين يدي، ما يحدث لي لا أجد له تفسير، ولم أهتم كثيراً ووضعت اهتمامي كله علي أن ترد مرام علي، لكنها لم تجيب، وجئت أكتب لها فوقع الهاتف مني أرضاً، فأصدر صوت اصطدام قوي وملت بجسدي لأخذه، فنظرت له ولم تتكسر شاشته لذا رحت أكتب بسرعة: «لا أعلم ماذا حدث لكي لكن أريد الاطمئنان عليكِ».

علمت أنها لن تجيبني، فتركت الهاتف جانب السرير وفردت جسدي ثم أغمضت عيني وأنا اسحب الغطاء علي ولعنت تويتر ورسائل تويتر وخاصية معرفة رؤية الرسائل ولعنت كل المسافات التي تفصلني بها.

استغرقت دقائق حتى وصلت لي رسالة منها، ففتحت عيني وأخذت الهاتف من جانبي ثم فتحت رسالتها، وكان ضوء الهاتف قوي يضرب في عيني فنظرت بنصف عين للشاشة حيث كتبت: «أنا بخير الحمد لله ؛ وأنت؟».

أرسلت إليها بسرعة كعادتي:

- لا تهتمي لأمري، ماذا حدث لكِ؟.

قرأت رسالتي بسرعة وأعادت ترد علي: «انقلبت بسيارتي علي طريق السويس واصطدم وجهي في عجلة القيادة».

ازدادت نبضات قلبي اضطراباً وكان بسببها، وسألتها: «أنتِ بخير؟ ماذا حدث لكِ؟».

أرسلت صورة لوجه يبكي وكتبت بجانبه: «كلا لست بخير ؛ وجهي كله أزرق».

وتتابعت رسائلنا كالتالي:

«ألا يوجد أي كريم أو شيء تضعينه؟».

«لا اكتفيت بوضع ثلج».

«أمرك غريب

كيف تكونين في كلية الصيدلة ولا تعرفين اسماً لكريم؟».
«بدأ وجهي يتحسن..».
«أردت الاطمئنان عليكِ فقط، انتبهي لنفسك».

وتفاوتت بين رسائلها دقائق طويلة كنت انتظرها فيها، ولما انتهيت بإرسال رسالتي الأخيرة قرأتها ولم تجيبني، وتركت هاتفي وغفوت في النوم بعدما كنت غارقاً في التفكير، شعرت بالراحة وملكت السكينة قلبي ونمت.

* * *

مر الجمعة والسبت وكنت في المنزل أذاكر ولم أتحدث لأحد وقتها، رحت أفرش الصفرة كلها بالورق لأذاكر، بقيت أعيد في الحفظ أكثر من مرة، خاصة في مادة الإدارة، وحللت الكثير من مسائل المحاسبة ورغم ذلك كنت أشعر بالغباء من نفسي، حللت المسائل أكثر من عشر مرات ولازلت أخطأ، وكيف أكون بهذا الغباء، فأنا أذكر أنني سجلت معدل ذكاء مرتفع عن المائة والخمسون وهو بمستوي الشخص العبقري.

ألقيت بالورق علي الأرض في غضب، وكاد شعوري بالغباء يفقدني صوابي، فرميت كل الورق بالقمامة، وجلست علي كرسي الصالة ألتقط أنفاسي المتسارعة، كنت غاضباً، كالبركان، ولم أثور، كل ذلك كنت أشعر به بداخلي حتى كدت أجن.

نهضت من مكاني وفتحت الحاسوب وبحثت في مواقع كثيرة عن تنمية الذكاء والذاكرة، كنت شككت في قدراتي الذهنية، لكن كل اختبارات الذكاء كانت نتائجها غير المتوقع وأظهرت لي مقاييس الذكاء مائة وأربعون، وفي اختبار آخر أظهر لي مائة وعشرون، وفي اختبار أخير ظهر لي مائة اثنان وخمسون، فكففت عن القراءة عن تنمية الذكاء ورحت أطبع ورق المواد مرة أخري وهدأت نفسي، ثم رجعت أذاكر كأن شيئاً لم يحدث.

* * *

في يوم الأحد، كانت لدي محاضرات من التاسعة للخامسة، وكانت الساعة الحادية عشر ووقتها أذن الدكتور لنا بأخذ وقت للراحة، ودقائق وكنت بالخارج، دخلت

مبني صيدلة، وصعدت للطابق الثاني لأنه الطابق الموجود به أول قاعة محاضرات، وجدت طلاب خارج القاعة فعلمت أن المحاضرة لم تبدأ بعد، كانت محاضراتهم تتكون من ساعتين، علي عكس محاضراتنا تستغرق ثلاث ساعات متواصلة تقريباً، أوقفت فتاة وسألتها:

- إذا سمحتِ، هل تعرفين مرام عبد العظيم؟ هي بالفرقة الثالثة.
- شعرها بني وطويلة؟.
- أجل، أين أجدها هنا؟.
- هي لا تحضر كثيراً، لكن من المفترض أن هناك محاضرة الآن وأنها بالداخل.

لا تحضر كثيراً، ولا تعلم الكريم المناسب لعلاج بشرتها، والامتحانات كله بالحب، فكرت بأن مرام ليست من هؤلاء الطلاب المهتمين بدراستهم وقد تكون مِن مَن يرسب، وخطر ببالي أنني لو كنت عرضت عليها شرح الكيمياء أو أظهرت لها بحثي في مادة الجرافين لما كانت اهتمت بل وشعرت بجهلها فشكرت الله أنني لم أتخذ تلك الخطوة، لكني علي الأقل حاولت التقرب منها بشكل مختلف، وباء ذلك بالفشل.

دخلت أبحث عنها، ولمحتها تجلس بالخلف، كنت أعلم أنني سأجدها هناك لأني أذكر آخر مرة كانت بمحاضرة علم النفس. صعدت علي الدرج ورأيتها ممسكة بهاتفها وتأكل باليد الأخرى، أردت أن أفاجئها، فسرت بالصف الخلفي لها، ووقفت خلفها، ثم وضعت يدي علي كتفها وربت بهدوء، لفت من مكانها، ورفعت رأسها لتنظر لي، ولاحظتها تترك طعامها جانباً وتضع الهاتف في جيبها، ثم وقفت ووجهت جسدها لي باهتمام، وعانقتني.

شعرت أن قلبي توقف عن الخفقان للحظة، وأطالت في عناقي، لفت ذراعيها حول ظهري وتشبثت في قميصي بقوة، وشعرت للحظة أنها تمسك في كالطفلة، تريد التعلق بشيء يشعرها بالأمان.

أحطت خصرها بيدي وكانت يدي تحترقان وترتويان منها في آنٍ واحد، لكنها مكثت طويلاً، ودفنت رأسها في صدري، ولما رجعت برأسي للخلف لأنظر لها أردت أن

أبعدها عني، أحسست أنني سأوقع نفسي في المشاكل إن استمرت طويلاً، ولم أشعر بها إلا وهي ترجع للخلف، ووجدت نفسي أحدثها بنعومة: «لقد اشتقت إليكِ».

أردت أن أعاتبها وأجعلها تدرك خطأها في تجاهلها لرسائلي واهتمامي ونسيت أن لديها حبيب آخر، ولم أفهم ما فعلته للتو، إنها توقع بى، لكن، للحظة شعرت بالفرح لأن حدسي بأنني سأقابلها مجدداً وأتحدث إليها لم يخيب.

لم تجيبني أو ترد واكتفت بابتسامة، فقلت:

- أنتِ بخير؟.

سألتها مراراً وتكراراً وأردت في كل مرة الاطمئنان عليها، فلما تأملت ملامحها كان هناك خطاً أزرق تحت عينيها كنهر متفجّر من فيضان هائج من الشعيرات الدموية في عينيها وبدأ تيّاره يهدأ شيئاً فشيئاً حتى يختفي تحت تلون بشرتها، أدركت كم من المبالغة التي وصفتها لي منذ يومين، وأضفت:

- يبدو أن الثلج له مفعول قوي.
- ما الذي أتي بك لمبني صيدلة؟.
- بحثت عنك، وأردت رؤيتك، لكنك تبدين بخير عما وصفتِ لي.

تحسست وجهها بأطراف أصابعها وهي تقول:

- كان وجهي كله باللون الأزرق.
- ماذا حدث بالضبط؟.
- كنت في طريق السويس مع أخي وكنت عائدة للمنزل. .

قاطعتها: «أين منزلك؟».

بعمارات السفارات، عندما تخرج من الجامعة تأخذ طريق التسعين إلي نهايته ثم تكسر يميناً، ستجدني هناك.

وابتسمت وكان في ابتسامتها وطن، فبادلتها الابتسامة ولم تفقد عفويتها وأدركت أنها لم تكن تتصنع أبداً ومضي الوقت معها سريعاً ورحلت لمحاضرتي واستمدت منها

الروح والحياة، وأدركت أنني كلما حاولت الخروج من تلك العلاقة أدخلتني إليها وسكنت فيها.

* * *

اقتربت الامتحانات وبدأت أول يوم بالفعل وكنت نشيطاً واستمدت الحماس مما راجعته، ودخلت مبني كلية التجارة وصادفت تلك الفتاة ذات العيون الزرقاء وقد نسيت اسمها، ألقيت عليها تحية من بعيد فابتسمت واقتربت تسلم علي، لم نتصافح، وتلعثمت في بداية الكلام، فألقيت التحية وقد بدلت الحروف ببعضها، فضحكت، ولم يكن ذلك مرحاً بالنسبة لي فهذا يحدث كثيراً معي وأضع بمواقف محرجة.

ابتسمت ابتسامة مصطنعة وسألتها:

- مستعدة؟.
- نوعاً ما، وأنت؟.
- أجل أريد أن انتهي سريعاً، علمت أن دكتور المحاسبة سيضع أسئلة أكمل.

وضعت يديها علي وجهها وقالت بصوت عالي:

- يا إلهي أنت لا تأتِ لي بأخبار سعيدة أبداً؟.

فتحت فمي ضاحكاً ثم قلت:

- أنا أقول لكِ ذلك حتى تهتمي بالأسئلة النظرية.
- لا تقل لي شيئاً مجدداً.

قالتها في مرح، ورحت اسألها:

- ما اسمك؟.
- ميرنا، أنت تنسي بشكل فظيع، هذه المرة الثالثة التي أخبرك فيها عن اسمي!.
- أنا بالفعل انسي.

* * *

كانت ميرنا محقة بشأني، ولاحظت ذلك أكثر عندما دخلت الامتحانات وتلقيت الورق فبدأت أكتب اسمي أعلي الورقة ولما نظرت للأسئلة حللت أول سؤال

وتوقفت عند ذلك، وكانت بقية الأسئلة قد حللتها سابقاً، فتعثرت بالإجابة، وجاء آخر الوقت وخرجت من القاعة وأنا لا أدرك ما كتبته، ولما قابلت ميرنا حكيت لها ما فعلته وقالت لا بأس، ثم غادرت الجامعة، ومر أسبوع الامتحانات بهذا الشكل، وانتهيت من الامتحانات وخرجت مع أصدقائي باليوم الأخير، ولم أقابل سالي أو مرام، وحتى الآن لم ألتقي برِهام، وقطعت كل مخططاتي للأجازة الصيفية باتصال من والدي وقد طلب مني السفر إلي السعودية، وحجز لي تذكرة بالفعل، فلم يكن أمامي سوي أنني حضرت حقيبة السفر ووضعت بها ملابسي وأغراضي من الأجهزة الالكترونية وبعض الكتب التي لا أجدها تباع في المكتبات بالسعودية، ثم ركبت طائرة علي مطار جدة حيث سكننا هناك، ولما نزلت من الطائرة غيرت شريحة هاتفي في المطار واتصلت بأبي ليقول لي أنه قد أرسل لي السائق، وكانت لحظات ووصلت البيت حيث وجدت والدتي وأقاربي يرحبون بى، جلست معهم قليلاً ثم أكل ونمت وبعد يومين نزلت لأرض مكة وقمت بعمل مناسك العمرة، ورجعت للمنزل بعد أسبوع لأجد أن في بيتنا امرأة، سألت عنها فقالت والدتي إنها خاطبة، وقد قرر أبي أن يخطبني إلي أن انتهي من دراستي وأعود لأتزوج بالسعودية، بل قد يعجل من الزواج، وأتزوج في السنة الثالثة، فدخلت غرفة أبي واقتحمتها في غضب وقلت له ما الذي قد حل به وما الذي يفعله، وشعرت أنني بالغت في الغضب لدرجة أنني شككت أن تكون العمرة قد بطلت، فرجعت أراجع نفسي وقراري وقبلت أن أنزل مع أهلي لنري الفتاة التي سيخطبها لي، ونزلت بعدها بيومين، كانوا من سكان جدة الأصليين، جلسنا في الصالون وقابلتنا عائلتهم، كان أبيها رجل سمين وصوته غليظ ولما يبتسم يظهر صف أسنان أصفر غير لائق علي بشرته السمراء فلم أتفاءل بملامح الفتاة التي سأخطبها، وجلست عابساً متذمراً. تمنيت ألا أكون سافرت وغادرت مصر، لكن القدر شاء أن يكشف وجه الفتاة أمامي لأري ملامح عربية جذابة، كانت جميلة بالفعل ولم أستطع مقاومة التحديق إليها، لكن علمت أن تحديقي لها لم يكن سوي شهوة وهي لم تجذبني ولم تتحرك أيّة مشاعر نحوها، وفي خلال أسبوع كنت جالساً جانبها ونرتدي الخواتم في أيدينا، وخطبت لها بالفعل، وسمعت بكاء والدتي من الفرح ورأيت السعادة في

عيني والدي الذي نفذ ما كان يخطط له قبل سفري، بينما رحلت للمنزل ودخلت غرفتي، أغلقت النور وأظلمت الغرفة تماماً، ثم تحسست المكان من حولي حتى جلست علي السرير واستلقيت عليه وبقيت محدقاً للسقف بالساعات في التفكير حتى شعرت أنني أموت ببطء، وكل شيء في فاقد الحس، وتبدلت نظرتي لمستقبلي وحياتي بأكملها وأرغمت نفسي علي نسيان كل من أعرفهم بمصر لأني قريباً سأستقر هنا، مع زوجة لم أعرفها من قبل ولم أتحدث إليها سوي مرات قليلة ولم نتبادل المشاعر.

* * *

بعد شهر من الأجازة وفي إقامتي بالسعودية كنا علي ميعاد مع عائلة الفتاة التي خطبتها، اسمها فاطمة، جاءت هي وأهلها لوليمة الغداء، فأكلنا جميعاً علي طاولة واحدة، وعادتاً لا يفعلوا ذلك في السعودية فيجعلوا النساء في مكان والرجال في مكان، لكننا كسرنا القاعدة وأردنا أن نضم العائلتين في طاولة واحدة، وفوجئنا بأن فاطمة اعترضت علي ذلك، واعتذرت لأنها تشعر بالخجل ولن تجد الراحة في الأكل بالنقاب أمامنا، وأخذت جانباً فدخلت غرفتي، أكلت فيها، وكنت قد شعرت بالتوتر لوجودها في غرفتي، وبقيت أحدق من زاويتي إلي باب غرفتي لأجدها أغلقت الباب علي نفسها وتفردت بالأكل، فلما انتهيت رحت أغسل يدي، وطرقت علي باب غرفتي، لتعطيني إشارة بصوتها فانتظرت خارجاً، وابتعدت خطوات عن الباب، وفتحت لي، ثم قالت:

- تعالي، أريد أن أتحدث معك.

نظرت حولي لأجد أهلي وأهلها قد انشغلوا بالطعام وهم بعيدين عنا حتى يرونا، فاقتربت نحوها، وسندت بيدي علي باب غرفتي، فحدقت إليها متسائلاً:

- ما الأمر؟.

نظرت لي بارتباك وتراجعت خطوة للخلف، ثم قالت:

- أنا لا أستطيع الارتباط بك.

قطبت حاجبي متسائلاً:

- ما السبب؟.

- أنا لا أميل لك.

رفعت حاجبي: «نعم؟».

هزّت كتفها:

- كما فهمت.

واقتربت نحوي ثم استأذنتني فتراجعت للخلف وتركت لها مساحة كافية تمر من جانبي. ثم دخلت غرفتي لأجد أغراضي كلها خارج خزانة ملابسي وملقاة علي الأرض، وكان طبق الطعام ملقي في سلة المهملات، لم تتناوله، وبقيت في غرفتي فترة حتى أفهم ما فعلته بملابسي، نزلت علي ركبتي ورفعت ملابسي الداخلية فوجدتها مقطعة، وكأن أحدهم قامت بشدها حتى تمزقت لأشلاء ولم يعد لها شكل يدل علي أنها كانت قطعة ملابس، ولما نظرت لبقية ملابسي من القمصان والمعاطف كانوا كما هم لم يمزقوا، واستنتجت لما قالت «أنا لا أميل لك» كانت تعني أنها ترفض الرجال، أما عن الأكل فأعتقد أنها فعلت ذلك حتى لا تسألها والدتي لما لم تأكلين، وقد استغرقت وقتاً في تمزيق ملابسي ولم تجد الوقت الكافي لتأكل فألقت به.

فهمت الرسالة المبطنة لكنني عجزت عن إيجاد حل لهذه المشكلة، بقينا نتقابل كل أسبوع تقريباً في بيتي أو بيتها وقلما ما نخرج ومعنا الأهل إلي أحدي المراكز التجارية، ولا نتحدث أو نتطرق بالحديث إلي شيء، بل غالباً ما نستمع إلي والدي ووالدها يتحدثون عن انجازاتهم. في أحدي المرات التي خرجنا فيها، كنت جالساً بكرسي جانبها، ورأيتها ترسل لي صورة هي وصديقتها من خلال أحدي التطبيقات علي الرسائل، وقلت لها فهمت ما تعنيه، وأضفت لها أني لا أريدها، ولم أرغب يوماً بارتداء خاتم الخطوبة ودائماً اتركه في جيبي والآن ضاع مني، فطرحت علي فكرة، وأخبرتني بأن أفسخ الخطوبة وهي سترفضه وتخترع سبباً مقنعاً، فوافقتها علي الفكرة وقلت لها نفذي ذلك في شهر أغسطس قبل أن أنزل مصر، وانتظرنا شهرين حتى تفعل ذلك، وبالفعل أهلها اقتنعوا، ورفضوني، ورحت اشتري خاتماً للخطوبة بدلاً من الذي ضاع مني، وخلعته أمام أهلي وفسخنا الخطوبة وعدت لمصر، ولم يعلم أحد من أصدقائي حتى المقربين مني أنني قمت بخطبة.

* * *

عندما رجعت لمصر رتبت شقتي وأغراضي فيها، وكان ذلك في بداية شهر أغسطس، فتحت ذراعي إقبالاً علي البلد وقد شعرت بحريتي عندما غادرت السعودية، ورتبت حفلات مع أصدقائي بمجرد عودتي، لكن لما دخلت الشقة واستقررت فيها أردت البقاء دون خروج، ومكثت فترة في المنزل وكنت أجهل سبب جلوسي، تغيرت تصرفاتي فجأة تجاه الناس والأصدقاء، وكنت أجيب علي كل الرسائل بأنني منشغل وليس لدي وقت وفي الحقيقة أنني كنت أقضي وقتاً طويلاً لا أسوي شيء، لكنهم كانوا يقدروا ظروفي فلا يعودوا بالسؤال، ومن يعيد السؤال من أصدقائي أعتذر بسبب شعوري بالمرض أو أقدم له أعذراً أخري.

صباح أحدي الأيام وقد امتنعت مؤخراً عن النظر في التاريخ، وجدت أن علي أن أذهب إلي الجامعة الحكومية التي سجلت فيها لأصرف الدواء، وجاء ببالي كم المشقة التي سأواجهها الآن في هذا المشوار الطويل، فأخذت نفس عميق، وشربت عصير مثلج، ولم أتناول الفطور وقد امتنعت عن الأكل هذه الفترة.

مرت تلك الفترة بشكل غريب علي، وكانت لدي أعراض لم أشعر بها مسبقاً، كالغباء المبالغ فيه، وفقدان التركيز، والأرق، والشعور بالتفاهة وأنني لا أصلح لشيء وفقدان المتعة في كل شيء وراودتني أفكاراً عن الموت وفقدت طاقتي ووزني، ولم أهتم بشكلي فتركت لحيتي تنبت وكنت أستحم مرة في الأسبوع ولا أذكر أنني وضعت فرشاة في شعري.

تلك الفترة أحسست بقبضة في صدري جعلتني أصرخ من الألم، فوضعت يدي علي صدري وقلبي ولم أستشعر نبضات مسرعة، بل كنت طبيعياً، ولم أستوعب ما يحدث لي حتى نهضت من مكاني وسألت في الدليل عن أطباء نفسيين، ووقع في يدي أكثر من رقم، واتصلت بإحداهم فحجزت ميعاداً بعد أسبوع، وكنت في خلال الأسبوع هذا أذهب للكلية أقوم بعمل ورقة تحويل لصرف الدواء، وطلبت ورقة تقييد حتى أجدد الصرف، فتعثر معي موظف في شئون الطلاب، ولم يعطيني ورقة القيد، ولأني كنت مقيد

بجامعة خاصة أخري فلم أهتم بأنني صرخت في وجهه وكدت أضربه من الغضب حتى حاول تهدءتي وأمسكني موظفين آخرين ليبعدوني عنه، وتحاشيت عنه بعدما أعطاني ورقة القيد وقد أخبرني أنني علي أن أذهب لأحدي المسئولين الكلية لأختمها وأمضيها، فاستدرت وخرجت من غرفة شئون الطلاب التي عادتاً تكون مغلقة ولا يدخلها أحد سوي الموظفين، لكنني كنت اقتحمتها وتصرفت بعجرفة، وخرجت وعيني تشعان احمراراً من الغضب والحر وشممت رائحة عرقي وقد زدتُ ضيقاً. مضيت الورقة وأخذت أركب مواصلات لمستشفي الطلاب وقمت بإجراءات روتينية مملة استغرقت مني ساعة حتى جاء ميعادي مع الطبيبة التي انتظرها كي تكتب لي ورقة بصرف بعض الأدوية ولا تقوم بالكشف علي أو الفحص، ثم أخرج من عيادتها وأصرف الأدوية من الصيدلية وأعود للمنزل بالدواء، وعدت يومها وأنا أتخيل كيف كان شكلي وأنا أصرخ في وجه موظف شئون الطلاب فكرهت نفسي وسئمت من عصبيتي وغضبي فلم يكن هناك مبررات ملموسة لكل هذا، ولطالما كنت هادئاً ولم أكن فظاً فزاد فوق كرهي لنفسي كره.

لما جلست مع الطبيبة النفسية سألتني عن بعض المعلومات الشخصية وعن تاريخي ولم تجد سبباً واضحاً للحالة التي كنت عليها لكنها شخصتُ حالتي بالاكتئاب، ومن يظن أن الاكتئاب مجرد شعور بالحزن، فالاكتئاب وحدة وألم وضيق وملل وركود وقلق وجزء صغير منه حزن، وسألتني عن معدل ذكائي فقلت لها اثنان وخمسون وذهلت من الرقم وقالت: «قد يكون هذا سبب اكتئابك».

بعد ما قالت هذا تكلمنا في شئون أخري وحددت معي ميعاد آخر لكني لم آتِ لها، فلما قالت أن ذكائي سبب اكتئابي لم أصدق ذلك.

استمر مرض الاكتئاب أسبوعين، وفي تلك الفترة وجدت نفسي جالساً أمام شاشة الحاسوب وأفتح برنامج الكتابة لأطبع علي صفحات البرنامج البيضاء حروفاً بدأت بها كتابة رواية، وكانت أحداثها تدور عن ثلاث أطباء صيدلة علي صداقة قوية ببعضهم ولكن هناك مشاعر مخبئة من كل طرف ناحية طرف آخر، وظهر حادث مفاجئ في حديقة الحيوانات فانتفضت الحيوانات من أقفاصها وسارت بقية أحداث

الرواية لتظهر أن هناك مرضاً خطيراً ظهر وقد زرع في الحيوانات وبدأ يصيب سكان المدينة فعكف الأطباء علي اكتشاف دواء لها، لكن مشاعرهم بدأت تظهر وتحدث مشاكل بينهم وكانت هناك طبيبة صيدلة منهم قد ساعدها الدكتور الذي يدرس لها وطلبت منه مادة غير متوفرة بمصر لتتم تركيبة الدواء بعد أن فشلت في تحضيرها كثيراً، وساعدها علي فعل ذلك وأعطاها إياها ثم رحل لبلده وهي حاولت تركيب الدواء ونجحت وتناولته بمفردها وتركت أصدقائها لأنهم خانوها، وأسميت الرواية بأسم «ثلاث أطباء مرضي ودواء واحد» وقد كتبت اسم بطلة الرواية مريم، وهو القريب من مَرامْ وبدأت أحداث الرواية بحادث السيارة الذي حدث للتو لمرام، ولما انتهيت من كتابتها بشكل أدبي سهل ولم أعقّد اللغة، وكتبت إهداء لها في نهايته كي تكون هدية مميزة لها، وأرسلتها لدور النشر وانتظرت لثلاث شهور كاملة من دور النشر، وحظيت بالرفض من واحد وعشرون دار، ولما قُبل العمل كان العقد عبارة عن دفع مال والتكلفة علي الكاتب ولم أستطيع تدبر المبلغ فاعتذرت لهم، ولا يزال أوراق الرواية في أدراج مكتبي أفتحها لأقرأها بمفردي واحتفظت بهم لحين أشتاق لها.

بدأت الدراسة في الفترة التي كنت أنتظر فيها رد من دور النشر، وكنت أتفحص هاتفي ككل مرة، وشعرت فجأة أنني أريد أن أتحدث مع مرام، ففتحت رسائل الفيسبوك، ولم أجد صفحتها، وظننت أنها مسحت صفحتي ولغت الصداقة بيننا، ولأتأكد من ذلك فتحت تويتر، وقمت بكاتبة اسم حسابها، لكنني نسيته، فكتبت أسمها وظهر لي أنها لا تزال تتابعي، لكن غيرت صورتها للأسود، فلما دخلت علي حسابها وجدت تعزيات من أصدقائها، ولم أفهم ماذا حدث، ومن توفي.

قلّبت في كل حسابها ولم أجدها تكتب شيئاً، فدخلت علي الرسائل، وفكرت بكتابة شيء لها، لكنني ترددت للغاية، وكرهت إحساس التجاهل منها، ولا أريد الشعور بمزيد من الألم، فأغلقت شاشة هاتفي وتركته جانباً.

* * *

بعد يومين من قرائي للبرقيات أصدقائها علي مواقع التواصل، نزلت من بيتي وأوقفت سيارة أجرة، وقلت له عمارات السفارات، وطيلة الطريق كنت أحدق لشاشة هاتفي وأنظر للطريق من النافذة بتردد، فأنا لا أعلم عنوان منزلها بالضبط ولم تصفه لي ولا أعرف رقم العمارة أو الشقة، ولما نزلت من السيارة دخلت بين العمائر وأنا أنظر لهاتفي بين الحين والآخر وقد قُطع اتصال الانترنت عنه. بعدئذ، توقفت أمام عمارة رقم عشرة ونظرت لشاشة هاتفي لأتأكد إن كنت صحيحاً، وتأكدت من ذلك، واقتربت من المدخل لأجد أن الباب لا يفتح إلا بإذن من سكان العمارة من خلال الاتصال بهم عن طريق هاتف العمارة المعلق جانب الباب، ولما قرأت الأسماء علي جهاز الاتصال باحثاً عن اسم عبد العظيم وجدت أن مكان الأسماء فارغاً ولا يوجد سوي أرقام شقق، وزدت حيرة من أمري، فبحثت عن حارس العقار وكان بعطلة، فكان ذلك أول يوم العيد الكبير.

انتظرت حتى نزل أحدي سكان العمارة منها وفتح الباب فدخلت مسرعاً وطرقت علي كل شقة، وسألتهم: «مرام؟ هل هي موجودة؟».

ذات مرة رفعت مرام صورتها في مدخل العمارة علي تويتر معلقة علي شكلها، وكانت الصورة وهي تقف أمام المرآة وكنت أذكر تلك المرآة بإطارها فوجدتها في مدخل العمارة مما زادني تأكيد أنني كنت أسير علي الخطي الصحيحة، ولما طرقت كل أبواب العمارة إلي أن وصلت للطابق الحادي عشر وكل من كان يفتح لي يقول لا، لم نعرف أحد بهذا الاسم، حتى فتحت لي سيدة تقول لي أني اعرف كل سكان العمارة ولا يوجد فتاة بهذا الاسم، وبعض الشقق لم تفتح لي، وظننت أنني أخطأت بالتوقيت فالكل يحتفل بالعيد الأضحى.

نزلت من العمارة واليأس معلق علي رأسي، لما سرت للأمام وقد أعطيت ظهري للعمارة، كنت أطرق بالنظر حولي، ووقعت عيني علي عمارة في الناصية التي قابلتني، وكان مكتوب عليها عمارة رقم عشرة ب، فضربت يدي برأسي وكيف لم يخطر ببالي أن هناك عمارتين بنفس الرقم، فدخلتها، ونظرت حولي باحثاً عن المرآة، وكانت هي، وقد أخطأت

ذاكرتي بشأن المرآة التي رأيتها في عمارة رقم عشرة ألف، وصعدت طوابق العمارة أطرق علي شقة شقة ويفتح لي الشاب والكهل والطفل وكلهم يجيبون بأنه لا يوجد أحد بهذا الاسم، ونزلت من العمارة ونظرت حولي فوقعت عيني علي سيارة مرام وكان لا يزال أثر الحادث عليها فقالت لي مسبقاً أن أبيها يرفض إصلاحها ولا يوجد تأمين علي السيارة، وتأكدت أن العمارة التي تسكن مرام فيها هنا لكن لا أعرف أين هي.

رجعت لمنزلي وفتحت الإنترنت ودخلت علي حسابها بتويتر وفتحت المتابعين الذي تتابعهم لأجد من بينهم أصدقائها المقربين، فضغطت علي متابعة من حسابي الشخصي، وكتبت تغريدات لأصدقائها بأني ذهبت لمنزلها ولم أجدها، فردوا علي بعد دقائق طويلة وقفت فيها في الشمس وقالوا أنهم سيحاولون الوصول إليها، وطلبت رقم هاتف مرام لأنه ضاع مني فلم يجبوني ولم أتضايق وقتها، وسألوني كيف تعرف مرام ولا نعرفك، ولم أجد إجابة وقلت لهم أنني زميلٌ لها.

مساء ذلك اليوم، وجدت متابعة من مرام علي حسابي الشخصي، فسرت رعشة في جسدي فرحاً وانتفضت من مكاني وقمت باللف حول نفسي كأنني أقوم بحركة رقص، ورسالتها سريعاً:

- مرام أنتِ بخير؟ ماذا حدث؟.

لكنها كعادتها لم تجيبني، فرجعت أرسل لها:

«مرام أجيبيني أرجوكِ

أنتِ ترين رسائلي؟

لن أتركك وسأظل أرسل لكِ حتى تردين».

أنا ألاقي عذاباً في تلك العلاقة التي لا أعرف لها شيء، وفقدت تركيزي وتخللت الأفكار السلبية لعقلي وتركت هاتفي، إلا أنه سرعان ما تلقيت منها رسالة كتبت فيها: «أكره حُزني الذي يجعلني أبتعد عنك ولا أجيبك ولا أرغب برؤيتك قلق علي».

شعرت بوخز ينزع من قلبي وأنا أمسك الهاتف واقرأ الرسالة وقد أعادت للفؤاد النبض والحياة وتنفست الصعداء وأجبتها: «كنت قلق عليكِ وجئت لمنزلك وبحثت عنكِ ولم أجدك».

لما قرأت الرسالة لم تتردد بالرد، لكني لم أهتم، لقد شعرت براحة كدت أن أنساها، ولم أأبي إن ردت أم لا فقد اطمأننت عليها، وقالت: «لقد أخبرني أصدقائي بذلك، صدقني لم أكن أرد عليهم حتى، كنت بالمنصورة عند جدّي، لكن كيف عرفت عنوان منزلي؟».

ابتسمت ابتسامة صغيرة، وفتحت الصور لأرسل لها صورة بموقع منزلها علي الخريطة، ثم كتبت لها رسالة: «قمت بالتقاط صورة من هاتفي لموقع منزلك، أتيت به من رسالة عندما كنتِ تحدثيني علي الفيسبوك وقد حدد مكان منزلك، كان ذلك منذ ستّة شهور، أنا لا امسح رسائلك أبداً..».

بعد لحظات أرسلت لي: «يا إلهي! هل سبق وأن قال لك أحدهم أنك مجنون. . . ياسر، أنت أفضل من أصدقائي المقربين فهم لم يفعلوا معي ذلك».

شعرت بقلبي يتراقص داخلي وكاد يقفز من صدري، وراسلتها: «لو كانوا أخبروني أنكِ بالمنصورة لكنت جئت إليكِ، لكن مهلاً ماذا حدث؟».

أخبرتني أن جدّها أصيب بسرطان الجلد، وقد توفي زوج خالتها، وقالت لي أنها سخرية القدر، وذهبت لرؤية جدّها، وبعدها تحدثنا حتى الساعة الثانية مساءاً وبعدها نمت، وفي اليوم التالي انتظرت حتى حل المساء، ولم تكن تفتح حسابها، إلي أن جاءت الساعة الرابعة فجراً وأضيء هاتفي لأعلم أن مرام كتبت تغريده ففتحت عيني علي صوت تطبيق تويتر، وفتحت الهاتف ثم أرسلت لها: «لقد انتظرتك حتى تعودين، كيف حالك؟ أخبريني أنكِ بخير».

تركت الرسالة وغفوت في النوم، وظننت أنها لن تجيبني كعادتها، لكني سرعان ما استيقظت علي صوت تويتر مرة أخري، وهذه المرة وجدتها كتبت تغريده وذكرتني فيها، وقد التقطت صورة المحادثة بيننا، وكتبت فوقها «ياسر ؛ سبب من أسباب السعادة

وخروجي من حالة الاكتئاب ؛ ربنا يحميك »، ولو تعلم كم الفرحة والنبض الذي يدق بداخلي وأنا أحدّثها لحدثني كل ساعة ولما غابت لحظة عني، فأنا أشتاق لها كما يشتاق الروح للجسد، ورددت عليها في تغريده: «أقسم لكِ حين أحدثك يتبدل مزاجي ويصبح لليوم معني آخر».

ولما ردّت كتبت: «أقسم أنني أحبك».

ولم يعد لي أمنيات أخري أريدها في هذا المساء وقد اكتفيت بها، وشعرت في كلامها بحضن يغيب بى لعالمها.

فتحت الرسائل، وكتبت لي: «كنت مع أصدقائي، وتوقفت السيارة بى في الطريق فتأخرت».

سررت لما أخبرتني بتفاصيل يومها وأردت معرفة المزيد، وسألتها عن مواعيد امتحاناتها فقالت أنها ستنتهي منها يوم الخميس القادم وقد رسبت في مادتين وهي تذاكر في الصيف لتعوضهما، والآن قد تأخر الوقت لكنني أردت الحديث معها وأردت أن ترتاح أيضاً، وكنت أنانياً فتحدثت معها، وسألتها: «مرام أفكر بجلب هدية لزميلتي لكن ليس لدي فكرة، ماذا قد تحبه الفتيات؟».

وقالت لي الفضة، وأنها تعشق الفضة، فقلت لها أنها ليست هدية مميزة، وسألتني عما أفكر به فأرسلت لها صورة للوحة طويلة وقلت لها هذه لوحة طويلة مكتوب عليها بالقلم الذهبي وكان المكتوب عليه ذكرياتي أنا وأقاربي فقالت جملة لن أنساها: «الله الله علي الدماغ».

رغم أنها كانت جملة عادية لكن أدركت أن علاقتي بمرام جعلتني أنتبه لتفاصيل لم أتصور يوماً أنني كنت سأحفظها عن ظهر قلب.

لم تقول لي اقتراحات أعجبتني من الهدايا، ونزلت أبحث عن سلسلة فضي أشتريها لها، فلم أجد شيئاً مميزاً، ورحلت من المحلات بعد أن لفتت لساعات، وكان اليوم الخميس، تذكرت أنها ستذهب للامتحان، وذهبت ودخلت مبني صيدلة لأسأل عن امتحانات الفرقة الثالثة فسألني الطالب عن اسم المادة وكنت جاهلاً بأسماء مواد صيدلة

لصعوبة نطقها وحفظها، فقال لي اسم مادة وقلت له نعم هي، ولم أكن أعلم أي فرقة تخص، وكان حظي أنها بالفعل المادة التي ستمتحن فيها مرام، فأخبرني أن الامتحان سيكون الساعة الثانية عشر، ونظرت حولي باحثاً عن ساعة، ثم نظرت لهاتفي، إنها التاسعة، سأنتظر لثلاث ساعات وساعتين إضافتين حتى تنتهي من الامتحان واطمأن عليها، وجلست علي سلم الكلية حتى لا أغفو لحظة وأراها، ولم انتظر طويلاً حتى وجدتها تسير مع صديقتها فنهضت من مكاني وقد تصببت عرقاً من الحر والشمس، ورأيتها قد توقفت للحظة ودنت بخطوات واسعة نحوي ولما توقفت أمامي ابتسمت لا إرادياً وسألتها:

- كيف حالك؟.

وقبل أن ترد شعرت بنفسي أميل نحوها لأعانقها وأضمّها إلي بقوة، وكانت حاجتي لعانقها غلبتني إلحاحاً، وكان للأمان رائحة لا تُشم إلا في حضنها وما رغبت في أن تفلت مني فأشعر بالضياع.

لكنّها. . . وضعت يديها علي صدري ودفعتني بعيداً عنها برفق، فنظرت لها بارتباك، إنها غريبة، لا يمكن توقعها، وهذا كاد يثير جنوني ويحطم تفكيري ويجعلني أبحث فيها، ما يمكنني قوله أن علاقتي بها توقفت إلي هذا اليوم، وهي تدخل القاعة أكدت علي أن أبقي في انتظراها ولا أرحل ولما خرجت من الامتحان وكنت قد انتظرها في الشمس حيث لا يوجد ظل في تلك الساعة أمام مبني الصيدلة خرجت مع صديقتها وكانت تشكو صديقتها لها عن الامتحان ولم تكن منتبه لها، ووقعت عينيها في عيني، وأخذا يسيرا حتى ابتعدا فناديت عليها بصوت عالي وقد سمعته لكنها لم تلتفت لي، عجباً لتلك المرأة ما الذي تفعله بي؟.

جلست في مكاني وأنا أشعر بالحزن من طريقتها، واتصلت بها فأجابتني وسألتها عن مكاني فأغلقت الخط بوجهي، رغم ذلك، نهضت من مكاني وبحثت عنها في الكافيتريا فوجدتها مغلقة في الصيف، وبحثت عنها في مطعم الجامعة، وكانت هناك، فقد سمعت ضوضاء حولها، وكانت المرة الأولي والأخيرة التي قد سمعت صوتها في الهاتف وكل

ما قالته «آلو»، اقتحمت مجلسها لما رأيت شاباً يجلس معها، وتحدثت معها وتجاهلت وجوده فراح يتحدث إلي صديقتها، ولم ألاحظ أن هناك غيرنا جالس بالمكان، وعاتبتها فضحكت واعتذرت وغضبت وغلت عروقي من الضيق لكني سرعان ما هدأت، لامست يدي بالخطأ وشعرت بنعومة يديها ولن أنسي ملمسهما، وقبل أن أرحل طلبت مني أن أقبّل خدها، وكانت قد طلبت منى أن أعطيها قبلة في فمها من قبل لكن كان هذا في رسائل خاصة بيني وبينها، ورددت عليها: «أكيد لا تقصدينني بهذا الكلام».

ونظرت لي بنصف عين: «أقصد والدتي».

وكانت سليطة اللسان وجريئة في ردودها ولم يروق لي هذا وقلت لها في حرج: «إذن هذه شئون خاصة بكِ»، ثم غادرت من أمامها.

تلك الأنثى حبّها حطم ضلوعي، وجلست في غرور ورفعت ساق فوق الأخرى وتنازلت لها كي أعلن عن مشاعري نحوها وبالحب الذي يغدق قلبي ويربط ضلوعي، وتتوقع مني أن أقدم لها اعتذارات، فما بالها؟ ألا تري أن النساء الجميلات يملن الشوارع كالغبار في الهواء، وأن كلمة الحب أصبحت أرخص من الخبز وتقال أكثر من السلام، وأن الأحباء يظهرون حبهم علي مواقع التواصل وأنها تعجب بهم وتحلم برجل يفعل لها ذلك، وقدمت لها قلبي ورفضته، ورغم ذلك لم أتركها، ولم تنقطع اتصالاتي بها، وأرسل لها كم اشتقت إليها فلم تجيبني كعادتها، ولم أهتم بالألم الذي شعرت به وقد اعتدت علي تصرفاتها، وإذا ردت واعتذرت أنها لا ترد علي من فرحتي برسالتها أقول لها لا تهتمي لأمري، ولا تعلم هي أن كل أمري يكون أمرها.

* * *

بدأ الفصل الدراسي الأول وكنت بالفرقة الثانية من كلية التجارة وأصبحت ألتزم في مواعيد محاضراتي وأخذت الأمور بجدّية بعد ما كانت نتيجتي في السنة الأولي بتقدير مقبول. عندما علم أهلي بنتيجتي كانوا يهونوا علي ببعض الكلمات وأنه لا بأس من ذلك التقدير، وكنت أعرف أنهم يقولون ذلك وبداخلهم حزني علي درجاتي وأنني خيبت ظنهم وتضايقت من نفسي وأردت أن أحصل علي درجة الامتياز، فلم أكن أشعر يوماً

أنني طالب فاشل ومستهتر وكل يوم كنت أذاكر المواد وأحفظها أكثر من مرة، ولم يكن الندم حلاًّ وكنت أحضر ولا أحد معي من أصدقاء الجامعة، تفرقنا فجأة ولما كنت أري سالي لم نكن نتحدث، ألقي عليها السلام وأرحل، وكانت آخر محادثة بيننا أنني كلمتها في الهاتف بعد أن زارت الطبيب وكنت معها وقلت لها سأتابع معكِ مواعيد الأدوية لتلزمي بها، فقالت لي كم هذا لطفاً مني ولم أكترث بقولها، وكانت سالي أكثر الأشخاص زيفاً رأيتهم، تبتسم وبداخلها العكس، وتضحك في برودة، فهي تكتفي بفتح فمها وإطلاق صوت ضحكة وبداخلها لا تريد أن تضحك، وعندما كنت أرسل لها رسائل لأذكرها بميعاد دوائها لم تكن ترد أو تري رسائلي وتتجاهلني فابتعدت عنها.

في الأسبوع الرابع بالدراسة بدأ مهرجان الأسر، وكنت منظم لأحدي الأسر الثقافية وقد عيّني فيها أحد زملائي بعدما أخبرته ذات مرة أنني أكتب رواية ثلاث أطباء مرضي لدواء واحد وقد أعجب بأسلوبي الأدبي في التعبير والسرد، وحينها كنت النائب علي الأسرة، ووقفت علي طاولة دائرية واسعة خاصة بالأسرة، كانت تحت خيمة بيضاء كبيرة فغطت الطاولات من الشمس ووقفت في الظل، كان ذلك في فصل الشتاء، اليوم العاشر من شهر أكتوبر، علمت أنه عيد ميلاد ميرنا لما رأيت صديقتها ماريهان تبحث عن أحد ليذهب معها إلي أقرب مركز تجاري وتحضر لفافة هدية.

رأيت ميرنا تدخل من باب الخيمة، وكان لها بابين، والباب الأبعد كان علي بعد ثلاثون متراً فهي خيمة ضخمة، وكان هناك حشد بعيداً عند الباب لكنها خرجت منه وفي يدها فتاة أعرفها، اسمها إسراء، ولم يكن بيني وبين هؤلاء الفتيات كلاماً من قبل ولا أعرفهم ولا أعرف زميلي الذي ورطني بهذا المكان وحملني مسؤولية الأسر.

ميرنا، كلما نظرت إلي وجهها أفتن بجمالها، وصدق من قال إن نساء برج الميزان هم الأكثر جمالاً بين نساء الأبراج.

اقتربت تلك الفاتنة نحو طاولتنا علي غير هداها وتركت إسراء فيما راحت تتحدث مع ماريهان، وظللت أراقبها، ولما زالت نظرات عينيها التائهة عني أسرتني في بحر

من التفاصيل، معلنة عن وطن أمامها، وكانت بداية لثورة العبودية والعشق الحرام والموت الأسود، وكانت أغرب تجربة مررت بها في طيّات حياتي.

كنت لا أكّن لها أيّة مشاعر، لكن أسرني شكلها، وانتظرت إلي حين انتهت حديثها مع ماريهان وانتهزت فرصة أن أتقرب منها، فدنوت منها خطوات، ووجدتها تبتسم لي في لطف، وقلت وأنا ألتقط نفسي:

- كل سنة وأنتِ طيبة.

زالت ابتسامتها، ثم أزاحت خصلة قد تطايرت بفعل نسمات الهواء. نظرت في عينيها ورأيت دموعاً كادت أن تخترق حواجز عينيها لكنها كتمتها وأردفت:

- وأنت طيب. . .

ملت نحوها وسألتها بصوت هادئ: «ما بكِ؟».

رفعت رأسها لتنظر إلي ولما لاحظت قربي هزت رأسها في ارتباك ثم تراجعت وهي تقول: «شقيقتي توفّت. . عن إذنك».

قبل أن تستدير هبّت نسمة برد خفيفة بعثرت خصلات شعرها فغطت وجهها، أخذت ترفع يدها وهي تنفخ في الهواء من الغضب وقد بدا في نبرتها الحزن والألم، ورأيت اسم «إيمان» باللغة الانكليزية مكتوباً علي أصابعها لم أنتبه له في المرة الأولي وهي تعدّل من شعرها، فظننت أن هذا اسم أختها التي توفّت للتو، وزممت شفتي حزناً وقلت لها في أسف: «البقاء لله».

هزّت رأسها ولم تجد كلاماً تقوله، وجلست علي أحدي الكراسي الموجودة خلف الطاولة مع صديقتها إسراء، وأخذا يتحدثان، فيما مررت خارج الخيمة أتحدث مع أحدي زملائي بالكلية، ومر ذلك اليوم علي نحو هادئ خالٍ من الأحداث الغير روتينية.

* * *

كان مهرجان الأسر يقام لثلاث أيام، حضرت اليوم الأول واليوم الثاني كنت بالمستشفي أمر لأستلم الحقن، وفوجئت أن مديرة المستشفي أصدرت قرار بتغيير طريقة صرف الأدوية لأنهم وجدوا أن هناك بعض الطلاب يسرقون الأدوية ويبيعونها بأسعار

باهظة وهم غير مرضي، ولما تعرفت علي النظام الجديد أخذت وقتاً في المستشفي لأن المكان كان مزدحماً للغاية، وكان هناك الكثير من المرضي الحاضرين، ولم أكن أعلم ما الذي أصابهم من مرض لكن الأعراض التي كانت عليهم غريبة، فهناك الكثير منهم جالس علي كراسي متحرّكة، ومصابين بتشنجات في أيديهم وأرجلهم وفمهم لا يُفتح بسهولة كي يتكلموا فيصدر الحرف منهم ممدوداً ولا تفهم ما يقولونه، ولما أشحت النظر عن ذلك الجانب وحدّقت أمامي وجدت فتاة تتساند علي كتف والدتها وهي تحاول التحرك والسير، فلما نزلت بنظري نحو قدمها رأيتهما متداخلتين ومتقوسان علي بعضهما فأشحت بالنظر عنها هي الأخرى ولم أتحمل رؤية أحداً يتألم، ثم قمت بخفض رأسي ونظرت للأرض واكتفيت بالانتظار.

من آخر ممر المستشفي تحرّك كرسي حاملاً عليه بعض الكيلو جرامات من كتلة بشرية، وكان لشاب في مثل سنّي، اقترب نحوي بدفعة من أحد أقاربه الذي كان يحرّك كرسيه، وتوقف جانبي، انتبهت له عندما سألني قريبه بنبرة عميقة: «ماذا تفعل هنا؟ أنت مريض؟».

رفعت رأسي ونظرت له، ورأيت وجهاً قد مرّ عليه الزمن وترك خطوطاً حول العين والفم والخد، وقلت له: «جئت لأستلم الدواء أجل».

- الله يأخذ بيدك.

لقد كان يجر حالة أسوأ من حالتي ورغم ذلك لم يشتكي من المرض الذي أصاب ذلك المريض الجالس علي الكرسي، ودعا لي، وشعرت بإحراج، ولم أفهم مغزى سؤاله أو لماذا اختصني بالسؤال، فسألته في فضول:

- مما تشتكون؟.

أجاب الرجل في جفاء وهو يشاور علي قريبه الجالس علي الكرسي:

- لقد أصيب بمرض التصلب المتعدد.

شكل المريض كان غريباً وجعلني أرتاب وأقلق من المرض وتذكرت أنني أصيبت به وأنا صغير، فسألته: «كم عمرك؟».

ما إن فتح المريض فمه، نقط كلامه ببطء: «خ. . خمس. . . خمس. . . و. . . عش. . عشر. .».

سكت فجأة وقد تهجّم فمه، فضممت حاجبي وأردت أن أشيح بنظري عنه وأردت أن أقول له أن يصمت إذا كان يشعر بالتعب في الرد، لكن بدا أنه لا يستطيع إكمال الكلمة بسرعة، وتابع: «خمس، وعشر. . عشرون. . .».

شعرت بضرورة الصمت، وألتزمت السكوت بعد أن رميت ابتسامة صغيرة لذلك المريض، ومرت ساعات إلي أن استلمت الدواء وغادرت في مواصلات وأنا لا أستطيع التوقف عن التفكير بذلك المريض، شكله، عجزه وطريقة كلامه وحركة عظام فكّه الغير طبيعية. جعلني أدخل المنزل أبحث فيه عن حاسوبي، وأخذت أقلب في صفحات الانترنت، وكتبت الاسم العلمي لمرض التصلب المتعدد، وظهرت لي نتائج كثيرة، فضغطت علي رابط يوضح المرض وأعراضه، وقرأت:

مرض التصلب المتعدد هو اضطراب الجهاز المناعي مما يعني أن النظام المخصص لحفاظ الجسم من الأمراض يهاجم المخ، الأمر الذي يؤدي إلي تقلص وظيفة في الدماغ والحبل الشوكي.

هناك اثنان وثلاثة فاصل عشرة مليون من ستة مليار مصابون بهذا المرض علي مستوي العالم ولا يزال سببه لغزاً.

مرض التصلب المتعدد يمكن السيطرة عليه.

وقرأت معلومات أخري كثيرة عنه وقلبت فيها إلي أن وصلت للأعراض فتوقفت بالصفحة وقرأت في تمعّن:

قد يشعر مريض التصلب المتعدد بالغباء أحياناً وحالات من النسيان وانعدام التركيز، ويحتاج مريض التصلب المتعدد إلي بذل مجهود أكثر من الأشخاص العاديين كي يحفظ شيئاً أو يركز انتباهه عليها.

مريض التصلب المتعدد قد يشعر أيضاً بالدوار بدون مؤثرات خارجية.

يواجه مريض التصلب المتعدد مشاكل في القدرات العقلية خاصة بتقنية حل المشاكل، فقد يعاني من الرياضيات والفيزياء والكيمياء والتي تعتمد علي قدرة حل المشاكل.

قد يصاب مريض التصلب المتعدد بحالات من الاكتئاب وتتفاوت درجات الاكتئاب حسب هجمات جهاز المناعة علي المخ.

في حالات نادرة يعاني مريض التصلب المتعدد من نقص القدرة علي الإدراك واضطراب المشاعر والسلوك.

للحظة علمت لِمَ منعني الأطباء عن القراءة عن المرض، وفضّلوا أن اكتفي بتناول الأدوية، والآن فقط قد وضحت لي بعض الأمور التي عجزت عن فهمها مسبقاً، وكان كل ما يحدث من حالات نسيان وانعدام تركيز واكتئاب وفقدان القدرة علي حل المشاكل في المواد العلمية كان تفسيره المرض الذي أعاني منّه.

كنت أسير بين الناس ولا أحد يلاحظ عليّ شيئاً لكني بداخلي أعلم أن جسدي يهاجم نفسه ويُدمّر شيئاً فشيئاً ولازلت أجهل نهاية هذا المرض وكيف سيكون مصيري، فلما علمت من خلال بحثٍ عن أسماء الأدوية التي أتناولها وعلمت بعدئذ أنها أدوية لمنع الاكتئاب وليست لمعالجة مرض التصلب المتعدد، لم يعد لدي قدرة علي تخيل مستقبلي في السنين القادمة، وبقي لدي كل شيء مبهم وغامض فجأة. . .

* * *

اليوم الثالث وهو الأخير في مهرجان الأسر، بعدما انتهيت من محاضرة الأولي خرجت منها وكانت الساعة الحادية عشر فذهبت لمطعم الجامعة وأحضرت مشروباً ساخناً لي واخترت النسكافيه، ثم اقتربت من الخيمة في خطوات هادئة وأنا أراقب النسكافيه علي حافة الكوب لئلا يقع مني، ولما دخلت وبقيت تحت الخيمة توجهت ناحية الطاولة الخاصة بالأسرة التي كنت فيها، وراقبت المكان من حولي لأنظر نحو أبواب الخيمة، ورأيت من خلالها المطر يتساقط بالخارج، فأردت أن أبقي بالداخل واحتمي بكوبي الساخن، وكنت أقف بمفردي حينها ولم أجد زميلي وماريهان وميرنا وإسراء ولا

أحد، ووجدت أوراق علي الطاولة خاصة بالتسجيل، ففضّلت الجلوس علي كرسي جانب الطاولة إلي حين يأتِ أحد منهم.

كنت جالساً ولم أشعر بغزارة المطر بالخارج، ووجدت أن الطلاب يدخلون إلي الخيمة حتى امتلأت بعدد لا بأس به من الطلاب، وجاءت ميرنا ومعها إسراء، فسألتهم عن زميلي، وأجابتني ميرنا وهي تأخذ كوب النسكافيه من يدي للتناول رشفة منه:

- لا أعلم، كنت أظن أنه هنا معك.

بلعت رشفتها ولا يزال الكوب في يدها، شعرت بطعم النسكافيه ونظرت لي تقول: «طعمه كالبسكويت».

لففت رأسي أبحث عن زميلي وقلت:

- اشربيه كله، سأحضر واحداً آخر.
- جيد لأن نكهته أعجبتني.

نهضت من الكرسي وسرت بين طلاب لا أعرفهم، وبدا لي أنهم من الفرقة الأولي من الكليات، ومررت من بينهم وأنا اصطدم بالأكتاف، وكانت عيني تقع علي وجوههم فلم أتعرف علي أحدٍ منهم.

خرجت من بين الزحام وكنت علي حافة الخيمة ووجدت أمامي سلّماً ينزل بى درجتين حتى أصبح خارج الخيمة، ولوهلة سمعت صوتاً من خلفي يناديني، فلما لفتت رأسي وجدت إسراء تناديني وكان معها ميرنا، استدرت واقتربوا منى ووقفوا أمامي، علت علامات الدهشة علي وجهي وسألتهم:

- لِمَ لا تجلسون هناك عند الطاولة؟.

شعرت بشيء غريب بعد طرحي هذا السؤال عليهم، لما نظرت لميرنا كانت حائرة وتنقل نظراتها بيني وبين إسراء وكأن هناك رسالة مبطنة تحاول قراءتها، أما إسراء فأطرقت الصمت لثواني، ولم تجيبني، فعدت اسألها نفس السؤال، ورفعت نظرها نحوي ثم قالت:

- أبداً، أنا عندي محاضرة، سأترك ميرنا تجلس هناك لئلا تترك الطاولة.

نظرت لميرنا وأنا أؤكد:

- أجل ابقي هناك إلي حين أن أعود.

لم تنظر ميرنا إلي، ورمقت إسراء بنظرة قبل أن تستدير قائلةً: «حسناً».

واستدارت ميرنا وبقيت أنظر لإسراء وقد دار ببالي أسئلة كثيرة لها، لكنني أبقيت الصمت، ولففت بنظري علي أحدهم، وشعرت فجأة بأن الأرض تدور من حولي، وكدت أسقط، ولم أشعر بقدمي تستطيعان حملي بعد، فسقط جسمي علي الأرض في لحظة وكان ذلك سريعاً، وفقد كل قدرات الحس للحظات ولم أكن أسمع شيئاً حولي أو أري أحداً سوي شاشة مظلمة عتمة تعكس ما بداخلي.

شهقت إسراء من هول المفاجأة، ولفت ميرنا بظهرها لتجدني ملقي علي الأرض، وحملني أحد رجال الأمن وساعدوهم بعضاً من أصدقائي الموجودين حولي، وصاح إحداهم بكرسي، فنقلوني جسدي عليه، وكنت جالساً عليه وأطرافي ممدة ومسلوبة تجاه جاذبية الأرض وبدوت كجثة حديثة الموت، ظنّوا أنني فاقداً للوعي، فصاح أحدهم بأن يبتعد الحشد الذي تجمع فجأة حولي لأجل الهواء، لكن سرعان ما تغير هذا، وكان جسدي يتشنّج، وبدأت ذراعي تاهتزان بقوة كأنني صعقت من الكهرباء، فحملوني إلي عيادة الجامعة، وانتظروا بالخارج، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا في سرير العيادة، ووضعت الطبيبة شيئاً في أنفي، ولما ضغطت عليه انتفضت من مكاني، ونهضت من علي السرير ووجدت قدماي تلامسان الأرض من شدة الانتفاضة، وقالت لي أنني بخير، فسألتها: «ما كان هذا؟».

أجابتني وهي تعود لكرسي مكتبها:

- ضيق نفس أحدث لك حالة شبه الإغماء.

- أ. . . أنا مصاب بمرض. . . التصلب المتعدد.

نظرت لي وقد ابتسمت:

-التصلب المتعدد لا يُحدث إغماء إلا لو بذلت مجهوداً كبيراً كممارسة الرياضة أربع ساعات متواصلة، يمكنك الخروج الآن.

أخذت أنفاسي وخرجت من غرفة الطبيب وكان معي زميلي المسئول عن الأسرة، وأمسك بذراعي لأستند عليه لكني رفعت يدي معترضاً وقلت له: «أنا بخير».

لم أبدو له كذلك، فنفي ذلك وقال: «سأوصلك لمنزلك».

وكنت خارجاً من باب العيادة وأنا اسمع جملة زميلي، وفتحت الباب لأجد صفاً طويلاً من الأجسام البشرية التي تقف بانتظاري لتطمئن علي، ولم أكن أدرك أن هناك هذا العدد من الناس يعرفني بل ويهمهم حالي، وبحثت من بينهم علي أحداً كنت أريد أن أراه، ووجدت إسراء وماريهان وميرنا وبقية زملائي ولم أجد من كنت أبحث عنه، وألقيت لهم ابتسامة بلهاء في الهواء ومشيت من بينهم وأنا اسمع كلاماً وحروفاً كثيرة تخرج من أفواههم:

أنت بخير؟

ماذا أصابك؟

أري أنك أصبحت جيداً، لقد قلقنا عليك، ورأيناك وقعت فجأة!.

ومن جانبي كانت ميرنا وإسراء يتحدثان، لم أكن منتبهاً لهم فقد نزلت مع زملائي من الرجال، وكان اسمي يتردد في محادثة بين ميرنا وإسراء، وسألتها ميرنا بنبرة ملؤها القلق: «هل معكِ رقم ياسر لأتصل به واطمأن عليه؟».

حدّقت إسراء إليها بعينين فارغة، وهزت رأسها: «كلا ليس معي».

رجعت لمنزلي في سيارة زميلي، دخلت وأنا لا أشعر بنفسي وقد أصابني الدوار وشعرت وقتها أن هناك أصدقاء يهتمون بى، ودخل زميلي ورائي وتفقد الصالة وبعض أجزاء الشقة فيما كنت شارداً أقف في المطبخ وأشرب مياه مثلجة، وبعدها خرجت من المطبخ لأطرق بالنظر في ممر الشقة لأجد زميلي يخرج من غرفتي وقد طرح علي سؤالاً: «أتقيم بمفردك؟».

أومأت له رأسي وقلت في برود: أجل.

صفق بيده صفقة عالية وجال بأنظاره في أرجاء الشقة وهو مبتسم، ثم لف نحوي وسألني:

- إذن لن تمانع إذا جئت شقتك ومعي فتيات؟.

فهمت سريعاً أنه يريد إقامة حفلات ليلة في منزلي واصطحاب فتيات عندي، ولم يبدو علي أنه من هذا النوع لما رأيت عليه من تحفظ مبالغ فيه، فقطبت حاجبي في انزعاج:

- أخشي أنني سأمانع.

حدق إلي مطولاً وقد بدا في عينيه الكثير من التساؤلات وأراد أن يضيق علي وسألني:

- هل لديك مشاكل؟.

فتحت فمي صاعقاً وقد نجح في استفزازي، وصحت فيه وتحدثنا فيما بيننا بحديث يخرج عن الأدب وقد ظهر لي جانب آخر من شخصيته لم أكن أراه وانتهي بطردي من شقتي، وأوصدت الباب خلفه ثم رحت أجلس علي أريكة الصالة أفكر يأمراً آخر قد أحتل تفكيري ولم يفارق يوماً بالي وكأن لا أمر سواه.

كنت أفكر بتلك الفتاة التي رأيتها، عندما مرّت أمامي لم أكن أري سواها وكأن الناس تبخرت في الهواء فأصبحوا غباراً، ولم يفقدني ذلك الغبار رؤية لجمالها وضحكتها وعينيها السوداء، ولم أري بجمال عينيها قط، وليت الذي خلق العيون السوداء خلق القلوب الخافقات حديداً.

هانيا. . . أنثي خشع لها الفؤاد ساجداً وتيّم فيها العشق وأحببتها من كل أوجاع روحي وغصّة قلبي وحرقة نفسي، ولو تذكرتها ولو سهواً ابتسم، وهي من يخفق لها القلوب وتمتزج الفرحة بالمشاعر، وكانت الحب الأول وتفارقنا بعد شهور من تعارفنا ولم أكن أتخيل أن أراها يوماً، ولما وقعت عينيها عليها علمت أنها سَجلت في جامعتي وكانت مقيدة فيها. أصبت بدوار حاد أفقدني صوابي وكنت أدرك أنه لا يخص مرض الأعصاب الذي أعاني منه لكنني أدعيت الجهل أمام الطبيبة لأن زميلي كان يقف بجواري فبدا لي أنه يريد معرفة السبب.

لهانيا قصصاً كثيرة معي، مضينا في قصة عشق كان يُحكي بها، وسعدت من مفاجأة القدر وكم هي أنقية الهدايا التي أرسلتها الصدف لي! لكني، أريد نسيانها، هي من تبقي بقلبي، ولم أقوي علي نسيانها مهما عكفت، ووضعت ذكراها في قلبي والجانب الشاغر مني، في الفراغ الذي لا أريد أن أملأه بشيء عابر، شيء لا يُبدل بأحد.

تنهدت، وقمت لأنام، واستغرق ذلك ساعات مني لأغطس في نوم عميق لا أستيقظ بعدها إلا بعشر ساعات.

* * *

إنه يوم آخر بالجامعة، بعدما انتهيت من أمر مهرجان الأسر وعدت لمنزلي وكان ذلك الخميس، أخذت الحقنة صباح يوم الجمعة لأني كنت نسيت فعل ذلك مساء الخميس ولم يكن هناك مشاكل كثيرة في تأجيل الميعاد يوماً أو تقديمه يوماً. ذاكرت في خلال تلك الأيام وكنت قد تلقيت بعض الرسائل من أصدقائي علي موقع التواصل وعندما أفرغ أرد عليهم بالشكر مقدراً اهتمامهم، لكن، تلك الفترة هي الأكثر شعوراً فيها بالوحدة، وكنت أعود لمنزلي أنادي علي والدي ووالدتي، وبعدها استوعب أنني أقطن بمفردي فألازم الفراش والألم ينهش في عتمة قلبي حزيناً، كنت أظن أنني قادراً علي نسيان هانيا، لكن بدا أنني استعيدت كل ذكرياتي بها، وجعلتني أشعر كم كنت وحيد في غيابها وفراقها، وذهبت للجامعة واختلطت بأصدقاء لي محاولاً أن أنسي ذلك الفراغ الذي هجم علي أفكاري فجأة، ووجدت نفسي أخرج من المحاضرة بصحبة إسراء وميرنا وصديقي أحمد وخرجنا من الكلية إلي مطعم جلسنا فيه داخل الجامعة وأخذنا نتكلم طويلاً ونضحك، وكانت ضحكة ميرنا رنّانة تجذب الأذان ولما كانت تضحك كنت أضحك معها وأحسست بفرحة داخلي أنها تضحك علي كل شيء أقوله، وأحببت هؤلاء الناس التي تضحك من أي شيء، وأضافت المرح لجلستنا وكنت قد نسيت آخر مرة ضحكت بهذا الشكل فصممت علي البقاء مكاني وألا أتحرك إلا معهم حتى نهاية اليوم.

نهض أحمد من كرسيه واستأذن، وقالت إسراء:

- أنا سأذهب لمحاضرة، خذني معك.

تطلع أحمد إليها ولم يمانع باصطحابها، وقال:

- حسناً تعالي.

وقفت إسراء وقد أزاح كرسيها للخلف، ثم سارت إلي جانب أحمد وساروا بخطوات هادئة إلي أن خرجوا من باب المطعم، ولما نظرت لميرنا وجدتها تحدق بتركيز نحو أحمد وإسراء، ولم أكن لأسألها عن سبب تسمر عينيها عليهم طويلاً، لكنها كانت تراني أنظر إليها بطرف عيني، وسمعتها تقول ولا تزال عينيها مسمرة عليهم:

- كل واحد فيهم وراءه حكاية سوداء، لو يعلموا أنني أعرف كل شيء عنهم.

ونظرت إليها وأنا أحاول فهم ما قالته لكني لم أفهم شيئاً وقد بدا أن هناك رسالة مبطنة خلف كلامها، ولم اسألها ما ترمي إليه وبقيت صامتاً أنظر إليها، وكانت قد نظرت إلي يدها وقرأت اسم شقيقتها التي كتبته علي إصبعها، وظهر لي أنها غرقت في التفكير حتى شردت، فلم أزعجها وبقيت ساكتاً، ووجدتها ترفع معصمها، فرأيت جروحاً مكان عروقها، وسرعان ما نظرت في عيني فوجدتني أنظر إلي مكان العروق وقد ملئ بالجروح، فأسرعت بإعادة معصمها، وبلعت ريقها، ثم رجعت بظهرها للخلف لتجلس علي الكرسي في راحة ولفت برأسها جانباً نحو الطاولات حيث يجلس الطلاب يتهامسون في كلام لا نسمع منه سوي ضوضاء أضجت في رؤوسنا.

وقالت ميرنا:

- انظر إلي هذا الشاب الجالس مع هؤلاء الفتيات.

جعلتني أراقب أحد الطلاب الذي لا أعرفه، وكانت هذه أول مرة أراه في الجامعة، لكني لما نظرت إليه وجدته جالساً علي كرسي جلدي وبجانبه فتاة وأمامه فتاة يتحدث معها، وبدا أنه يشعر بالضيق، وقالت لي ميرنا وهي تطيل النظر نحوه:

- ظاهر عليه أنه لا يحب الفتاة التي تجلس بجانبه.

وابتسمت وأنا أنظر إليها وعدّلت علي تحليلها، وقلت:

- لِمَ لا تقولين أنه يريد التفرد بالفتاة التي تجلس أمامه وفقط؟ لا يشترط أن يشعر بالكره نحو الأخرى.

وجدت كلامي مقنعاً وزمت شفتيها قائلة: ربما. . .

نظرت في عينيها وتأملت زرقة البحر فيهما، ولما رأتني أحدق لها ابتسمت في خجل فبادلتها الابتسامة وقد امتزجت مشاعري بالسعادة والفرحة.

أضفت لها:

- أنا كنت مثله عندما كنت أجالس خطيبتي السابقة.

أومأت وقد وافقتني الرأي:

- مزعج جداً أمر الخطوبة.

- أجل بالفعل.

- لقد خُطبت عندما كنت بالفرقة الأولي وكرهت الأمر وفسخت الخطوبة.

رفعت حاجبي ولم أظن أنها قد مرت مسبقاً بمثل هذه التجربة، فسألتها:

- كنتِ مخطوبة؟.

رفعت يدها اليمني في الهواء وأضافت:

- أنا مخطوبة الآن، لكن هذا غير الأول.

تفاجئت عندما رأيت خاتماً في يدها ولم أكن قد لاحظته من قبل رغم أنني كنت أتحدث إليها في فترة لكن بدا لي أنني شُردت أكثر من اللازم. عندما علمت بأمر خطبتها لم يغير الأمر شيئاً بالنسبة لي أو لها، وكنا نتقابل يومياً في الجامعة ونتحدث ونضحك وكنت أحكي لها تفاصيل عني فتعرف الكثير عني لكني لم أعرف عنها سوي أشياء بسيطة، فهي تحب اللون الأسود، بل تعشقه، وتأكدت من ذلك عندما رأيتها ترتديه دائماً، وأدركت أن المرأة التي تُفضل اللون الأسود في ردائها هي ملكة علي عرش الجاذبية، وقالت لي كم تحب العطور ومساحيق التجميل وتعجبت لذلك فطبيعتها جميلة ولا تحتاج لأن تضع مساحيق تجميل، وكان ما عرفته عنها سطحي للغاية لم يكفيني بأن أتعمق في شخصيتها ولم أريد أن أكون كذلك وبدونا أصدقاء أمام الملأ ونشأت بيننا صداقة سريعة اعتززت بها وأثارت تساؤلات أصدقائها لكنني لم أكترث فلم أكن سوي علي معرفة سطحية بهم وقالت لي ميرنا أنه من الجيد أنني أعرف أسمائهم ولم أنساها بعد.

* * *

توضأت وصلّيت العشاء وغفوت في النوم بعد يوم طويل مررت به في الجامعة وكانت لدي محاضرتين وانتهي يومي تقريباً علي الساعة الثالثة بعد الظهر وكنت علي وشك أن أغادر الجامعة، لكني وجدت ميرنا تقول لي أنها سترحل علي الخامسة وطلبت مني أن أبقي معها حتى يحين وقت قدوم مواصلات الجامعة الخاصة فتركبها، وجلست معها وكان معنا أصدقاؤها ماريهان وإسراء وفتيات أخريات، ولاحظت كم كانت سعيدة معهم وتضحك وتحدثت بمواضيع شتي وكانت هي النجمة وموضع النظر ولفت الانتباه ومحور الحديث والكلام وتلاقي الأعين وملكت جاذبية كانت تشد لها القلوب وكنت أضحك وألقي النكات والدعابات أنا الآخر وشعرت أنني أجد نفسي معها كلما جلسنا سوياً، وهذه المرة كانت توجه حديثها أكثر مع صديقتها، وحينها راودني شعور أنها تتجاهلني وتوقفت عن الضحك والكلام وساد صمت مفاجئ بداخلي ولم أبدي أي انفعالات وسكت ولم أفتح فمي بشيء، فنظرت لي وأحست أن هناك شيئاً غريباً قد مرّ بى لكنها عادت تتحدث مع أصدقائها في الموضوع الذي كانت تتكلم فيه وكنت شارداً لا أعلم ما هو، فعادت تحدق لي، وقطبت حاجبيها متسائلة: ياسر، ما بك؟.

بدا واضحاً أن شعوري انعكس علي ملامحي وكيف تبدلت فجأة، ولما وقعت عيني في عينيها وقد أصبت بالصمت مكتفياً بالنظر إليها لأجد في عينيها تساؤلات وحيرة، ولم أجيبها، وأشاحت بالنظر عني ورأيت كم كانت تنظر لي باهتمام، لكن اختفي ذلك سريعاً لما تحدثت مع أصدقائها ولم يلتفت أحداً منهم لي وشعرت حينها أنني كنت أبدو طبيعياً ولم تعكس ملامحي شيئاً، لكن ظهر أن ميرنا تجيد قراءة العيون ولغة الجسد مثلي وربما أكثر براعة مني.

نهضت من مكاني وفكرت بإحضار شيئاً لأشربه، وتركت الفتيات يتحدثن بأمورهن الخاصة، ووقفت دقائق انتظر المشروب الساخن الذي طلبته، وعدت به إلي الطاولة التي تركت عليها أربعة فتيات من بينهم ميرنا، لأعود وأجلس بجانبها، ونظرت لِما كنت أشربه وعلي شفتيها ابتسامة صغيرة أثارت فضولي بأن أعرف سرّها، ورجعت تنظر

لماريهان لتعود إلي مجري الحديث بينهما الذي دار عن المحاضرات والمشاريع التي لم يحضر أحداً لها بعد، وقالت لها بصوت واضح كاد أن يصل إلي أذني: «ياسر سيساعدنا، هو يحفظ المنهج كلّه».

بعد ما سمعت ما قالته تركت الكوب الساخن جانباً والتفت إليها متسائلاً:

- عن أي ياسر تتحدثين؟ لا يمكن. . .

ابتسمت ميرنا ولفت برأسها من فوق كتفيها نحوي:

- بلا تقصدك.

رددت عليها بسخرية وأنا أعود لآخذ الكوب في يدي:

- آه حسناً إذا كان كذلك فنحن علي رهان إذا حصلت علي تقدير مقبول فيها.

- رهان؟!.

- أجل، رهان علي خمسمائة جنيه.

- اتفقنا.

ارتشفت مشروبي الساخن وكنت أعلم أن كلامي لم يكن سوي مزاحاً وقد رأيت ابتسامة ماريهان وقد بدا لي أيضاً أنها تقبلت مزحتي، وتابعنا كلاماً حول ذلك المشروع في مادة السلوك الإداري، وتعد من أصعب المواد في كلية التجارة المعتمدة علي الحفظ من وجهة نظر الكثير من الطلاب لكن بدا لي أنها تحتاج إلي الفهم لأنها اعتمدت علي تفسير الجانب النفسي للموظفين وتوقع سلوكياتهم وهو المجال الذي أردت التخصص فيه فكانت مادة سهلة وربما هذا ما أعطي لزملائي إيحاء بأنني أذاكرها بجِدْ.

تلقت ميرنا رسالة من تطبيق الواتساب، وبعدها أصدر هاتفها صوت رنين نجم عن رسائل كثيرة توالت وراء بعضها ففتحتهما لتقرأهم وكنت أشرب حينها ولم أسقط عيني في شاشة هاتفها، ولما انتهت من قراءة الرسائل انتفضت من مكانها وقد دفعتني بيدها عن دون قصد فسقط علي سروالي قطرات ساخنة من المشروب فنهضت من

مكاني وحدقت لها بنظرة فارغة، كنت لأسألها عن سبب اندفاعها لكني فوجئت بها تقول:

- ياسر تعالي معي.

وسألها وقد علت الدهشة علي وجهي: «ما الأمر؟».

ارتبكت ونظرة أصدقائها لها جعلتها تزداد حيرة وتوتر، وسحبتني من يدي وخرجت بى من المطعم ومشيت بجانبها وقد نسيت أمر القطرات الساخنة التي سقطت علي للتو، لكنها نظرت لي وقالت: «عذراً لم أقصد».

هززت رأسي في دون مبالاة وقلت:

- لا تهتمي.

كان هناك سلالم مؤدّية إلي مبني أسنان وكنا نسير نحوها، ووجدت ميرنا قد توقفت في مكانها فجأة وقالت وهي تلف للناحية الأخرى:

- كلا لا أريد الذهاب لمبني أسنان فتراني شقيقتي.

تساءلت إن كان لديها شقيقة بالفعل في الجامعة، فهي لم تخبرني مسبقاً عنها، وتخيلت لو أنها تشبهها وأن لميرنا شخصاً آخر يشبهها فكيف سيكون الأمر؟.

شعرت أنني أسير إلي جانب مضللة وبقيت خطواتها حائرة وتسير بى يميناً مرة وياسراً مرة إلي أن استقررنا علي مقعد خشبي اتسع لكلينا، وأرجعت ظهري للخلف فيما رأيت ميرنا تناولني هاتفها ووضعته علي ساقي وهي تقول: «اقرأ كلام إسراء لي».

نظرت لشاشة الهاتف لأقرأ الرسائل التي وصلت لها للتو:

«أري أنكِ تجالسين ياسر طيلة الوقت

ونسيتِ أمر خطيبك

يا إلهي لقد نسيت أن خطيبك لا يتصل بكِ أو يتحدث إليكِ منذ شهرين

أتعلمين أن خطيبك كان معي بالأمس

وسهرنا سويّاً

وبالنسبة إلي ياسر هل نسيتِ أنه مسلم وأنتِ مسيحية؟

إن لم تتركيه سأخبر شقيقتك وتعلمين عواقب ذلك».

توقفت بالتفكير للحظة وأنا أعيد قراءة في تلك الرسائل، وبعدها لففت برأسي إلي ميرنا لأسألها وقد خطر في بالي أمر إيمان:

- أنتِ مسيحية؟.

رفعت حاجبها وهي تتطلع إلي من الأسفل للأعلى ولم تصدقني:

- ألم تعلم بعد؟.

ناولتها هاتفها وهززت رأسي في براءة:

- كلا، لم ألاحظ ذلك.

- أيّاً كان الآن، أريد أن أرد عليها، إن رأيتها أمامي قد أصفعها علي وجهها وألقنها درساً لن تنساه.

- ميرنا الأمر لا يستحق كل هذا، وأري أن الموضوع تافهاً.

حدّقت ميرنا إلي وقد انفجرت في غضباً:

-تافه؟ أنت حقاً لا تعلم شيئاً، إسراء كانت معجبة بك، وتحاول التقرب منك وتبعدي عندما تقابلك، كانت تصفف شعرها وتأتِ لتفرده أمامك حتى تراه وتعجب بها، ولم أخبرها أنك لا تنتبه لمثل هذه التصرفات، حتى وقت أن سقطت علي الأرض وأغمي عليك فجأة طلبت منها رقم هاتفك لأتأكد أن كلامي كان صحيحاً ورفضت أن تعطيه لي رغم أنها كانت تحتفظ به.

أردك تماماً أنني لم أركز في كل ما قالته وقد شُغل بالي كله بأنها مسيحية وحينها أردت سؤالها عن إيمان، ومن هي إيمان، وكيف لم ألاحظ ذلك، وما أمر خطيبها وعجّت الأسئلة بداخلي حتى كدت أنفجر وأردت إقناعها بأن الأمر لا يستحق، وسألتها حينها:

- ما أمر خطيبك؟.

أشاحت بيدها وراحت تنظر بعيداً في الفراغ عابسة:

-لا أعلم له أمراً، لم نتحدث منذ فترة، كما قرأت في الرسالة وكل فترة أري فتاة من الجامعة تخبرني أنها كانت معه.

- وكيف تسكتين علي هذا؟.

هزّت رأسها وقالت في صوت ملؤه الحزن:

- أنا أعاني من مشاكل كثيرة أهم منه.

ودفنت رأسها بين يديها، وأدركت كم أن كلامها صحيح وبدا لي أن هذا الوجه الضاحك المبتسم دائماً يحمل خلفه كثيراً من الأمور الغامضة التي لم أكشفها بعد، وأدركت أكثر أن النساء الأكثر جمالاً أقلهم حظاً. نظرت إليها مدركاً ما تشعر به، ولزمت الصمت لأني وجدتها فجأة ترجع للخلف وقد امتلأت عينيها بالدموع وهمست:

-أريد أن أضع ثقتي بأحد ولا يخذلني، لكنهم دائماً ما يخذلوني لدرجة أنني إذا رأيت أحد يعاملني بحسن انتظر منه بأن يخون ثقتي.

لم أتوافق مع كلامها وصححت لها:

- ستجدين بالتأكيد أحداً لتكسبي ثقته.

ونظرت لي وقالت:

- أراك تهذي بالكلام، لذلك كف عن الحديث أفضل لك!.

رأيت أن شرح وجهي نظري ستزعجها فأطرقت الصمت ونظرت أمامي إلي الفراغ فيما أخذت تمسح دموعها بطرف معصمها، ووجدت نفسي أفكر بهستيرية ورفعت يدي لأقربهما منها لكنني تراجعت وبقيت يدي في الهواء وكنت متردداً وعدت أقرب يدي مرة أخري من وجهها وكدت أجن لرؤية دموعها ولتصرفها بحساسية ورجعت يدي جانبي ونظرت أمامي وكانت تراني بطرف عينيها وتعض علي شفتيها لتكتم ابتسامة كادت أن تفجر لثمها من السعادة، ولم أري تلك الابتسامة لما لفتت لأنظر لها ووجدتها تحدق في عيني دون أن تفلت أنظارها ورأيتها جراءة منها وحدقت في تينك عينيها وكانتا تترقرق كأنما أشاهد لآلئ وابتسمت وقلت:

- ما رأيك بأن نكف عن الحديث سوياً؟.

ضحكت ضحكة قصيرة لم يصدر لها صوت، ثم قالت:

- ياسر لا تربي ذقنك، الذقن الطويلة لا تليق بك.

تحسست ذقني بطرف أصابعي وقد تركتها تنبت لثلاث أيام، ثم قطبت حاجبي وقلت مازحاً:

- أنتِ عميقة جداً.

أطلقت ضحكة اشتقت لسماع صوتها منها، وقالت:

- أنا أهتم بالشكل فعلاً وسطحية جداً.

وتذكرت حديثها واهتمامها بمساحيق التجميل والعطور والملابس وقلت:

- سأحلقها عندما أعود للبيت حسناً.

اعتقدت أن الأمر كاد أن ينتهي ويتوقف عند هذه النقطة، وبمجرد أن أكملنا حديثنا نهضت ميرنا باحثة عن إسراء وعن بقية أصدقائها ولما رأتها في المطعم حيث مكان ما تركناها، وواجهتها وصفعتها قبل أن تنطق بأي شيء وكان هذا أمامي وكنت هادئاً وملكت نفسي وانفجرت ميرنا فيهم وصاحت وتصرفت بغل وحقد لم يسبق وأن رأيته ولم أتوقع أن يصدر منها، فأمسكتها من ذراعيها وشددتها بعيداً عنهم ودفعتني بعيداً وقد أوقدت عينيها شرارة من الغضب، وارتجف جسدي من نظراتها الحادة لكنني عدت اقترب منها لأمسك بذراعيها وأحكمت يدي عليها فنظرت في عيني وصحت فيها بأن تتوقف وتدرك ما تفعله، وسكتت فجأة ونظرت حولها تتأمل كم الفضائح التي ارتكبتها في الجامعة، ولكنها سكتت لأجل أمراً آخر وعندما غادرنا المكان أخبرتني أنها لا تهتم بالناس ولا بالطلاب ولا بالتعليقات التي قد تسمعها من أحد وأنها ستنتقم بطريقتها في أعز ما تملكه إسراء، وأخبرتني أن إسراء معجبة بخطيبها وحينها لم أفهم ما قد تفعله ميرنا، وانتظرت إلي أن أتت الساعة الخامسة وما بين تلك الفترة كنا جالسين صامتين لا أحد فينا يتكلم أو ينظر للآخر وكنت أشعر بالأنس في صمتها وكلامها، وفي غضبها وصفائها وكل أمزجتها ولم تمانع بأن نكف عن الحديث سوياً. . .

عدت للمنزل وأول شيء قمت به أن حلقت ذقني وعملت علي أعمال منزلية في المنزل إلي أن أرهقت وفتحت موقع التواصل الفيسبوك وكتبت عليه منشور وذكرت فيه حساب ميرنا وكان محتواه: «ميرنا؛ من أحسن الناس التي تعرفت عليها في الجامعة،

الضحك من القلب والصحبة الحلوة؛ عصبيتك ومزاجيتك وغضبك وفرحك وكلك علي رأسي كالتاج؛ أنتِ جميلة في كل حالاتك، فليحفظك الله ويحميكِ من كل شر وليدوم الصداقة بيننا؛ آمين»، ولما رأت ذلك المنشور كتبت لي كلمات نمّت عن فرحها وتقديرها لما قلته عنها وقالت لي أنني أسعدتها في وقت حزنها، وحينها كلمتها في الرسائل وأخبرتها كم أحب ضحكتها وإذا نامت في يوم حزينة لا تغمض لي عين.

بعدئذ، صليت ونمت، وراودني حلماً غريباً، وفي ذلك الحلم كنت أري ميرنا تتقرّب مني إلي أن انعدمت المسافة بيننا وكانت أنفاسها قريبة من أنفاسي ونظرت في عيني طويلاً قبل أن تطبع قبلتها علي شفتي، وأفقت من ذلك الحلم، ونهضت من السرير وكنت نشيطاً ولم أتكاسل، ونظرت إلي نافذة غرفتي لأجد أن الشمس لم تشرق بعد، وسمعت آذان الفجر، فأدركت أنها كانت رؤية، ورحت أصلّي الفجر وغفوت في النوم، ولم استيقظ سوي علي الساعة الثامنة صباحاً وكان ميعاد المحاضرة الساعة التاسعة، وقبل أن أقوم بغسل وجهي أو بدأ طقوس يومي الصباحية فتحت هاتفي وبحثت عن تفسير الأحلام وكنت أؤمن بها أكثر لما قرأت عن قصة سيدنا يوسف، ورأيت أن القبلة أعنيت أنه قد ينشأ حب من الفتاة التي قبّلتني، وقد لا ينشأ ولا ضرر في ذلك، ووجدت تفسيرات كثيرة للقبلات في الأحلام ولكنها لم تتفق مع الرؤية التي حلمت بها لذا آمنت بما قرأته.

فوجئت بشاشة هاتفي تضيء باسمها واتصلت بى، فأجبتها، وبدا صوتها متعباً وقالت:

- ياسر احضر معك نقود كافية، أريد أن أذهب للسينما، لن أحضر محاضرة الساعة الواحدة.
- ميرنا أنتِ بخير؟.
- كلا، سأخبرك عندما أراك بالجامعة.

كنت متشوقاً لأعرف ماذا حدث أكثر من كوني مهتماً بالأمر، ولم يكن فضولاً كما ظننت، لكن تلك الفتاة قلبت حياتي رأساً علي عقب وأكثر ما أعجبني أنها كانت تأتِ لي بأخبار وأحداث غريبة كل يوم وما شعرت بعاصفة من المشاكل والأحداث

المتتالية إلا عندما تعرفت عليها ولم يزعجني ذلك أبداً وقد أدركت للتو أن حياتي كانت هادئة جداً ومملة للغاية وجاءت هي وأحدثت بها ضجيج أذهلني وأخرجتني من حياة مواقع التواصل حتى تغيبت عنه.

لما وصلت للجامعة حضرنا سوياً المحاضرة الأولي ولم تكن تتكلم مطلقاً، ولما انتهينا أخذت بيدي وسحبتني علي سينما كانت قريبة من الجامعة وكان هناك ثلاث أفلام عربية أصابتنا الحيرة أمامهم وماذا سنشاهد، وقالت لي: «أريد دخول فيلم الفرح »، نظرت لها بغرابة وأنا أقول:

- هناك فيلم آخر كوميدي، ما رأيك بأن نشاهده سوياً؟.

لم يعجبها الاقتراح مطلقاً وعبرت عنه بضيق:

- أريد فيلماً كئيباً لأدخل وابكي دون أن يلاحظني أحد، الفيلم الكوميدي سيجعلني أضحك.

حاولت أن أعقل كلامها وأرتبه مع الضحكات التي كنت أسمعها منها وهززت رأسي بقوة وأنا اسألها:

- أنتِ تمزحين؟.

قد بدا لي أنني لم أفهم ما تريده، وألحت علي، ولأن النقود كانت معي أرغمتها علي الدخول لفيلم كوميدي بدور العرض وشاهدته معها للمرة الثانية وقد سبق وأن رأيته. كنا بالداخل بمفردنا تماماً وبقية كراسي السينما فارغة، وقد ظننت أننا دخلنا السينما لنشاهد الفيلم لكنني وجدتها تتكلم معي وعينيها مسمرة علي شاشة الفيلم، ولم ننتبه للفيلم أبداً وكنا ننظر لبعض وتحدثنا بأمور شتي، قالت لي أنها لما ركبت حافلة الجامعة تركت حقيبتها علي الكرسي الذي تعتاد أن تجلس عنده، وقالت أن إسراء تسكن قربها فتركب معها نفس الحافلة، لما نزلت ميرنا من الحافلة وكانت تتحدث معي إلي أن تنطلق الحافلة بها، في ذلك الوقت فتحت إسراء حقيبتها وسرقت نقوداً منها، ولما صعدت ميرنا وجدت حقيبتها مفتوحة، توقعت أن تقول لي أنها علمت من السارق، وقالت لي بالفعل أنها كانت تعلم أن إسراء هي من فعلت ذلك وذهلت لما قالت لي أن هذه ليست

المرة الأولي وأنها تتركها تأخذ نقوداً منها لأنها تعود بعد شهر وتضع النقود في حقيبتها مجدداً، ثم أخبرتني أنها وقتها كانت أخذت من والدها مفتاح الخزنة لتأخذ مصروفها منه كما يشاء لها وترك لها الحرية بأن تأخذ الآلاف إذا أرادت وأدركت أنها من عائلة غنية وفاحشة الثراء، وبعدها قالت لي أن والدتها علمت بالأمر ولم تستطيع الكذب عليها عندما سألتها عن النقود واعترفت بما حدث ومنعتها من أخذ المفتاح أو نقوداً من الخزانة وتشاجرت معها ونزلت من الشقة إلي بيت خالها بعد أن طردتها والدتها من المنزل، والآن هي قد جاءت من منزل خالها وأعطاها القليل من المال وأرادت أن تخرج وتترك الجامعة وكل من يذكرها بأصدقائها، وعندما سألتها إن كانت إسراء من أصدقاء الجامعة فأخبرتني أنها صديقة قديمة من المدرسة وتعرف عنها مصائب كثيرة وتذكرت جملتها «كل واحد فيهم وراءه حكاية سوداء، لو يعلموا أنني أعرف كل شيء عنهم » وأدركت لحظتها فقط كم كانت محقة في كلامها، ونظرت في عينيها وقد غبت عن الحديث وعن كلامها وهمساتها وقلت:

- أري الدموع في عينيكِ دائماً يا ميرنا، حتى أنتِ لا تضحكين في الصور من قلبك.

ابتسمت ميرنا ابتسامة مصطنعة بذلت جهداً لترسمها علي شفتيها وهي تخفي جانب آخر خلفها وقالت:

- أعلم هذا.

لم أظن أنني قد أقع بالحب مجدداً، وبهذه السرعة وقد تخطيت كل الحواجز وقد أتاني هواها وصادف قلباً خالياً فتمكنا، ووقتها لم يخطر ببالي خطيبها أو ديانتها أو مشاعرها نحوه ونسيت كل ذلك ومضيت وأبقيت اسمع لخفقات قلبي التي تدق في عنف حتى كادت أن تسمعها لولا صوت الفيلم لفُضح أمري.

تمتمت متسائلاً:

- ميرنا هل عندك أوراق تكتبين فيها خواطرك؟.

- أجل.

وأضافت: موجودين تحت فراشي، عندما تأتِ الخادمة لتنظف الشقة سأخرجهم وأجلبهم لك.

بعدما انتهي الفيلم خرجنا من السينما وأدركت أن مشاعري تتحرك نحوها شغفاً ولم يكن ذلك في صالحي وقد يؤذيها، وجلسنا سوياً علي رصيف الجامعة رافضة أن تدخلها، ونظرت حولي قبل أن أجلس جانبها ولم أمانع قط. نظرت ليدها ونبّهت نفسي أن تلك الفتاة لرجل آخر ولا يوجد مبرر لما أشعر به نحوها، واعتقدت أن الرؤية قد تكون صدقت، وبالفعل صدقت لأن التفسير أشار أنه ليس من الضروري أن تحبك تلك الفتاة.

لفت رأسها إلي وهي تسألني:

- هل ستذهب لحفل خطوبة ماريهان؟.

دعتني ماريهان بالفعل منذ شهر تقريباً علي حفل خطوبتها ودعت معي ميرنا وأحمد صديقي لأننا الأقرب معرفة لها في الجامعة ولا تعرف سوانا، وحينها اتفقنا جميعاً أن نحضر حفل خطوبتها، ووافقنا، وجاءتني الآن ميرنا لتذكرني بالميعاد، وسألتها:

- متى؟.

- يوم الخميس القادم في مركب علي النيل، أنا أسألك لأعلم ما لون البذلة الذي سترتديها في ذلك اليوم.

جمعت صور صف البذلات الذي عندي وكان كلهم باللون الأسود، وفتحت فمي لأجيبها وما كان أن سمعتها تصيح في حماس مفاجئ وانتفضت بجسدها من مكانها ووجّهت جسدها نحو سيارة سوداء موديل السنة وكانت ماركة «الدودج» قد توقفت أمام الجامعة وخرج منها طالب مقيد معنا بالجامعة، فلما رأيته ميرنا توقفت في مكانها وأخذت تراقب السيارة من بعيد إلي حين أن دخل الطالب الجامعة واختفي من أنظارنا، فدنت ميرنا نحو السيارة وهي تفتح ذراعيها كأنما تريد أن تضم السيارة إلي حضنها، فضحكت في مكاني وقمت لأقف أمام السيارة وقلت:

- أنتِ مجنونة.

نظرت لي بجدّية وقالت في برود:

- أنت لا تعرف ماذا تمثل السيارات بالنسبة إلي.

ولمعت عينيها وقالت: خاصة هذا النوع.

لم أري قط فتاة تحب السيارات مثلها.

* * *

كان ذلك يوم الاثنين عندما أخذنا قسطاً من الراحة من المحاضرة الأولي، فخرجت مع ميرنا وأحمد وماريهان لنقف نتحدث سوياً، وقالت ميرنا في أسف وهي تنظر لماريهان:

- أخشي أنني لن أستطيع المجيء لحفل خطوبتك.

فتحت ماريهان فمها شاهقة وتثبتت في مكانها للحظات كالشجرة، فوضعت ميرنا يدها علي فمها وهمست: أنا آسفة. . .

وقفنا أنا وأحمد إلي جانب بعض نشاهد هذا المشهد الدرامي المقتبس من المسلسلات التركية. دمعت ماريهان وهي تقول:

- كيف ذلك؟ أنا عددت كل شيء.

قاطعتها ميرنا:

- لقد أخبرتك أمس أنني سأعجز عن حضور خطوبتك، أنتِ تعلمين السبب.

لا تزال الدموع في عيني ماريهان ولم أفهم ما سبب تلك الدموع سوي أن النساء أكثر تعبيراً عن مشاعرهم عن الرجال. بقينا أنا وأحمد ننظر لهم حتى شعرنا بالملل من أعلانا لأسفلنا، وتنهدت، إلي حين انتهوا، وعانقتها ميرنا لتخفف دموعها واعتذرت لها، فسألهم أحمد مقاطعاً:

- ميرنا ما مشكلتك؟.

رجعت ميرنا للخلف وقد تركت ماريهان، ونظرت إلي أحمد قائلة:

- خطيبي عاد من السفر ولما أخبرته بأمر خطوبة ماريهان قال لي لن أذهب إلا معه.

- وما المشكلة!.

-المشكلة أن ماريهان قالت لي أنه لا يوجد مكان للحجز في القاعة، والحجز بالأسماء، ولا مكان له فلن أذهب.

* * *

لما علمنا بمشكلة ميرنا وحاولنا أنا وأحمد أن نحلها مع ماريهان، لكن ماريهان ظلت تناهد وعاندت ونفت أنه يمكن أن تدخل ميرنا وخطيبها فلا يوجد سوي مكان واحد محجوز باسمها، فاعتذرت لها ميرنا عن المجيء، ويومها بعدما انتهينا من المحاضرة الأولي ذهبت ماريهان لمنزلها بسيارتها كالعادة، فهي قليلاً ما تجلس معنا بالجامعة، وهذه الفترة كانت ترتب أمورها وتقوم بتحضير فستانها، وكان كل تفكيري في خطيبها الذي عاد من السفر، ولازلت أري أنني لم أتعمق بشخصية تلك الفتاة بعد، وهناك أموراً كثيرة لا أزال أعلمها عنها، ولما سألتها عن أمر خطيبها لم ترد وبدا أنها لا تريد التحدث بهذا الشأن، ولما غادر أحمد بقيت جالسة معي في مطعم الجامعة، وربّتت علي يدي بقوة فجأة وقد نهضت من كرسيها قائلة:

- تعالي معي.
- إلي أين!.

أخذتني إلي مطعم خارج الجامعة، وكان المطعم يبيع الأطعمة والوجبات السريعة، ووقفت جانبي وهي ترفع رأسها لتنظر لي: «سأطلب طعاماً وستدفع أنت».

للتو توليت أمر المصروف خاصتها وكأنني والدها الثاني، فلم أناقشها بهذا الأمر واعترض، وكانت قبل ذلك تمتنع أن يدفع لها أحداً أي شيء، وجلسنا علي طاولة أمام بعض، وملت نحوها ونظرت لطعامي وقد لاحظت شيئاً: لِمَ تفصل الصلصة عن البطاطس؟.

ابتسمت وأنا أنظر لها وقلت:

- لا أستطيع أن أكل إلا وإن فصلتهم.

تنهدت ميرنا، وقد راودها أفكاراً كثيرة ومشاكل شتي في ذهنها شعرت أنها تريد أن تبوح بها، وسألتها: «ما بكِ؟».

لما نظرت لي وكنت أحدق لها انتظر إجابة منها، وبدأت تقول:

- لدي مشكلة.

وأسرعت بالقول ونظرت لها باهتمام:

- ما هي؟.

- خطيبي، عندما عاد تشاجر معي. . .

قاطعتها:

- لحظة كيف كان يخرج بصحبة إسراء وبنفس الوقت عاد من السفر؟.

اتسعت عينيها وقالت في غضب:

- خرج معها وبعدها سافر، ياسر لا أتحمل اللحظة التي تتغابي فيها!.

أضافت لي أن خطيبها في الفترة الأولي من الخطوبة كان يتغزّل فيها بالكلمات ويعبر عن مشاعره كثيراً وقالت أنها كانت تصدقه وأحبّته، وبدأ يسافر تبع عمله ويغيب طويلاً ويقطع اتصالاته بها، وكانت تتصل به كثيراً ولم يكن يجيبها إلا قليلاً ولما تعاتبه لا يعطيها قدراً من التقدير والاهتمام، وفقدت مشاعرها نحوه ولم تعد تحبه. آخر مرة رجع فيها من السفر زارها في منزلها وأمسك بهاتفها وفتحه ليمسح كل صورها وتشاجر معها بشأن ملابسها الضيقة، كانت تصرخ وتغضب وتلقي بأي شيء أمامها ولم يستطيع السيطرة علي غضبها وترك لها هاتفها فارغاً من الأرقام والصور ومسح كل رسائل أصدقائها، وقالت أنه لا يلاحظ تلك الأشياء ولو كان لاحظ لكان أعترض علي صداقتنا، لكنه فعل ذلك بدون سبب واضح، ونظرت لها وقد أصابتني سهاماً من الحزن وعصفت نبرتها بقلبي وكاد أن يخفق بشدة، وغيّرت الموضوع فجأة:

- لقد اعتذرت لماريهان عن حضور حفل خطوبتها.

فتحت فمها من الدهشة، فيما تابعت:

- أخبرتها أن أهلي سيأتون زيارة لي بنفس يوم خطبتها، ولن أستطيع الحضور، وأردت أن تذهبي بدلاً مني.

شعرت بجسدها يرتجف ولم يكن هذا من البرد، وقد صحوت فيها مشاعر كادت أن تنسي أنها سوف تشعر بها مجدداً.

سألتني بنعومة:

- لِمَ قد تفعل هذا؟.

نعومة صوتها جعلتني أشعر بالحميمة، وهمست:

- أريد أن أراكِ سعيدة دائماً، لو أمكنني أخذ كل الحزن في عينيكِ وأخفف عنكِ، فهل تسمحين؟.

نظرت إلي عيني، وكانت كلماتي صادقة نبعت من داخلي وكنت أشعر بها وجاداً في كل ما قلته، وترددت نظراتها نحوي، ثم أخذت نفساً عميقاً، وقالت:

- أتعلم شيئاً؟ كنت أفكر منذ يومين بأن أقص شعري تماماً، وأردت أن أكون صلعاء.

رفعت حاجبي:

- صلعاء؟ كيف فكّرتِ بذلك؟.

أومأت وقد ابتسمت قائلة:

- أجل. . . فكرت بأن أكون ولداً، ولم أحب حياتي كفتاة قط.

- لديكِ مشاكل مع الرجال؟.

هزّت رأسها نافية:

-كلا الأمر ليس كذلك، بلا أنا أحب فكرة الخطوبة والزواج ولا مشكلة لدي مع كل هذا، ولكني. . . لا أعلم. . . أردت الشعور بذلك وفقط.

لم أفهم ما ترمي إليه، فنظرت لها وكست الدهشة ملامحي، فقالت:

-لِمَ الرجال تأخذ حريتها في كل شيء؟ ترتدي ما يحلو لك وتتزوج مرة واثنين وثلاثة ولا يطلق المجتمع عليك لقب عانس أو مطلق، والأمر يبدو عادياً إذا طلقت لأنك رجل! تصاحب فتاة وتخرج معها ولا يقول لك أحد شيئاً، لكن لو فتاة فعلت ذلك فهي في مجتمعنا عاهرة!.

اتسعت عيني دهشة وقاطعتها:

-تعلمين زميلك الذي أسّس الأسرة؟ تعرفيه أليس كذلك؟ أتعلمين أنه يصطحب فتيات كل يوم في سيارته؟ ويسمي بالعاهر أيضاً! الأمر متساوي بين الرجل والمرأة لكنكِ تنظرين للأمور من جهتك.

ساد صمت ولم نسمع حولنا سوي صوت همس الزبائن وتوصيل الطلبات، وقالت:

-خطيبي الأول تركني لأنني رفضت فكرة الإنجاب، كنت أحبه، لكن لم أحب الأطفال، وتشاجرنا حتى تركني، وأحياناً أشك في نفسي.

نفيت ذلك بقوة وأنا أقول:

- أنتِ طبيعية يا ميرنا، صدقي ذلك، لكن يبدو أنكِ تعانين من مشاكل نفسية.

للحظة لم أدرك أن حديثي معها لامس قلبها ومشاعرها وحزنت، وقد كسا وجهها بمظهر الأسى، وكانت تشيح النظر لكنني لم أنزع أنظاري من عليها وكنت في كل مرة أنظر إليها أشعر أنني أتطلع لملامحها للمرة الأولي.

مالت برأسها للأسفل وهي ترفع يدها نحو صدرها، لتمسك بسلسلة حديدية أثقلت بصليب خشبي رُسمت أطرافه الأربعة وحدّدت بحرفية من قِبَل صانع يدوي ماهر، وقالت:

-أتعلم شيئاً؟ هذه السلسلة كانت ملّكاً لأختي إيمان، لكنني لم أعد أرتديها منها عندما ماتت لأني حزنت وكانت تذكرني بها، ولما كنت أراك تقترب مني وتتحدث معي كثيراً كنت أشعر بالقلق نحوك، ولم يخطر ببالي أنك لا تعلم أنني مسيحية وارتديت السلسلة حتى تراها لكن لاحظت بعدها أنك كنت تستمر بالسؤال والحديث معي، ولم تهتم للديانة، ربما، لأنك أردت أن نكون أصدقاء، ليس كبقية الرجال التي عرفتهم، لقد عرفت رجالاً كثيرة أفقدوني صوابي وكرهت أسباب الحياة بسببهم وبسبب تصرفاتهم.

فتحت فمي شاهقاً، ومهما كنت أحاول أن أخفي الدهشة عن ملامح وجهي لم أجد سبيلا، ليس لأجل ما تحمله السلسلة، ولكن، كيف لي لم ألاحظ هذا؟ لقد فقدت تركيزي بالكامل وأصبحت أشرد بذهني كثيراً.

رفعت ميرنا معصمها لتظهر جروح عند عروقها وقالت: حاولت الانتحار، لكن عائلتي أنقذتني.

ظلت تتحدث بهذا الموضوع كثيراً، وقالت أنها تحب وضع مساحيق التجميل لتشعر بأنوثتها وكلمات الرجال لها تسعدها، والغزل يجعلها تطرد تلك الأفكار من رأسها، وابتسمت لما قالته، وأنها تتوهم بفكرة ليست حقيقية، ودخلت للحمام فنزعت لون طلاء الفم ومسحت الكحل ونزعت عدساتها اللاصقة ولما خرجت رأيتها بإطلالة غريبة وجديدة، وكان لون شفتيها الحقيقي أبيض ولون عينيها بنّي وبدت متعبة وقالت أنها تحب نفسها بهذا الشكل، وكم أن حياتها حزينة وتغدق بالمشاكل، حكت لي مشاكل عن والديها وأختها ومرضها وكيف عانيت وقتها، وعلمت حقاً أن خطيبها هو مشكلة صغيرة في بحر المشاكل التي تعيش فيها.

* * *

جاءت يوم الأربعاء وهي مبتسمة، نظرت إليها أنا وماريهان وسألناها عن السبب، وتمتمت: لقد فسخت خطبتي.

ولعلّي أندهش لِمَ تحلو النساء بعدما تترك الرجال! كانت مشرقة ومثيرة، ولم يسبق وأن رأيتها بهذه الإطلالة، وكان وقوع عيني في عينيها كالسحر الأسود وتساءلت كيف تفعل بى هذا.

طلبت مني أن آتِ معها الخطوبة لنحتفل سويّاً، وطلبت أيضاً أن ارتدي بذلة سوداء وقميص أسود وربطة عنق ذهبية وأنه الطاقم المفضل لديها. وفي يوم الخطوبة قلت لماريهان أنني سآتي وبعدها أجلس مع أهلي، والحقيقة أن أهلي بالسعودية ولن يأتوا مصر أبداً وكانت مجرد كذبة حتى تذهب ميرنا. كنا في سفينة ضخمة احتفلنا بالخطوبة ومررنا بمواقف مضحكة كثيرة وقد خلعت ميرنا حذائها أربع مرات من كثرة الحركة والرقص وقد

آلمها، وبعدما أكلنا صعدنا للطابق الثالث من السفينة وكان السطح، فلم يكن فوقنا سوي نجوم الليل، ولم يكن الأمر رومانسياً أبداً فقد ظلت ميرنا تشتكي من الحذاء وبين جمل شكواها تبدي إعجابها بلون البذلة، فأبتسم، وتركتها للحظات لأجلب أحمد وبقية أصدقائنا من الطابق الأول، لكنهم كانوا لا يزالون علي طاولات الطعام، فصعدت بمفردي وقد وجدت ميرنا تقف بمفردها وجال نظري حولي لأجد أننا لسنا بمفردنا، ولم يمنعني ذلك بالتغزل في فستانها الزهري، لكني سرعان ما أوقفت الغزل وقاطعتني تقول:

- أتعلم ما رأيته للتو؟.

سألتها بنعومة وأردت خلق جوّاً من الحميمة بيننا: ماذا؟.

عضّت علي شفتيها وقد شعرت بالميل إليها أكثر مما سبق، وابتسمت.

- شبحاً.

تراجعت للخلف وقد انتفضت من مكاني كأن صاعقة ضرب بظهري، وتابعت ميرنا:

- كانت سيدة ترتدي ملابس سوداء وقصيرة ونظرت لي بعينين واسعة ونادت باسمي.

رأيت ابتسامة واسعة علي وجه ميرنا، لطالما كانت تحكي عن الأشباح والجن، وأراها سعيدة بهذا المجال من الأحاديث حتى أنها كثيراً ما تتطرق إليه وتحكي لي عن أموراً تراها وأصوات هامسة تسمعها جانب أذنيها قبل أن تنام وعندما تكون بمفردها وتستمع بطعامها في عدم وجود بقية أفراد عائلتها، ولا ترمي للموضوع بالاً بل أنها تجد في هذا الأمر سعادة، وقالت لي سابقاً في مرة كنا نجلس نأكل سوياً أنها أرادت أن أعطيها رابطاً بأفلام رعب لكل السنوات السابقة لكني عجزت عن الرد بالمعرفة وقلت لها لا أفضل هذا النوع من الأفلام، وبالأحرى كنت أقصد أنني لم أعد أفضله من حين ما رأيته بأم عيني في العين السخنة والإسكندرية لكنها ضحكت في أرجاء المطعم بضحكة رنّانة جعلتني أتلفت يميناً ويساراً لأري العيون الغريبة تتطلع إلينا وكأننا ارتكبنا الحرام، فوضعت يدي علي فمها، وهمست: «حسناً أنا أحبها بالفعل لكن أسكتِ» وما كان ردّها علي سوي

أنني جبان وخائف من هذا العالم، العالم الذي لا أعرف عنه أي شيء لكن في كل مرة يبدو لي أنه مخيف.

فقلت مازحاً:

- لِمَ أراكِ مبتسمة! هذا ليس حقيقياً أليس كذلك؟.

هزّت رأسها بقوة مؤكدة وقالت: بلا.

ارتجفت وقد راجعت كل المواقف التي مررت بها خلال سفري مع أصدقائي، ولم أرد أن أخبرها بها حتى لا أري أشباحاً، وقلت في انزعاج:

- حسناً غيّري الموضوع، هناك أشياء كثيرة قد نتحدث عنها، الأكل الذي أكلناه للتو مثلاً.

زالت ابتسامتها فجأة وقالت:

- لا تذكر حرف النون، فأنا لم آكل شيئاً، لقد أكلت كل طعامي.
- أحسست أنكِ تريدين أن تعزمين علي لكنك كنتِ خجولة.
- فعلاً!؟.

نظرت إليها مطولاً وقد ابتسمت، وأدركت أنني لا ابتسم إلا معها ولا أضحك من قلبي إلا عندما تضحك، وقد لاحظت ذلك.

احمرت وجنتيها خجلاً وقد حدّقت لها حتى أيقنت أن نظرة العين أجمل من ألف رسالة، وقد انطفأت قناديل الحب من ممرات كانت بالأمس مشرقة فاكتسحتها ظلمة موحشة، ذبلت ورود الشوق، والعشق زاهي بهواجس مضطربة وثورة الظنون أشعلت فتيل حرب ضروس دارت رحاها بخفايا قلوبنا وأصبحنا علي نقيد حارسي وأنا من عالم وهي من عالم آخر وجمعتنا الأقدار سوياً وكان الحب أقوي منّا.

ملت برأسي نحوها ونظرت في عينيها هامساً: «أشعر برغبة في ضمّك وإخفاءك من كل الأعين».

وكنت أغار من غريب يري عينيها صدفة فيُغرم.

جن جنون نبضات قلبها ومن حسن حظها أن هناك ناس بالطابق وكنت لأعانقها، لكنني حافظت علي المسافة بيننا، وسألتني:

- سنبقي أصدقاء؟.

لم أؤمن يوماً بالصداقة بين الرجل والمرأة، لكنني رأيت في عينيها ارتجاف وكأنها تخشي مخططات المستقبل خلاف الديانة، رغم ذلك أومأت لها رأسي مؤكداً:

- سنظل أصدقاء. . .

* * *

كنا قد انتهينا من ارتشاف كؤوس العصائر وانتهت حفلة الخطوبة قرب العاشرة مساءاً وغادر كلٍ منّا السفينة في العاشرة والعشر دقائق ورجعت لمنزلي وأنا أذكر روعة الحديث والمشاعر التي أحسستها معها، وابتسمت وغفوت في نوم عميق صحبته راحة كنت علي وشك نسيانها.

عادت ميرنا لمنزلها وغيرت ملابسها وأخذت حماماً ساخناً ثم أغلقت نور غرفتها وجلست علي سريرها وكانت الغرفة مظلمة تماماً لا تسمح لها برؤية شيء.

انفجرت بالبكاء.

* * *

صباح يوم الجمعة كنت أعتاد علي أن استيقظ متأخراً لأذهب إلي صلاة الجمعة أول شيء وكنت أحافظ علي صلاة الفجر إلي جانب ذلك، ولم أشعر بالجانب الديني الآخر لميرنا، فلم أكن اسألها عن الكنسية إلا عندما تخبرني أنها ستذهب إليها، حينها كانت تقوم بالجلوس مع الأيتام والأطفال وتقوم بالتبرعات، وكنت سعيداً للأعمال الخيرية التي تقوم بها لكني لم أفهم نظام الكنسية وكنت أتساءل دائماً كيف يدخل الأطفال للكنسية وتجلس معهم، وظننت أنه مكان مخصص لإقامة الطقوس الدينية فقط فنفت ذلك. صحيت يوم الجمعة لأغسل وجهي وأتوضأ واتصلت بميرنا، ستّة مكالمات ولم تجبني فظننت أنها لا تزال نائمة، وأخذت الهاتف معي ونزلت.

ميرنا كانت وقتها بالكنسية، وكانت الكنسية فارغة صباح يوم الجمعة ولما دخلت لم تري أحداً، سوي البابا، جالت بأنظارها حولها وتأكدت أن الكنسية كلها فارغة، وتقدمت بين مجالس العبادة وكانت صفوفاً من الخشب الطويلة علي جانبيها، ومرت من بينهم حتى صعدت علي المنصة، وكان البابا واقفاً وقتها منتظرها، حدق إليها وابتسمت ابتسامة هادئة وقال:

- لقد جئت كما طلبتِ مني، ما الأمر؟.

أحسّ أنها مرتبكة وتخفي أمراً ما، فأخفي ابتسامته، وقال:

- تكلّمي يا ابنتي.

كان صوته يبعث بالطمأنينة الكافية لجعلها تتكلم، فتمتمت:

- أنا في ورطة، ولا أجد أحد لأتحدث معه سواك.

أدرك ذلك وتأكد من شكوكه، وسألها: «ما هي؟».

لقد فكرت كثيراً قبل أن تأتِ إلي هنا وتتحدث بهذا الشأن، ولم تكن لتأتِ، حولت نظرها عن البابا في تردد، وقالت:

- أنا أشعر بمشاعر الحب تجاه شخص. . .

كادت أن تقول اسم ياسر، لكنها توقفت عن الحديث وأخذت نفس عميق، وأضافت:

- شخص لا يناسبني.

تنهد البابا وقد أصابت شكوكه أموراً أخطر من التي ظننها، وقال:

- حسناً أخبريني ما المشكلة.

أقلقها الصوت الرجولي الخفيض القادم من عالمها، ذلك العالم الذي لا يناسب حياة ياسر. قالت: إنه مسلم.

رسم البابا الصليب علي جسده وهو يقول: بأسم الرب.

ثم نظر إليها وقد اتسعت عينيه من هول المفاجأة وسألها:

- هل جري بينكم شيئاً؟.

- كلا، كلا.
- أنتِ واثقة من ذلك؟.

أومأت ميرنا وهي تنظر للبابا:

- أكيد.
- حسناً يا ابنتي، حاولي أن تبتعدي عنه وتقللي لقاءك به، لا تخسري دينك لأجل الحب.

دمعت عينيها وكادت أن تبكي، ونظرت إليه متسائلة:

- لماذا أنا؟.

هز البابا رأسه وقال ليطمئنها:

- هذا امتحان من الله ليختبر إيمانك وتمسكك بدينك.

غادرت ميرنا الكنسية وهي تعلم أنها لن تقوي علي السماع بالنصيحة وكان الحب أقوي منها، وغلبت عليها مشاعرها، وأتت بعدها في يوم الأحد لأقابلها، وكان معي لها مفاجأة، فتحمست لها وابتسمت، وأخرجت من جيبي مفتاح سيارة ماركة «دودج» قمت بتأجيرها لأيام، فانتفضت من مكانها وقفزت فرحة وهي تصرخ، ظنت في البداية أنني اشتريتها، لكن لما علمت أنني أجرتها زاد تهورها، وأخذت المفتاح مني وخرجت من الجامعة لتبحث عنها في لهفة، فلما رأتها ركبتها وجلست علي كرسي السائق فيما فتحت زجاج السيارة من الناحيتين ونادتني من داخل السيارة لتعودني وأجلس بجانبها، فرحت بدون تردد، وانطلقت بي إلي طريق السويس، قادت علي سرعة مائتين، وكنت أصرخ فيها لأنها سريعة وكنت خائفاً علي السيارة لأنها ليست لي، ولكنها ابتسمت في حماس غير طبيعي وألتمعت عينيها ببريق واهج ولما رأيت زحمة سيارات في نهاية الطريق قد أوقفتها إشارة مرور أبطأت بسرعة واحتكت عجلات السيارة بالأرض محدثة صوت صرير عالي كاد الناس يظنوا أن هناك حادثة.

فتحت السيارة وتقيأت خارجها، كانت ميرنا تضحك وتسخر مني، لكني لففت نحوها ولم أطل النظر إليها وقد رجعت بظهري للخلف. شعرت بالتعب الشديد ولم أكن أري شيئاً أمامي واهتزت الصورة في عيني وتمتمت:

- لم يكن هذا مزاحاً. .

انفجرت من الضحك وقد أحمرّ وجهها، فعبست وقلت:

- ارجعي، واذهبي بى للمستشفي.

كان يومها ظهر لها أشياء لم تكن تعلمها عني، أخذتني للمستشفي وكشف علي جسدي كشف الأعصاب، وأعطاني الطبيب بعض الأدوية وقال لي أن أذهب إلي الطبيبة التي أتابع معها لأسألها إن كانت حالتي تسمح بأخذ تلك الأدوية أم لا لأنه لم يتطلع علي تقارير أشعة المخ لدي والحالة لديه ليست كاملة، ولما خرجنا، كان في يدي ورقة مكتوب بها الأدوية، وميرنا تسير جانبي في هدوء مطرقة الصمت لا تجد ما تقوله وقد شعرت بالأسف نحوي.

علمت بأمر المرض الذي أعاني منه، ولم تظن أن يكون الأمر خطيراً ويجعلني أفقد متعتي في أشياء بسيطة أقوم بها، وسألتني عن ذلك المرض عندما كنا نسير خارج ممرات المستشفي فأجبتها باقتضاب عنه وقلت لها بعض التفاصيل، فاعتذرت، وحينها نظرت إليها وشعرت أن الأمر كله غير مهم وقد نسيته، فهززت رأسي ولم أستطيع إظهار غضبي منها بعد، وقدت السيارة بدلاً منها وذهبت بها للجامعة.

* * *

النهاية

بعد أسبوعين من موقف السيارة الذي حدث بيني وبين ميرنا، ورجعنا للجامعة وحكينا لأصدقائنا، غابت ميرنا عن الجامعة، وظننت أنها كانت لتخبرني، سألت ماريهان عنها، وقالت لي أن خطوبتها اليوم، وتعجبت، كيف لهذه السرعة، ومن هذا الشخص وكيف لها بأن لا تخبرني ولطالما كنا أصدقاء! جاءت بعدها ميرنا للجامعة وتكلمنا بهذا الأمر فقالت لي لقد فوجئت بأهلي قبلها بيومين أنهم يحضرون لي فستان الخطوبة، وفي يوم عيد ميلاد خطيبي أتممنا الخطوبة، وسألتها هل تحبينه يا ميرنا؟ وقد نظرت لي بحزن بالغ وهي تقول: «أنا لم أكن لأتصور أنني قد أقع بالحب، وقد فعلت».

حينها لم يبدو كلامها مفهوماً، وبقيت أحدق إليها، حتى شعرت بها وهي تنهض من مكانها، واقتربت مني وعانقتني بقوة، وقبضتك ذراعيها علي للحظة ثم رجعت للخلف وهمست بنبرة مرتجفة: «يا إلهي كم أحبك».

علمت منها أن الكنسية إذا عرفت بأمرها سيأخذونها ويجعلون منها راهبة، قد تلقي تعذيب جسدي قاسي طيلة الفترة التي ستقيم بها في الكنسية بعيداً عن أهلها، ويمنعوها من الطعام والشراب حتى يجف حلقها، ولما سمعت ذلك الكلام منها حزنت

لأجل الفارق الديني بيننا، وقبل يوم زفافها بشهر، اتصلت بى وكتبت رقمي علي هاتفها لأن خطيبها قد مسحه وكان يراقب كل اتصالاتها وكل الأسماء المسجلة عليه، ورددت عليها في لهفة، لكنني كتمت كل كلام الشوق بداخلي، واستمعت إليها: «أريد أن أراك قريباً، في المركز التجاري بمدينة نصر».

اتفقنا علي ميعاد وكنت أسألها عن السبب فلم تجيب بإجابة واضحة، ولما ذهبت وتقابلنا كنت أريد عناقها، وأحملها في الهواء وألف بها من الفرح، وقد ذاب كل هذا في لحظات عندما ذهبنا إلي محل فساتين الفرح، ووقفت خارجه، تسمّرت عينيها علي فستان أبيض، وقالت أنها سترتدي هذا الفستان قريباً ولن يكون له. أبقيت عيني علي الفستان ولم أقوي علي النظر إليها، وهي كذلك، ودمّعت عينيها ونظرت لصورتي المنعكسة بالمرآة:

– يا إلهي. . . أنت وسيم في اللحية.

حينها خفضت بصري وقلت: أخبرتك كثيراً أنكِ عميقة.

ضحكت ضحكة صغيرة ولم تطلق صوتاً ثم تمتمت:

– أتعلم شيئاً؟ . . . لقد اعتدت أن آكل البطاطس والصلصة وهم منفصلين.

لففت رأسي وأمعنت نظري فيها وقد ابتسمت:

– سأخبرك سرّاً، لم أعد أخاف الأشباح.

وسعدت للخبر فرفعت حاجبيها.

– حقاً؟ هل معك أفلاماً إذن نشاهدها سويّاً؟.

حدّقت إلي شعري الداكن ولحيتي الطويلة، ما أسعدها حقاً أنني جئت لأراها بعد مدة أن ظنت أننا لن نتلاقى مرة أخري.

سألتها:

– سنبقي أصدقاء؟.

– سنظل أصدقاء.

* * *

ودامت صداقتنا سنين طويلة، وحتى الآن لا أزال أكلمها علي مواقع التواصل بين فترة والأخرى، وبعدها غبت عن مصر، وأخذت الشهادة وسافرت إلي السعودية، وأقمت هناك سنتين، بحثت عن عمل وقبلت في إحدى الشركات، وكنت أعود للمنزل وأنا أشعر بوحدة حقاً بين أهلي، فكنت أجلس علي الحاسوب الخاص بى وقد كان هذا ما اعتد علي فعله في مصر خلال فترة الدراسة، وبدأت أبحث عن مادة الجرافين، وتعمقت فيها وعرفت كيف تصنع وفهمت التفاعلات الخاصة بتلك المادة واتحادها مع عناصر أخرى، وصدف أن عرف صديق والدي بأنني أبحث في هذا المجال فأخذ يتحدث معي حول الكيمياء والفيزياء وكان متفاجئاً أن شاباً في عمري وتخصصي المهني ويقرأ عن الجرافين إلا أن الأمر كان بالنسبة لي عادياً، وقال أنه لا يوجد معامل كيميائية تعمل بحث عن هذه المادة سوي في واحداً في أفريقيا وكنت أعلم تلك المعلومة وبدا لي أنني ملم بكل الموضوع، وبعد شهر دعاني إلي دبي، بلده الأصلية، ورحب بإقامتي معه أسبوعاً، ووقتها ذهب بى إلي مكتبات ضخمة في دبي، فكنت أجمع بعض الكتب وأفتحها واقرأ فيها إلي حد ست ساعات متواصلة بدول ملل أو كلل، ووقع في يدي أحدي كتب عن علم النفس ويدعي «أشهر 50 خرافة في علم النفس » وذهلت لما قرأته عن الخرافات الموجودة به، وقيل أن علم الفنج الشوي الخاص بقراءة الملامح غير حقيقي، ولا الأبراج الفلكية، ولا الجرافولوجي المتعلق بتحليل الصفات من خلال خط اليد، وتوسّع إدراكي بأمور كافة عندما انتهيت من هذا الكتاب، وأعجبت بفكرة القراءة في علم النفس عن شتي المواضيع الأخرى لكن صديق والدي فضّل أن أفتح كتب الكيمياء، ولطالما كنت أكره هذا الفرع، لكنني بدأت قراءة فيه حتى أعجب مرام، وأستطيع التحدث معها، وفعلت أشياء كثيرة حتى تعجب بى ولعلها لا تعرف ذلك، لكنني أحببتها والآن لم أعد كذلك.

* * *

ذهبت لمركز تحليلي يقوم علي الاختراعات والأبحاث في دبي، وكان صديق والدي قد دلّني عليه وذهب معي وتابع عملية الأشراف علي، فأول ما قاموا به تحديد اختبار ذكاء، وحصلت علي درجة العبقري، ثم قاموا بتحليل طبي، وأخبرتهم أنني مصاب بمرض

التصلب المتعدد وتفاجئوا لهذا التناقض، فالتصلب المتعدد يتلف قدرات المخ الذهنية، وتمسكوا فيّ، وقمت بمذاكرة أبحاث وقرأت عن الكيمياء بتعمق شديد عن أي مرة سبقت، بل أرهقت، وكنت أحقق نتائج جيدة لما بذلته من مجهود في الفهم والحفظ.

مرت سنة علي وجودي في دبي وأدركت أنني ابتعدت تماماً عن تخصص التجارة الذي كنت أدرسه، وطلبت من صديق والدي أن أعمل بشركة إلي جانب دراستي، وقد اعترض واعترض زملائي بمركز التحليل، فعكفت علي البحث عن وظيفة أخري، وقدّمت علي العمل في مستشفي خاصة بدبي، وكان وقت العمل ينتهي إلي الساعة الثانية ظهراً، وعملت لهناك لمدة سبع أشهر، واستطعت أن أوفّق بين العمل والمذاكرة والأبحاث وكان الأطباء الصيادلة يقومون بمساعدتي في الأبحاث إذا طلبت منهم ذلك.

مررت يوماً بامرأة جذبت أنظاري، لما وقعت عيني عليها شهقت من هول المفاجأة، وبقيت أحدق إليها وأتابع خطواتها بكل أركان المستشفي. تلك المرأة هي الآن زوجتي، رأيتها أول مرة بالمستشفي، وتعرّفت عليها عندما وجدتها توجهت لقسم الانتظار، ولم ألتفت للقسم الذي ذهبت إليه، وجلست بجانبها، ثم دقائق وسألتها عن اسمها، فلم تنظر لي أو تجيب، وظننت أنها أرادت أن تتجاهلني لأني كنت أضايقها، فسكت ونظرت بعيداً، لكنني لم أريد أن تهرب مني، فعدت اسألها، ولم تنظر لي أيضاً أو ترد، وعدت السؤال مرة ثالثة وأنا أعد نفسي أن تكون الأخيرة، فنظرت لي، ولم تقل شيئاً، شعرت بغرابة الموقف، ثم قلت:

- آسف أزعجتك.

هزّت رأسها نافية وقد رأيتها تخرج من حقيبتها دفتر وقلم، وكتبت عليه: «أنا سمعي ضعيف ولا أستطيع التكلم».

ثم أعطتني الدفتر لأقرأ تلك الجملة وقلت لها: آسف.

فأخذته منّي وكتبت عليه: «كلّا أنا بخير».

قرأت ما كُتب وابتسمت ابتسامة صغيرة وبقيت جالساً بجانبها حتى جاء دورها ودخلت لطبيب المخاطبة، وانتظرتها في مكاني حتى انتهت، ثم سألتها عن مواعيدها

الأخرى إذا كانت لتأتِ مجدداً، وقالت أنه بعد أسبوع، وكنت كل أسبوع انتظرها بنفس المكان، فتأتِ لتجدني، ولما كانت تراني تبتسم وكنت أفرح لرؤيتها وانتظرها بشوق وأحببتها واصطحبتها لأماكن كثيرة قبل الزواج، وعندما جئت لأطلب منها الزواج قبلها حدث شيئاً غريباً.

كان ذلك بمطعم مفتوح علي الشارع، أجلس علي طاولة وكانت أمامي، وملت نحوها وقلت:

- أريد أن أسمع صوتك.

هزّت رأسها، وكتبت لي في ورقة كانت تحملها معها دائماً: «كلا لا أستطيع».

قرأت ما كتبته ونظرت إليها غاضباً، وسألتها في هدوء محاولاً كتم غيظي:

- لماذا؟ ما السبب؟.

تناولت القلم مجدداً وشعرت بالحنق من طريقة تواصلها معي، وكتبت: «الناس يضحكون علي».

قلت لها بإشارات:

- أنا لن أفعل.

ورفضت، وبشدة. وقتها عدت لمنزلي غاضباً وغبت عنها أسبوع، وكانت تراسلني فيهم وكل ردي عليها أنني متعب ومنشغل في بحثي، ولعلي كنت أحس بحزنها لأجل غيابي وقسوتي نحوها، فعدت لها، حاملاً باقة من الورود، كنت أعلم أنها علي ميعاد مع طبيبها، ومشيت بين ممرات المستشفي ولم ألقي بالاً لنظرات الناس إلي، وكل تفكيري قد صُب علي تلك المرأة، اقتربت من قسم التخاطب، ودخلت باحثاً عنها بعيني وقد توقفت عند بداية الممر، فرأيتها، ولما وقعت عيني عليها رأيت بجانبها رجلاً يتحدّث إليها عن مسافة قريبة، أخذ يضحكها ويداعبها بكلماته فلففت وسرت في سرعة هائجة إلي أن توقفت في ممر ضيق خاص بالممرضات فقط، ألقيت الورد في عنف علي الأرض وجلست علي الأرض سانداً ظهري علي الحائط، ودفنت رأسي بيدي يدي، كنت أظن أن بعد ما مررت به في الجامعة أنني لم أعد قادراً علي الحب مجدداً وبنفس المشاعر التي كنت أشعر

بها نحو كل فتاة أحببتها من قبل، هذه المرة أردت التمسك بذلك الحب، وألا يفلت مني، لكن، عندما نهضت، تركت الورد مكانه وقد تفرّق في شكل فوضوي.

انتظرت لجلستها التالية، ورحت للمكان الذي تكون فيه في الانتظار دائماً، فلم أجدها، بحثت عنها طويلاً في الغرفة وسألت عنها فلم أجدها، شعرت أنني فقدت جزءاً من عقلي وجننت، وارتجف جسدي من القلق، واقتحمت غرفة طبيب التخاطب فلم أجدها معه، وسألته عنها وقلت له اسمها فقال أنها انتهت من الجلسات.

رجعت للمنزل يومها محبطاً، شعرت بالحزن والوحدة وتألمت بداخلي، ولم استطع بأن استمر طويلاً هكذا، واتصلت بها، فلم تجيبني، وقد نسيت أمر صوتها، فأرسلت لها رسالة محتواها أنني أريد رؤيتها، وسرعان ما أجابتني أنها متفرّغة، فتقابلنا في مطعم، وذهبت إليها، كنت ارتدي ملابس عادية وبدا شكلي عادياً فلم أكن مهتماً بنفسي.

عندما وصلت وجدت ذلك الرجل الذي كان يتحدث إليها مسبقاً، شعرت بقلبي يخفق في عنف واستدرت واستأذنت منها بالرحيل، لكنها لحقت بى، سرت بخطوات سريعة بين الناس في الشارع ولم أكن أري شيئاً أمامي ولم أحدد لي هدفاً وغضبت، فتوقفت في مكانها ونادتني: «ي. . يا. . ياسر».

لم تخبرني أنها كانت مصابة بمرض التصلب المتعدد وهو ما أحدث لها مشكلة في التخاطب. . .

استدرت، وجاء في ذهني صورة الرجل الذي كان جالساً علي الكرسي ويحاول التحدث.

حدقت إليها بعينين فارغتين، هذه المرة الأولي التي اسمع صوتها، كان عالياً وأجش، وحرّكت يدي مشيراً لها بإشارة الصم إشارات تفسّر كلامي: «صوتك. . . أجمل ما سمعت أذناي».

وبعدها بشهر تزوجنا، وعشت معها في منزل كبير ولكني لم أنجب منها. عشت معها أجمل سنين العمر، قضيت أياماً أري فيها تعبر لي عن حبها، كانت تفاجئني دائماً، عندما أذهب لأحضر لها هدية تقول لي أنها أتت لي بواحدة، فابتسم، وكدت أشعر أنني

أعيش بالجنة معها، وكنت أعانقها كل يوم وأربّت عليها وكنت لها الزوج والأب والأخ والحبيب والعاشق وكل شيء وأحببتها، ربما أكثر مما كنت أحبها عليه قبل الزواج.

* * *

حياة الرجل قد تشهد فروقاً عن النساء، وبالنسبة للمرأة فحياتها كالكتاب، كل صفحاته تتحدث عن رجلاً واحداً، أما الرجل فكتابه يتحدث عن كثير من النساء، بعضهم قد يضمّ فصولاً، وبعضهم قد يتحدث عنهم في سطور أو صفحات أو يذكر اسمهم سهواً والبعض الآخر لا يذكرهم إطلاقاً، وكنت كذلك، وكبقية الرجال، وتعددت علاقاتي بالنساء لطالما كنت محاطاً بهم، وعرفت رِهام وأية ومرام وسالي وميرنا وجهاد ومنة وسلمي وغيرهم ولا أذكر كل أسمائهم في الحقيقة، وكنت أعطي لكل منهم نصيب من قلبي وأحببت كل فتاة بقدرٍ، والبعض أعجبت به، والبعض كوّنا صداقة وقد نجحت بعض الصداقات وفشل البعض منهم.

لكني، لدي فتاة هي الكتاب بأكمله، وهي السبب لكل ما أنا فيه وكل ما عانيه وما سأعانيه، إنها هانيا.

أنا الآن انتظر ميعاد الطائرة التي ستقلني علي مصر، إنه اليوم السابع من شهر يوليو، يوم وصلت فيه إلي القاهرة وقلت لزوجتي أن لدي عمل في مصر لبضعة أيام وسأعود سريعاً لأجلها، فابتسمت واقتربت لتطبع قبلة علي جبيني وطمأنتها، وقلت لها أحبك ونزلت بحقيبة سفري وها أنا أضع أول قدم في مطار القاهرة.

أول مكان ذهبت إليه بعد أن ركبت سيارة أجرة من المطار كان الصيدلية، دخلت وجعلت السائق يأتي معي ليساعدني عن الخروج من السيارة، ولما دخلت الصيدلية ورآني الصيدلي وقد بدا له أنني شيخاً، فقال لي: «كيف حالك يا حج؟».

كنت مقبل علي الثلاثين ولم أكن كبيراً إلي هذا الحد، لكن بدأ شعري يتلون إلي الرمادي والأبيض، وابتسمت ابتسامة مصطنعة وقلت له:

- أريد حنّة سوداء للشعر.

ذلك الشاب الصيدلي كان يحاول المزاح معي ومداعبتي، وابتسم ولم يستدير ليأتِ بالطلب الذي طلبته، وسألني:

- ما رأيك بأن تأخذ واحدة باللون البنّي، سيليق عليك.

تذمّرت وقلت:

- أريد الأسود.

- اهدأ، ما بك، حسناً سآتي لك به.

* * *

أقمت يوم السابع من يوليو في فندق «توليب» وقد حجزت ثلاثة أيام، ودخلت الغرفة وبدأت اقرأ طريقة الاستعمال علي علبة الحنّة، وقمت بوضعها علي شعري وانتظرت لساعات وفي تلك الأثناء كنت أعد ملابسي وأري ما سأرتديه غداً وكنت قد كففت عن هذه الاختيارات التفاهة والحائرة، رغم هذا وقفت بالساعات أراقب نفسي في البذل وأي لون سيليق علي أكثر، وبدوت أكثر جاذبية في البذلة السوداء والقميص الأبيض وارتديت ربطة عنق سوداء ثم غسلت شعري وسرّحته للخلف وعلي الجانبين وحلقت لحيتي، ورحت انظر للمرآة فعدت كأنني شاب قد تخرج من الجامعة.

* * *

اليوم الثامن من شهر يوليو له ذكري في قلبي حفرت منذ عشرة سنين، وكل سنة أنزل مصر في هذا الميعاد لأجل نفس الغرض والهدف.

في ذلك اليوم منذ عشرة سنين تعرفت علي هانيا ودار بيننا المحادثة الأولي عندما كلّمتني وتعرفت علي، وقتها كنت من مشاهير موقع تويتر، وصدرت لي كثير من التعليقات الساخرة ومنها الاجتماعي والسياسي وكان لي الكثير من المتابعين وتصدرت الأكثر إعادة للتغريد في مصر في فترة الثانوية العامة، وكنت أنزل الشارع تتعرف الناس علي ويقولون أنت من يغرّد علي تويتر واسم حساب كذا فأبتسم وأقول لهم أجل إنه أنا، وشعرت أنني أتعامل معاملة المشاهير النجوم في تلك الفترة، وكونت صداقات كثيرة وعديدة مع مختلف الأعمار، لكنني فوجئت يوم الثامن من شهر يوليو أنها تتابعني

وتتحدث معي، فرددت عليها، وبعدها بقينا نتحدث واسأل عليها كل يوم وأعجبت بى وأحبتني كثيراً، لكن قست علي فجأة، ولا أعلم السبب، وتغيرت تصرفاتها كثيراً، كانت مزاجية للغاية بشكل لا يطاق، وكثيرة التذمر والغضب والحزن والكآبة والسوداوية والغياب وابتعدت عني وكل مرة كنت أنا من يتصل بها ولم يخطر ببالي أبداً أنها قد تريد أن تبتعد عني، ولما ترد تخبرني أنها بمزاج سيء ولا تشعر أنها بخير فأسلها عن السبب وتقول لي أنها لا تعلم حقاً ما بها وأن هذا الطبيعي، وعجزت عن فهمها، لكني أردت أن تحس بالسعادة، فكنت أتحدث إليها كثيراً وأرسل لها رسائل الحب والغزل الطويلة وتسعد بها وتقول لي أنها لا تجد ما تقوله، وكم تحبني، وأرد عليها، فتقول لي أنها محظوظة برجل مثلي.

عادت لعاداتها الغريبة ولم أكن أفهم لمَ تفعل ذلك، وصدف مرة أن قرأت عن الأبراج بحسابي الشخصي، وقرأت عن برج الثور وقتها، ودخلت علي هذا الحساب الذي يتكلم علي الأثني عشر برجاً وبحثت عن الأبراج ولم أفهم شيئاً وقتها، فبحثت عن برجي بتاريخ ميلادي، وقرأت عن برجي وكما قلت أنني رأيت صفات كثيرة تشابهني، فأدركت أن الأبراج صدقاً، وسألت هانيا عن برجها، فأخبرتني أنه السرطان، ولطالما كنت أحب هذا البرج وأصحاب هذا البرج فهو لأجلها، بقيت شهر أتابع حسابات الأبراج واقرأ عن السرطان وأجد التوافق المماثل لشخصية هانيا وفهمت بعض التصرفات التي تفعلها وأن مزاجيتها تنطبق علي الناس كلهم وليس أنا بشخص بعينه، وأحببت أمر الأبراج، ففتحت حساباً عن الأبراج وخصصته لثلاثة أبراج وهم السرطان والعقرب والحوت لأنهم نفس الصفات تقريباً، وبقية الأبراج لم تهمّني، لذا بقيت أكتب عن السرطان وشاركت معي ناس من برج السرطان ليكتبوا عن برجهم وأري ما يكتبونه عن أنفسهم حتى أفهمهم، وفتحي لهذا الحساب جعلني أتحدث بشكل خفي وشخصي مع ناس من هؤلاء البرج المائي واسألهم أسئلة أريد منها تفسير شخصية حبيبتي.

وقبلت بعيوب كثيرة فيها، فكانت تصادق الشباب وتخرج معهم وكان لها الكثير من الأصدقاء الرجال وكنت شديد الغيرة عليها ولكن لم أتحدّث بهذا الشأن، وبعد ستة

شهور من علاقتنا فتحت معها موضوعاً ما كان يجب أن أتحدث فيه، وأرسلت لها رسالة: «هل لكي في شئون الجنس؟».

وحينها لم ترد، واكتفت بقراءة الرسالة، وأدركت الخطأ الذي ارتكبته، فرفعت سماعة الهاتف الأرضي واتصلت بها وردت والدتها علي وقالت لي لحظات وسأناديها، ثم انتظرت وبعد ثواني سمعت صوت السماعة تغلق من الناحية الأخرى، وبقيت أرسل لها رسائل لمدة أسبوع ولم تكن تقرأ أو ترد حتى توقفت، وبقيت أسبوعاً أتابع كل أخبارها، وكنت غارقاً في القلق والتوتر من أن تتركني، أسبوعاً من العذاب والبكاء كل يوم، أسبوع من الانتظار أن تحدّثني وقد شعرت بالخجل من نفسي ووجدت رسالة وصلت لي منها: «أنا لم أعد أحبّك، أنا أكرهك، لقد خدعت فيك».

ظنت أنني كنت ألعب بمشاعرها لأتقرب منها لأجل غرض حيواني، وأرسلت لها:

- أنا غني ووسيم وأحبك، ماذا ينقصني؟.

وقالت:

- الرجولة.

قامت بإلغاء المتابعة من كل مواقع التواصل وفصلتني عن حياتها، وتركتني أموت من القلق عليها ولم أعتاد علي ألا أكلمها ولا يكتمل يومي بدونها، وبعدها. . . بدأت أشعر بالأعراض، الرعشة والكهرباء وسوء الخط والنسيان وانعدام التركيز، وبعد تشخيص الطبيب قال: التوتر والقلق قبل الامتحانات أظهر مرض كان في جسدك يسمّي بالتصلب المتعدد، إن لم تدخل المستشفي الآن ستموت وتنتهي حياتك في خلال ساعات.

ولما دخلت المستشفي جلست يومين أتلقي العلاج وهو الكورتيزون، واتصلت بهانيا وقد غيّرت رقم هاتفها فلم يجيبني، ففتحت موقع التواصل وكتبت لها أنني مرضت وأريد رؤيتك، واتصلت بى سريعاً، فأخبرتها ما حدث، وقالت أريد أن آتِ إليك أعطني العنوان، فرددت: لقد تأخر وقت الزيارة وسأغادر المستشفي غداً، لكني أردت رؤيتك وقد أفتقدك، ولن استطيع التحدث معكِ أكثر من ذلك فأشعة الهاتف الخلوي تؤثر علي مخي بجعل أثقاب فيه.

حتى الآن لا يعلم أحداً أن القلق الذي كنت أشعر به لم يكن بسبب الامتحانات مطلقاً، وكان بسبب أنني فارقت هذا الحب.

تلك العلاقة أفقدتني مشاعري وعقلي وأصابتني بمرض غريب، ربما بسببه أنا لم أنجب لأنه أفقد القدرة علي الإنجاب، وما أصاب زوجتي بالحزن الشديد، وأفقدني القدرة علي كتابة الروايات ورفضها من دور النشر لأنه أضعف مناطق اللغة بالمخ وجعل أسلوبي في التعبير ضعيف، وجعلني أحب مرة واثنين وثلاثة وسريعاً وربما في وقت واحد لطالما كان مريض التصلب المتعدد يعاني من مشكلة في إدراك المشاعر واضطرابات نفسية، وأصابني مرض النسيان وأعراضه شبيه بألزهايمر، كان ذلك في أوائل العشرينات فقدت عملي كباحث ووصلت لمرحلة أنني كنت أكتب اسم زوجتي علي يدي لأني أنساه.

الثامن من شهر يوليو، في فندق توليب، نزلت لقاعة الاستقبال، كنت أرتدي البذلة السوداء وربطة العنق والقميص وحذاء جديد، وانتظرتها، ككل سنة، كلسنة انتظرها في نفس المكان ولا أجدها، كل سنة أنزل لها من البلد التي أكون فيها لأراها وألتمس النظر في عينيها، كل سنة قلبي يحترق في نفس المكان شوقاً إليها، لكن هذه السنة، وبالفعل، قد أتت، ودخلت من باب الفندق بخطوات هادئة تطرق بكعب حذائها العالي علي الأرض طرقات تناغمت مع دقّات قلبي، دقّة تتالت بعدها دقة ودمي يسير في عروقي بجنون كنهر جارف مع تيار لا يعلم أي منحني سيؤدي بمصيره، ولم تكن تلك المرة الأولي التي أراها، إنها الثانية، عندما رأيتها في الجامعة، ولكن هذه المرة كانت بمفردها، فالمرة الأولي كانت بصحبة شاب، مما أصابني بصدمة وسقطت أرضاً ولم أستطيع تمالك أعصابي وقتها فانهرت.

أردت التحدث إليها هذه المرة، والتقرب منها، هذا المكان لا يذكرني بها وفقط، بل بآخر مرة تقابلنا فيها، وأخبرتني كم تحب المجيء إلي هنا، وقتها اقتربت منها، وعانقتها، وضممتها إلي في عناق طويل، طويل للغاية وهمست في أذنها: «أحبك»، فرفعت ذراعيها حولي وبادلتني العناق، ثم تفارقنا بعدها، وبعدها كنت كالمجنون، أنزل أبحث عنها في الشوارع القريبة من منزلها لعلي أجدها وأراها وأصلح ما فعلته، وبحثت في

الأماكن التي كنا نتقابل فيها عنها، ولما أرجع من البيت فارغاً ولم أكن أجدها كنت أتحدث مع نفسي بصوت عالي حتى إذا جلس أحداً معي يظن أنني مجنون ويخاف مني في المساء ويدخل الغرفة ليسألني «ياسر هل تتحدث إلي أحد أو تتكلم في الهاتف؟ » ولما أنفي ذلك يتعجب أصدقائي مني «هل تتحدث إلي نفسك؟ أنت جننت؟ »، وطيلة قضائي فترة الدراسة في مصر كنت أبحث عنها إذا ذهبت لمكان كنا نجلس فيه.

ذلك العناق، والشغف الذي شعرت به وأنا ألامسها وأدلك وجهها بأصابعي، ويمكنني القول أنني لم أشعر بذلك بعدها، ولم أبادل أحداً ذلك الحب من قبل، وكلما عانقت أحدهم وتقربت منه أنفر أو ينفر مني لأنه يشعر بعدم القبول فأفارقه.

لم أستطيع الحديث أو النطق بشيء، وواجهت مشاكل في فعل ذلك، وتحركت من مكاني مسافات ضيقة ولم تكن تلاحظني، بل كانت مشغولة بحجز غرفة مع قسم الاستقبال.

وجهّت وجهتي للبيانو الموضوع في قاعة الاستقبال، دنوت منه حتى كنت أمامه، ورفعت الغطاء عنه، وبدأت في عزف الأغنية التي كنت أعزفها لها «قُصاد عيني».

طرقت بأصابع يدي الاثنتين علي حروف البيانو البيضاء والسوداء أعزف بكلتا اليدين في مهارة وتمرّس، وقد جذبت أنظار الكل نحوي، ونظرت لي، فرأتني أعزف الأغنية.

رأيتها أنا الآخر، كانت موجودة بالفعل، أحسست بالنبض داخلي، وعدت أعزف ولم أنظر لها، وشعرت للحظة أنني لا أريد التحدث معها لأني علمت أنها أتت لهذا المكان كي تصنع فيه ذكري جميلة، فهي دائماً كانت تربط الأماكن بالأشخاص، والآن لعلها مع شخص آخر غيري تريد أن تمضي قصة الحب بينهما لتنساني، ذكري أجمل في هذا المكان، وسلاماً عليها، وعلي الضاحكين، وفي قلوبهم سنين بكاء، أولئك الذين قرروا العيش بدون حب، والمضي، وقد حالفتهم الحياة ولم تحالفني بعد.

انتهيت من العزف، وصفقت لي واستدارت لترحل، ولم تراني وأنا أخرج من خلف البيانو علي كرسي متحرك يحمله عجلات، وقد أصابتني انتكاسة من القلق في الفترة

الأخيرة لأني علي وشك واعتقاد أنني سأقابلها. هاجم جهاز المناعة جسدي، وأصاب قدمي وعيني وفمي فعجزت عن المشي والرؤية بوضوح، لكني ميزتها، ولم أستطيع النطق بحرف ولو نطقت كانت ستخاف مني ومن حركات فكّي، لهذا عزفت لها هذه الأغنية وبها الكلمات التي أريد أن أقولها لها.

لقد عرفت فتيات كثيرة بعدها، ووقفت معهم في الأزمات والمشاكل وسمعت لهم وكنت الطرف الأكثر عطاء وحللت لهم معضلاتهم ولم أتقرب منهم ولم أشتكي لهم يوماً، وكنت كالصديق والأخ والأب لكل من حولي، فلم يصدر عني لفظاً ولا فعلاً، أردت أن أثبت، أنني رجلاً لها، وأنني الرجل الذي تريده، وأيقنت أن كل الفتيات التي قابلتهم يعانوا من مشاكل مع الرجال أو من الرجال، وبعد أن تسببت لعقدة لدي هانيا، أردت أن أصلح تلك المشاكل النفسية لدي كل فتاة قابلتها، بداية من رِهام إلي ميرنا إلي ما بعد ميرنا وكانت كل فتاة تأخذني لعالم آخر لا أفهمه وأدركت أن مشاكل النساء الحياتية قد يكون سببها رجل وهذا الرجل هو حبيب وأب وزوج وخطيب وأخ، وما حدث مني، كان بفعل شيطان، وأنا آسف، لكنني، لم أتركك بمفردك، شعرت أنني سأبتعد عنك وأن علاقتنا ستنتهي، فاتصلت بصديقتك لأصلح المشاكل بينكم، وعادت إليكِ وتأسفت لكي ولم أقوي علي تركك وحيداً، لكنك كنتِ تتركيني وحيداً دائماً غارقاً في دموعي، أردت قول الكثير لكِ فأنا أحمل بداخلي طنين من الكلمات والأشعار والحب كما كنت أفعل دوماً، لكنني فاقد القدرة علي النطق والتعبير.

سأغادر الأرض التي لاقيتك فيها، وأعود لزوجتي، أجلس معها وأذكرك، كما ذكرتك منذ أيام وأنا أعانقها وهمست بأسمك، وكانت تشبهك كثيراً، عندما رأيت زوجتي للمرة الأولي تعلقت بها لأنها كانت تشبهك يا هانيا، وقبلت كل عيوبها وسلبياتها لأني كنت فقدت الأمل في العودة إليك ورؤيتك مرة أخري، وكنت أبحث عن أحد من نفس برجك، لهذا السبب يمكن أنني كنت أتعلق بهم بسرعة، لكن، لا مثيل لكي ولا أحد منهم كان يشبهك، وليتك كنتِ تكذبين وأنتِ تقولين لي «ستظل تبحث عن أحد يشبهني وستعود إلي في النهاية، وسأجد الكثيرين منك يتمنون لقاء نظراتهم بنظرتي»، وكان

لوّن البُن في عينيك أجمل بكثير من ذلك الأزرق الذي يَسرق أنظارهم، وعرفت الحسناء والشقراء وملكات جمال ولكنكِ كنت مختلفة ولا تبدين مثل أحد، وكنت حذراً من الجميع عداك وهيّمت في حبّك ومريض به وبكِ، وكنت صادقاً وأنا أقول لكِ «أنتِ روحي» فبداخلي روح تبحث عن روحك، تفهم منها تلك التفاصيل التي بداخلك التي لا تقدر علي فهمِها أرواح الخلق الله أجمعين.

انتهت

ما الحب إلا جنون
- شيكسبير

عن الروائية:

أمنية عصام، مواليد القاهرة، مارس 1997، درست في طب النفس عن الأمراض النفسية والاضطرابات، وقدّمت أبحاثاً في الفيزياء بالصف الثانوي، أدرس تجارة وإدارة الأعمال وعناق وفراق ثاني عمل لي بعد رواية فتاة ليل التي نشرت مع ربيع الكتب وعصير كتب.

للتواصل مع الكاتب: writer3397@hotmail.com

متوفرة علي موقع goodreads.